

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

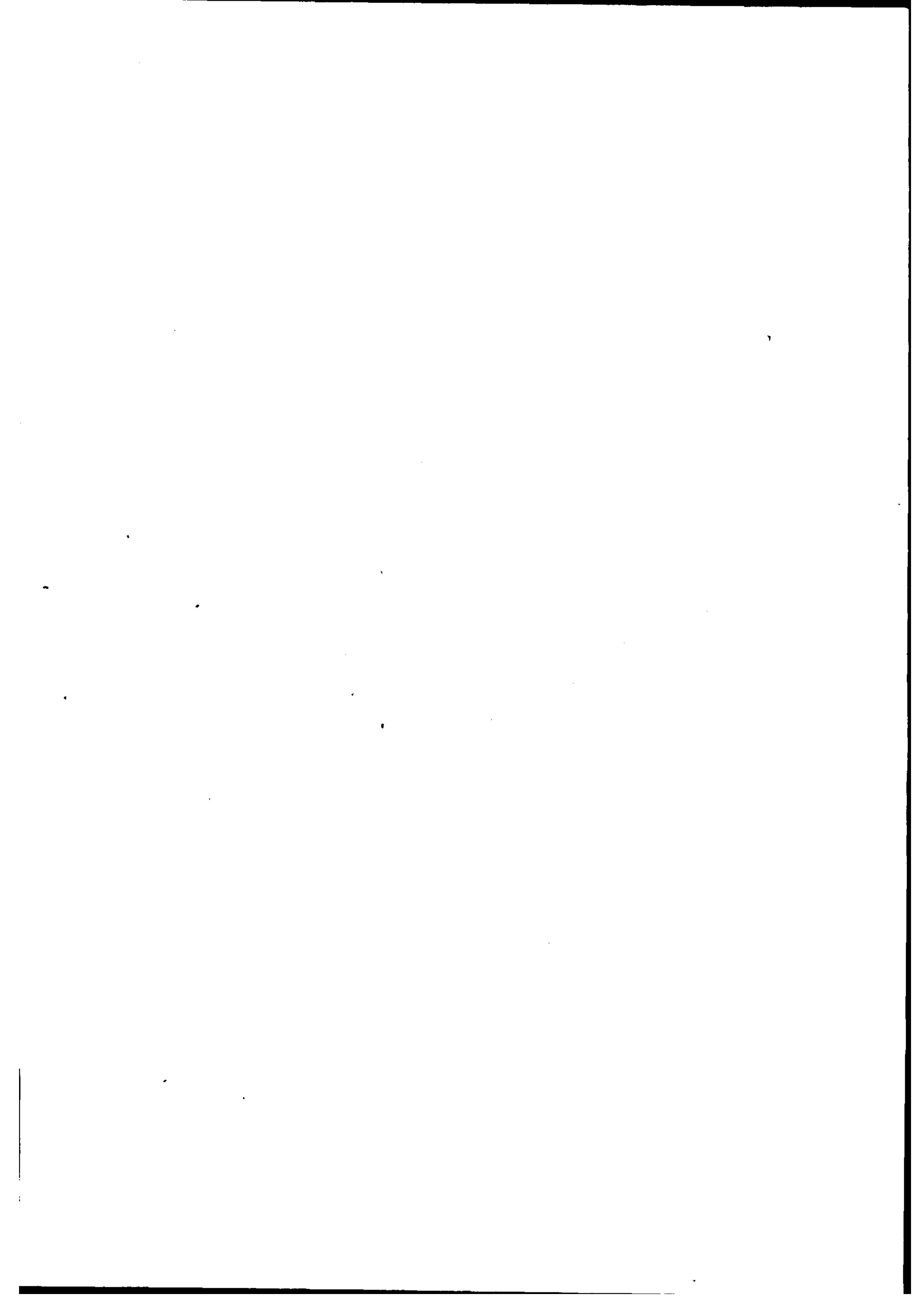
دراسات فى الدعوة الإسلامية

تأليف
الأستاذ الدكتور
عبد القادر سيد عبد الرؤوف

- الإهداء -

إلى روح والدتي رحمها الله رحمة واسعة وأدخلها فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً أهدي هذا الكتاب .

د / عبد القادر سيد عبد الرؤوف
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية أصول الدين بالقاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام الدعاة سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم وسار على طريقتهم إلى يوم الدين .

وبعد ...

فمن حكمة الله عز وجل ، أنه لم يترك الإنسانية دون أن يتعهدها ويرعاها ، ومن أجل هذ أرسل الرسل وأنزل الكتب حتى تظل الإنسانية على إتصال بالله تبارك وتعالى ، وشاء المولى عزوجل أن تكون رسالة الإسلام خاتمة الرسالات السماوية ومن هنا جاءت تامة وشاملة لكل جوانب الحياة ، جاءت للبشرية جمعاء وللأمم كافة لتكون منهجاً للحياة فى كافة جوانبها عقيدة وشريعة وتنظيماً وأخلاقاً وسلوكاً .

لقد جاء الإسلام بعقيدة ورسالة ، عقيدة دينية كاملة جامعة شاملة تنظر فى الإنسان ، والكون ، والحياة ، رسالة إنسانية تبحث فى كل ما يصادف الإنسان ومايعترضه من مشاكل خلقية ، وإجتماعية واقتصادية وسياسية ، رسالة تضع لكل مشكلة حلاً دقيقاً حكيماً يناسبها .

وكان حامل هذه الرسالة السماوية رجلاً عظيماً ، وصادقاً أميناً ، ونبياً من العرب ، هو : محمد بن عبد الله ، خاتم النبيين والمرسلين ، وسيد البشر أجمعين ، صلوات الله وسلامه عليه .

ومبادئ الإسلام مبادئ أساسية ، ترسم لنا الخطوط العامة للأعمال والأتجاهات التفصيلية التى ترتكز عليها هذه المبادئ ، والتى تركها الإسلام

لمقتضيات الظروف والأحوال المختلفة فى كل زمان ومكان وأتاح للعقل البشرى حرية التفكير فيها ، مادامت مستمدة من روح الشريعة الإسلامية .

إن رسالة الإسلام جامعة شاملة ، تنظم شئون الحياة بعدالة تامة ، وتوجد توافقاً تاماً وسليماً بين المطالب المادية والروحية ، لأنها نظام كامل للحياة الإنسانية بكل ما تقوم عليه من مقومات : فى مجال المادة والروح ، وفى ضمير الفرد ومحيط الجماعة ، وفى المشاعر الفردية ونظام الدولة ، وفى العبادات والمعاملات ، وبتعبير أدق : الإسلام نظام خلقى واجتماعى وسياسى واقتصادى ، تتحقق فى ظله السعادة والأستقرار ، ويستتب تحت لوائه الأمن وينتشر السلام ، ولا يضارعه فى ذلك أى نظام آخر ، لأن رسالة الإسلام عبارة عن مبادئ فكرية وعملية منزلة من عند الله تعالى ، لأرشاد الناس وهدايتم فإن أتبعوها سعدوا فى الدنيا والآخرة ، وأن ابتعدوا عنها شقوا وضلوا وأضلوا وذلك هو الخسران المبين .

وأنطلاقاً من أهمية رسالة الإسلام فى حياة الأفراد والجماعات ، سوف تكون هذه الدراسة وافية بغرضها إن شاء الله تعالى :

هذا ، وقد قسمت الكتاب إلى ستة فصول مسبوقة بتمهيد ، مرتبة على النحو التالى :

التمهيد : ويشتمل على مفهوم الدعوة فى اللغة والأصطلاح .

الفصل الأول : ويشتمل على أركان الدعوة وفيه مباحث أربعة :

المبحث الأول : الداعى .

المبحث الثانى : المدعو .

المبحث الثالث : المدعو إليه (موضوع الدعوة) .

المبحث الرابع : الأساليب (منهج الدعوة) .

الفصل السادس : ويشتمل على نماذج للدعاة إلى الله تعالى وفيه مباحث :

المبحث الأول : مصعب بن عمير رضى الله عنه .

المبحث الثاني : سعد بن معاذ رضى الله عنه .

المبحث الثالث : معاذ بن جبل رضى الله عنه .

هذا وإنى لأرجو من الله العلى القدير ، أن أكون قد وفقت فى هذا العمل ، والله هو الهادى إلى سواء السبيل .

المؤلف

تمهيد

مفهوم الدعوة فى اللغة :

تطلق فى الدعوة فى اللغة على عدة معان ، قال صاحب القاموس المحيط : الدعوة فى اللغة معناها الرغبة إلى الله تعالى والفعل دعا ، ومصدره الدعاء والدعوى والداعى يطلق على الرسول ﷺ وعلى المؤذن ، وعلى كل من يقوم بالدعوة إلى الله عز وجل والأسم الدعوة والدعاوة (١) .

وقال صاحب معجم مقاييس اللغة : الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد ، ومعناه أن تميل الشئ إليك بصوت وكلام يكون منك تقول دعوّت أدعو دعاء ، والدعوة بفتح الدال مع تشديدها تطلق على الدعاء للطعام أما بكسر الدال مع تشديدها فهى تعنى الإدعاء فى النسب (٢) .

ويقول صاحب المصباح المنير : دعوت الله أدعو دعاء ، ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير ، ودعوت زيداً ناديته وطلبت إقباله ، والجمع دعاة وداعون ، والنبى داعى الخلق إلى التوحيد (٣) .

من التعريفات السابقة يتبين لنا أن الدعوة فى اللغة تكون بمعنى الرغبة إلى الله تعالى ، وإمالة الشئ وهذا لا يكون إلا عن طريق المحاولات القولية والفعلية ، كما تأتى بمعنى الإبتهال والنداء والطلب .

تعريفها فى الاصطلاح :

الدعوة فى الاصطلاح لها عدة تعريفات :

١ - حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

---

(١) أنظر القاموس المحيط جـ ٣٢٩٤ ، لسان العرب مادة دعا .

(٢) راجع معجم مقاييس اللغة جـ ٢٣٩٢ مادة دعا .

(٣) المصباح المنير مادة دعا .

ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل [1] .

٢- قيام العلماء المستنيرين فى الدين بتعليم الجمهور من العامة بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة [2] .

٣ - نقل أمة من محيط إلى محيط [3] ، أى من محيط الكفر والجهالة إلى محيط الإيمان والعلم .

٤ - إنقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع ، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع فى بأسه [4] .

٥ - برنامج كامل يضم فى أطوائه جميع المعارف التى يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريق التى تجمعهم راشدين [5] .

والتعريفات السابقة تشملها الدعوة الإسلامية ، فهى دعوة إلى الخير والهدى والصلاح تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ومهمة العلماء المستنيرين فى الدين هى تعليم الجمهور ما يبصرهم بأمور الدين والدنيا ، لأن سعادة الأمة وصلاح أمرها ووصول الخير إليها يتوقف على هؤلاء العلماء العاملين الذين يؤيدون الدين ، وينصرون الشريعة ، ويبينون للناس مواطن الخطأ ، ويبصرونهم بأحوالهم ويحثونهم على التمسك بالفضائل ، وينهونهم عن أقتراف الرذائل وبهذا العمل ينقلونهم من محيط الكفر والجهالة إلى محيط الإيمان والعلم وينقذونهم من الضلال والشر الواقع بهم ويحذرونهم من أمر يخشى عليهم الوقوع فيه وهذا ما تهدف إليه الدعوة الإسلامية .

---

(١) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ صـ ١٧ .

(٢) الدعوة إلى الإسلام للأستاذ أبوبكر ذكرى صـ ٨ .

(٣) تذكرة الدعاة للبهى الخولى صـ ٢٧ .

(٤) الدعوة إلى الاصلاح محمد الخضر حسين صـ ١٧ .

(٥) مع الله دراسات فى الدعوة للشيخ محمد الغزالى صـ ١٧ .



أركـــان الدعـــوة

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : الداعـــى

المبحث الثانى : المدعـــو

المبحث الثالث : المدعو إليه

المبحث الرابع : الأســـاليب

الفصل الأول

أركان الدعوة

المبحث الأول : الداعي

الداعي إلى الله عز وجل هو ممثل الرسل عليهم الصلاة والسلام ووريث الأنبياء ومعلوم أن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم والداعي إلى الله تعالى هو سفير الأمة يحمل الأمانة ويبلغ الرسالة لهذا كان لابد للداعية من خلق حسن يجلب له الناس ، ويجمعهم على الخير ويكون لهم قدوة حسنة ، ومن علم ليفقه به الجاهل ويرشد به الضال .

والداعية إلى الله عز وجل ليس مجرد خطيب يخطب الناس فيلهب مشاعرهم وإنما المراد به من يؤمن بفكرة ، يدعو إليها بالكتابة ، وبالخطابة ، والحديث العادي والمحاضرة والعمل الجدي في سيرته العامة والخاصة وبكل ما يستطيع من وسائل الدعاية ، فهو كاتب وخطيب ، ومحدث وقدوة يؤثر في الناس بعمله وشخصيته ، والداعية أيضاً طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس ، ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة فهو ناقد بصير وهو كذلك يشعر بأن دعوته حية في أعصابه متوهجة في ضميره ، وهو الداعية الذي ينفذ كلامه إلى قلوب الجماهير ، فيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمر دعوته[1] .

صفاته :

الداعي إلى الله تعالى ، الذي يتصدى لدعوة الناس إلى الخير ، ويحمل لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، له صفات يجب أن يتحلى بها ، ليكون نموذجاً عملياً لدعوته وقدوة حسنة لمن يتصدى لدعوتهم .

---

(١) أنظر تذكرة الدعاء للأستاذ البهي الخولي صـ ٧ .

١ - قوة الصلة بالله تعالى :

على الداعى أن يكون قوى الصلة بالله تعالى دائم الخوف منه يراقبه فى كل صغيرة وكبيرة ، ومن المعروف أن الخوف من الله يجعل الداعية وثيق الصلة بالله ، متصلاً به ليل نهار ، يعبده كأنه يراه .

وعليه أن يتزود من القرآن الكريم كتاب الدعوة ، فالقرآن أرشدنا أن الله تعالى واحد فقال سبحانه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [1] ، فالآية صرحت بأن الله تعالى واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾[2] .

وكما أرشدنا القرآن إلى وحدانية الله تعالى ، فقد أرشدنا إلى الدليل الموصل إلى الإيمان بهذا ، ومن هذا أن الله تعالى حث الإنسان على النظر إلى النفس فقال تعالى ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ وفى هذا دليل على وجود الصانع الحكيم المدبر المنظم فالإنسان عندما ينظر إلى نفسه المركبة من باطن فيه جهاز هضمى وآخر للتنفس ومن ظاهر به حواس وجوارح تقوم بوظيفتها بطريقة آلية وقد وزعت الأعمال فى براعة ودقة على كافة الأجهزة ليقوم كل بدوره فالعين ترى، والأذن تسمع ، واللسان يتكلم ، والرجل تمشى، والأسنان تمضغ ، والمعدة تهضم ، والرئة تشتنشق ، وهذا يشير إلى العناية والدقة مما يجعل الإنسان يؤمن بلا تردد بعد رؤيته ونظره « إن مثل هذا الإيمان العميق ضرورى لكل مسلم ، وهو للداعى أشد ضرورة فى الوقت الحاضر ، ومع اعتماد الداعى على الله تعالى فى جميع أموره فإنه يثق بربه ثقة كاملة بأنه يحفظه وينصره، ويدفع الشرور عنه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[3] ، ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا

---

(١) سورة الإخلاص : ١ .

(٢) سورة الصافات : ٢٤ .

(٣) سورة الحج : ٣٨ .

لعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١)، ومادام الداعي ينصر الله أي ينصر دينه بالدعوة إليه ، فإن الله تعالى : ناصره قال عز وجل : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢) .

فعلى الداعي أن يتيقن ذلك ولا يشك فيه أبداً ، والداعي لا ييأس أبداً لأن اليأس حرام أن يتسرب إلى القلوب الموصول بالله ، وإنما يدخل قلوب الكافرين المنقطعة صلتهم بالله ، قال عز من قائل ﴿ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣، ٤) .

وكما حث الله تعالى الإنسان على النظر إلى النفس ، حثه كذلك على النظر إلى العالم الفسيح المملوء بالآيات البينات والعجائب الرائعة التي يجب النظر فيها قال تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (٥) ، وقال ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ ﴾ (٦) .

وقال عز من قائل : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٧) .

---

(١) الصافات : ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .
(٢) الحج : ٤٠
(٣) يوسف : ٨٧ .
(٤) أنظر : أصول الدعوة د / عبد الكريم زيدان صـ ٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ بتصرف .
(٥) يونس : ١٠١ .
(٦) آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١ .
(٧) البقرة : ١٦٤ .

إن هذه الآيات الكريمة تدعو بوضـوح إلى التـأمل والتدبر فـى آيات الله المبثوثة فى الكون : فى السموات ومافيها من الأفلاك والنجوم والمجرات وفى الأرض وماعليها من أنهار وأشجار وبحار ، وجبال وسهول ووديان وما يدب فوقـها من إنسـان وطير وحيوان وفى البحـار ومـاأجرى الله فيـهـا من فلك لحاجة الناس وقضاء مصالحهم ، والمطر الذى ينزل من السماء فيحيى الله به الأرض الميتة ، والسحـاب المسخـر بين السمـاء والأرض يحمل الخير للإنسان والحيوان والنبات .

والقرآن الكريم عندما يلفت أنظار الداعى إلى هذه الآيات المنتشرة فى صفحة الكون المملوء بالأعاجيب يدعوه إلى عقيدة التوحيد الخالص وذلك لأن التأمل والنظر فى مخلوقات الله تعالى يفتح أمام العقل آفاقاً واسعة والداعى من خلال هذه الآفاق لا يسعه إلا الإذعان لما توحى به من عظيم قدرة الله تعالى .

إن هذا الإيمان الراسخ من الداعية يؤدى حتماً إلى التوكل الدائم على الله والاستسلام له بلا تردد ، لأنه مادام قد ثبت فى نفسه ثبوتاً جازماً أنه لا فاعل إلا الله واعتقد فيه تمام الاعتقاد والعلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العناية والرحمة بجملة العباد وآحادهم ، فإنه متكل لا محالة على الله، لأن الله معه فى كل آن وحال [(١)] .

٢- قوة الصلة بالناس :

وكما وثق الداعى صلته بالله تعالى ، فعليه أيضاً أن يوثق صلته بالناس لأن دعوته تكون معهم ويرتفع شأنها ويعلو ذكرها بهم ، ومن هنا وجب على

---

(١) دراسات فى الدعوة الإسلامية : د / أحمد غلوش صـ ١٤٦ بتصرف ١٩٧٠ م .

الداعى أن يترفق بهم وأن يحنو عليهم ، فهو ابن للكبير وأخ للصغير ، يعاملهم معاملة حسنة ، لا يترفع عليهم بعلمه ومكانته ، لايفرق بين سيدهم وعبدهم ، ولا بين قويهم وضعيفهم ، ولا بين غنيهم وفقيرهم ولا بين كبيرهم وصغيرهم ، بل الكل عنده سواء .

ولا يفرق بينهم بسبب اللون أو العنصر أو الطبيعة ، وإنما التفريق بشئ خارج عن ذات الإنسان وعنصره كالإيمان أو العمل أو الذكاء .

وقد وضح الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة فقال ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١) .

وهذا الفهم عند الداعى يجعله لا يفرق بين إنسان وإنسان فى دعوته بسبب الحسب أو النسب ، فلا يقتصر دعوته على الأغنياء تاركاً الفقراء ، أو يدعو الأقوياء ويترك الضعفاء ، بل لابد أن تشمل دعوته الجميع ، لأنها دعوة عامة جاءت من أجل الجميع ، وهو مكلف من قبل الله سبحانه وتعالى بنشرها بين الناس .

ولقد أودع الله تعالى للدعاة درساً فى هذا الباب بما حدث من النبى ﷺ مع عبد الله بن أم مكتوم .

فرغم أن عبد الله كان أعمى مما جعله لا يتحقق من عمل النبى ﷺ فى مجلسه فدخل عليه طالباً التعليم فى الوقت الذى كان النبى ﷺ مشغولاً فيه بتعليم غيره من صناديد قريش ، وكونه أعمى يعطيه العذر فى عدم تقدير الوقت المناسب للسؤال ، وسبق القرشيين فى الحضور يعطى النبى ﷺ عذراً فى إمهال عبد الله لأنه أسلم من قبل ، والقرشيون لم يسلموا بعد ،

(١) الحجرات : ١٣ .

وفى إسلامهم إسلام غيرهم ، رغم ذلك فقد عوتب النبى ﷺ فى هذا الموقف حتى لا يقال إنه أهمل عبد الله لفقره وعماه واهتم بغيره لجاهه وغناه ، ولا يبقى هذا القول بعد ذلك بداية سيئة يهتم فيها الدعاة بالأشياء الظاهرة ويفرقون بين بعض الخلق وبعض بماليس لهم به سبب فقال تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ [(١)] .

والنبى ﷺ فى هذا الموقف كان يعمل للدعوة ويسعى إلى إسلام القوم وتزكيتهم باذلاً من نفسه جهداً وعملاً كما تفيده التاء فى « تصدى » والقوم الذين تصدى لهم النبى ﷺ هم عتبة وشيبة ولدا ربيعة وأبو جهل والعباس ابن عبدالمطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وهم قادة مكة ورؤساؤها مما جعل الرسول ﷺ يرجو من إسلامهم إسلام غيرهم [(٢)] .

وهذا يعطينا دليلاً على أن الإسلام يحرص دائماً على كرامة الإنسان مطلقاً مهما كان وضعه فى المجتمع .

٣- سعة الأفق :

دور الداعية فى مجتمعه هام حيث له الصدارة وعليه الفتوى ، والمناصحة والإرشاد هى مهمته ، والقدرة على كل هذا ليس أمراً هيناً ، لأنه لا يتأتى لصاحبه إلا بعد جهد شديد ، وبذل متواصل فى التفصيل العلمى والبحث الموضوعى والأفق الواسع يمكن الداعية من مهمته ، لأنه يقدم له ملكة الفهم والحكم والقدرة على مواجهة كافة الاحتمالات بسبب العلوم التى أحاط بها وعلمها [(٣)] .

---

(١) سورة عبس : ١ - ١٠ وانظر دراسات فى الدعوة الإسلامية د / أحمد غلوش صـ ١٤٨ .

(٢) تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ٤ صـ ٢١٨ .

(٣) دراسات فى الدعوة الإسلامية د / أحمد غلوش صـ ١٣٦ .

والقرآن الكريم كتاب الدعوة ودستور الداعى إلى الله تعالى ، قد حث على العلم حيث قال تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [1] .

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال : « تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ومنار أهل الجنة، وهو الأنس فى الوحشة والصاحب فى الغربة ، والمحدث فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، واللين عند الأخلاء ، ويرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم [2] .

فعلى الداعية أن يداوم على العلم كى يتسع فقهه والعلم ضرورة لأن الداعية عن طريق العلم يكتسب من المعارف ما يجعله على مستوى المسئولية يقول الإمام الغزالى : إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذاً فى نفسه ، فيكون مطلوباً لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها ، وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به [3] .

ودليل الداعية إلى ذلك كله هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، فيجب على الداعية أن يحفظ من القرآن ماستطاع ويحسن تلاوته وأن يواظب على قراءة القرآن ، مع تدبر معانيه ، ومعرفة أحكامه ، وأن يرجع إلى السنة النبوية الصحيحة .

---

(١) طه : ١١٤ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر جـ ١ صـ ٥٥ .

(٣) إحياء علوم الدين جـ ١ صـ ١٢ .

حيث أن السنة مفسرة للقرآن الكريم ومبينة لأحكامه ومفصله لمجمله ، كماعليه أيضاً أن يدرس سيرة الرسول ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين وسيرة السلف الصالح والتابعين .

وحفظ الداعية للقرآن الكريم ودراسته للسنة النبوية المشرفة وسيرة السلف الصالح تجعل عنده المقدرة على التبليغ والإرشاد ، ولذلك كان الرسول ﷺ يختبر الدعاة إلى الله عن مدى تمسكهم وتفهمهم وإحاطتهم بالقرآن الكريم .

أخرج أبو داود فى سننه ، أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذ إلى اليمن قال : « كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال أقضى بكتاب الله قال : فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله ﷺ ؟ « فإن لم تجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيى ولا آلو ، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله » [1] فإجابة معاذ بن جبل لرسول الله ﷺ تدل على معرفته التامة بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ وهكذا يجب أن يكون الداعية إلى الله تعالى على هذا المنهج ، الذى سار عليه أصحاب الرسول ﷺ ورضى الله عنهم أجمعين .

٤ – المعرفة بالمدعوين :

مما يعين على النجاح الكبير للداعية فى مجال الدعوة معرفة حال من توجه إليهم الدعوة ، من حيث نفسياتهم وأخلاقهم ، وعوائدهم فيخاطبهم بما يحقق الغرض ، ويصل به إلى المطلوب من أيسر الطرق ، ومعرفة المدعوين تحتاج إلى دراسة العلوم التالية :

(١) سنن أبى داود جـ ٢ صـ ٢٧٢ باب اجتهاد الرأى فى القضاء .

١ – علم التاريخ : ليعرف الفساد فى العقائد والأخلاق والعادات فيبنى دعوته على أساس صحيح ، ويعرف كيف تنهض الحجة ويبلغ الكلام غايته من التأثير ، وكيف يمكن نقل هؤلاء المدعوين من حال إلى حال ولهذا كان القرآن الحكيم مملوءاً بعبر التاريخ من قصص السابقين .

٢– علم الأخلاق : الذى يبحث عن الفضائل النفسية وكيفية تربية المرء عليها ، وعن النقائض وكيفية تجنبها وهو لازم لرجال الدين وللدعاة ألزم ، كى يستطيعوا معالجة النفوس وتهذيبها .

٣ – معرفة الملل والنحل ومذاهب الأمم فيها ليتيسر للداعى بيان مافيها من الباطل ، فإن من لم يتبين له بطلان ماهو عليه لا يلتفت إلى الحق الذى عليه غيره وإن دعاه إليه ، ومن لم يقف على ما عند الناس من المذاهب والتقاليد الدينية لا يستطيع أن يخاطبهم على قدر عقولهم .

٤ – علم الجغرافيا : ليعد الداعى لكل بلاد عدتها إذا أراد السفر إليها، وقد كانت الصحابة رضى الله عنهم أعلم أهل زمانهم بالتاريخ ومايسمى بعلم الجغرافيا ، ولذا أقدموا على الفتوحات ومحاربة الأمم فانتصروا عليهم بالعلم لا بالجهل .

٥ – علم النفس : ليكون الداعية على معرفة بهوى النفس وميولها وإتجاهاتها ومدى تأثرها فى المجتمع ، الذى نعيش فيه ، وهذا العلم هام لأنه يمكن الداعية من توجيه خطابه إلى النفس بما يثيرها ويناسبها .

٦ – علم الاجتماع : الذى يبحث فيه عن أحوال الأمم فى بداوتها وحضارتها ، وأسباب ضعفها وقوتها وتأخيرها وتقدمها .

٧ – العلم بلغات الأمم التى يراد دعوتها إلى الإسلام [1] فعلى الداعية

---

(١) راجع فى هذا هداية المرشدين للشيخ على محفوظ صـ ١٠٠ وما بعدها بتصرف شديد .

إلى الله تعالى أن يكون عارفاً بلغة القوم ، الذين يدعوهم إلى الإسلام ومن تعلم لغة قوم أمن شرهم ، وذلك يعطيه القدرة على مخاطبة أى قوم بلغتهم وله فى رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة ، فقد ثبت أن النبى ﷺ أمر زيد بن ثابت بإجادة السريانية ، قال زيد قال لى رسول الله ﷺ : أتحسن السريانية؟ إنها تأتينى كتب بها قال : قلت لا ، قال : تعلمها : فتعلمتها فى سبعة عشر يوماً [(١)] .

٥ – الحلم والعفو :

الحلم والعفو من أهم الأخلاق التى يجب أن يتحلى بها الداعية إلى الله تعالى ، لأن الناس كثيراً مايصدر منهم مايغضب النفوس ، ويثير القلوب ، فإذا لم يكن متحلياً بالحلم والعفو ، صدر عنه ما ينفر الناس منه ، فلا يجتمع عليه أحد « ولا يستطيع النجاح فى مهمته ، ولهذا مدح الرسول ﷺ أشج عبد القيس لما فيه من الحلم والأناة فقال : إن فيك لخلتين يحبهما الله : الحلم والأناة [(٢)] .

والداعى إلى الله تعالى عادة يتعرض لطبقات مختلفة من الناس ، منهم الخلوق المهذب ، ومنهم الشرس العنيد ، وبالحلم والعفو يستطيع الداعية أن يفسح صدره للجميع ويعامل كل واحد منهم بالقدر الذى ينفعه ، ويستفيد منه ، وهذا هو المطلوب من الداعية حتى يستطيع كسب الناس لدعوتة .

والداعية الذى يتصف بالحلم والعفو يكون مصباحاً ينير فى ظلمات الليل ، ومرشداً يهتدى المجتمع بهديه ، ويطبقون سلوكه وأقواله وأفعاله ، بل يكونون أداة فعالة فى نشر منهجه بين الناس ، وهكذا يكون الداعية فى مجتمعه ، فهو بمثابة الطبيب الذى يعالج أمراضهم ويصف لها العلاج

---

(١) راجع الربانى على مسند أحمد بن حنبل الشيبانى كتاب العلم جـ ١ صـ ١٤٥ .

(٢) رياض الصالحين صـ ٢٨٢ .

الناجح كل حسب مرضه ، وهو أيضاً الأب الحنون الذى يحنوا عليهم ويتحمل أذاهم ، ويعفوا عن إساءتهم ، قلبه يسع ، وصدره ينشرح للقائهم والجلوس معهم ، لايكن ضيق الصدر ، غليظ القلب ، بل يجب عليه أن يعفو عن الظالم وأن يصل المحروم ، ويكون حليماً مع المجتمع الذى يعيش فيه وليكن قدوته فى ذلك الرسول ﷺ ، الذى خاطبه ربه بقوله تعالى :﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١) وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالعفو فقال عز وجل : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢).

قال الإمام ابن كثير فى تفسير هذه الآية : لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » قال رسول الله ﷺ ماهذا ياجبريل ؟ قال : « إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك » (٣) .

والإمام الشافعى رحمة الله تعالى يرى أن فى العفو وعدم الحقد على الناس فيه راحة للنفس من العداوة والبغضاء ، حيث أن العفو من شيم الكرام ، وأصحاب النفوس الكبيرة ، التى لا تعرف الحقد ، وقد عبر الشافعى رحمة الله تعالى عن هذا فقال :

لما عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت نفسى من هم العداوات
أنى أحى عدوى عند رؤيته ... لأدفع الشر عنى بالتحيات
الناس داء وداء الناس قربهم ... وفى اعتزالهم قطع المودات (٤)

وقال : يخاطبنى السفيه بكل قبح ... فأكره أن أكون له مجيباً
يزيد سفاهة فأزيد حلماً ... كعود زاده الإحراق طيباً (٥)

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .

(٢) الأعراف : ١٩٩ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٢٧٧ .

(٤) الديوان للشافعى صـ ٣٨ .

(٥) المرجع السابق صـ ٣٤ .

ومن هنا وجب على الداعية أن يكون عفواً حليماً مع الناس يستطيع أن يضبط نفسه ويكظم غيظه ، ويكون رحب الصدر كثير الصبر لا يغضب لأتفه الأسباب .

٦ - مطابقة القول للعمل :

من المعروف أن نجاح الداعي في دعوته مرتبط بموافقة قوله عمله ، وعمله قوله ، لأن هذا في حد ذاته يجعل الداعي محبوباً من مجتمعه مشهوراً بين الناس بالصدق والسلوك الطيب والعمل الحسن ، ومن هنا فلا غرابة إذا التف حوله الناس وأحبوه ووقفوا بجواره ، أما إذا كان العكس وهو مخالفة القول للعمل والعمل للقول فهذا يجعل المجتمع ينفر من الداعي ويبتعد الناس عن دعوته حيث أنه يقول مالا يعمل ، ويعمل مالا يقول وقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن هذا الفعل فقال عز وجل ﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [١] .

وقد وبخ الله سبحانه وتعالى : أحبار يهود على مخالفة أفعالهم أقوالهم فقال عز وجل ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [٢] .

فالإسلام علم وعمل ، والداعي إلى الله لا ينبغي له أن يكون فعله مكذباً لقوله ، بل ما يعظ به الناس يحرص على تحقيقه في نفسه وفي بيته ، إن القدوة العملية تصيب من قلوب الناس أكثر مما تصيب الكلمة مهما كان تأثيرها ولقد حدث ذلك مع الرسول ﷺ بعد صلح الحديبية حين أمر أصحابه بالنحر والحلق .

يقول ابن القيم : فلما فرغ من قضية الكتاب ، قال رسول الله ﷺ قوموا فانحروا ثم احلقوا ، فو الله ما قام منهم رجل واحد حتى قال ثلاث

---

(١) الصف : ٢ ، ٣ .

(٢) البقرة : ٤٤ .

مرات ، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة رضى الله عنها فذكر لها مالقى من الناس ، فقالت أم سلمة : يا رسول الله ، أتحب ذلك ؟ أخرج ، ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك ، فقام فخرج ، فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً (١) .

فهذه الحادثة تبين لنا أن القدوة العملية تؤثر فى الناس أكثر من الكلام ولو كان بليغاً ، فرسول الله ﷺ أمر أصحابه بالنحر ثم الحلق وكرر لهم ذلك ثلاثاً فلم يستجب أحد منهم .

فلما قام بنفسه ونحر وحلق وطبق ذلك على نفسه أولاً أمتثل الناس له وقاموا فنحروا وحلقوا ، بل وتسابقوا فى ذلك .

فعلى الداعى أن يكون عملياً أكثر منه قولياً حتى تؤتى دعوته ثمرتها المرجوة وتنجح وتسير فى طريقها المستقيم .

٧ - الإستقامة :

الإستقامة فى الإسلام منهج متكامل جمع بين العقيدة والشريعة والدين والدنيا ، إنها تعنى القيادة الظافرة والمسيرة الحازمة المقيمة على نهج واضح ويقين ثابت ، وهى من ألزم الصفات للداعى ، الذى يدعو الناس إلى التمسك بالآداب الشرعية .

فالداعى عندما يدعو الناس للخير يجب عليه أن يكون سباقاً إلى الخير، وعندما يدعوهم إلى تطبيق أحكام الشريعة يجب عليه أن يكون مطبقاً ذلك

---

(١) زاد المعاد جـ ٢ صـ ١٣٩ .

على نفسه وأهل بيته ، وعندما ينهاهم عن الشر والفساد يجب عليه أن يكون ملتزماً بذلك النهى فلا يبيح لنفسه ما حرمه على غيره .

ولقد أمرنا الله عز وجل بالإستقامة فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (١) .

وخاطب رسول الله ﷺ بقوله عز وجل : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ (٢) .

إن الإستقامة تعنى الإيمان الكامل بالله وحده والإذعان التام لمشيئته ، والخضوع لجلاله ، والإحتكام فى كل صغيرة وكبيرة إلى دينه ، والتطبيق لشريعته وصوغ الحياة العامة والخاصة جميعاً وفق ما يأمر به وينهى عنه ولهذا قال عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٣) .

وقد حث الرسول ﷺ على الإستقامة ، فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال : قلت يارسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك قال : « قل آمنت بالله ثم استقم »(١) .

وهذه وصية جامعة ، لأنها جمعت كل ما يحتاج إليه المسلم الصادق ليحقق سعادته التى يبغيها ، فقول الرسول ﷺ قل : آمنت بالله إعلان للإيمان المطلوب من الإنسان ، والإستقامة هى دليل الصدق فى هذا الإعلان بالتطبيق العملى المبرهن على صدق القائل .

---

(١) فصلت : ٣٠ .

(٢) الشورى : ١٥ .

(٣) الأحقاف : ١٣ ، ١٤ .

(٤) زاد المعاد جـ ٢ صـ ١٣٩ .

٨ - التواضع :

على الداعى أن يكون متواضعاً من غير مذلة ، أبيا من غير تكبر ، على أحد من الناس ، وذلك لأن التواضع للناس من أعظم الوسائل التى ينشر بها دعوته بينهم ، والتواضع هو خفض الجناح والتودد للمؤمنين قال تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

يقول الإمام الشوكانى فى تفسير هذه الآية : يقال خفض جناحه إذا ألانه « وفيه استعارة حسنة والمعنى (ألن جانبك وتواضع لمن أتبعك من المؤمنين وأظهر لهم المحبة والكرامة وتجاوز عنهم) (٢) .

ومن التواضع عدم الإفتخار بالآباء والأجداد ، وعدم البغى والإعتداء ولهذا قال رسول الله ﷺ : إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغى أحد على أحد (٣) .

والتواضع يجب أن يكون مع الناس جميعاً ، الأبيض والأسود ، الغنى والفقير ، القوى والضعيف ، الحاكم والمحكوم ، لا فرق فى ذلك بين أحد من الناس قال ﷺ : « ما نقصت صدقة من مال وزاد الله عيداً بعفو إلا غزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » (٤) .

قال الإمام الشافعى رحمه الله عن التواضع : التواضع من أخلاق الكرام ، والتكبر من شيم اللئام (٥) ، لأن الكبر صفة مذمومة ذمها الله سبحانه وتعالى فقال عز وجل : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ

---

(١) الشعراء : ٢١٥ .

(٢) فتح القدير جـ ٤ صـ ١٢٠ .

(٣) سنن أبى داود جـ ٢ صـ ٥٧١ .

(٤) صحيح مسلم جـ ٢ رواه عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٥) المناقب للبيهقى جـ ٢ صـ ٢٠٠ .

عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [(١)] .

ومما لاشك فيه أن التواضع يجعل الداعية محبوباً من مجتمعه فيستمع إليه الناس ويتأثرون به ويقتدون بفعله ، كما أنه يعتبر وسيلة فعالة فى نشر دعوته بين الناس .

٩ – الشجاعة والثبات على الحق :

مما لاشك فيه أن صلة الداعية بالله تعالى ، تورث فيه الشجاعة والثبات على الحق وعدم الخوف إلا من الله عز وجل ، فلا يخاف فى الله لومة لائم وهذا بدوره يؤدى إلى نشر دعوته بين الناس ، لأن المجتمع إذا رأى داعيته شجاعاً جريئاً ثابتاً على الحق ، فإنهم يلتفون حوله ويؤيدون دعوته ، وبذلك يستطيع بشجاعته وثباته على الحق أن ينشر دعوته بين الناس .

فعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف فى الله لومة لائم » [(٢)].

فالداعى إلى الله تعالى كالطبيب الذى يراعى حالة المريض ، فيبين له وينصحه ويصف له الدواء المناسب ، والداعى لا يخشى الناس فى الحق ، بل عليه أن يوضح ويبلغ ليعرف الناس الشر ويجتنبوه ، والخير ويلزموه فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحقرن أحدكم نفسه قالوا يارسول الله وكيف يحقرن أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أن لله عليه مقالا ثم لا يقول فيه فيقول الله عز وجل يوم القيامة مامنعك أن تقول فى كذا وكذا ؟ فيقول خشية الناس فيقول فإياى كنت أحق أن تخشى » [(٣)].

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : « أوصانى خليلى بخصال

---

(١) القصص : ٨٣ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه ابن ماجه ورجاله ثقات .

من الخير أوصانى أن لا أخاف فى الله لومة لائم وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مراً »[1] .

فعلى الداعى أن يقتدى برسول الله ﷺ فى أفعاله وأقواله حيث كان لا يخشى فى الله لومة لائم وأن يقتدى بصحابته رضى الله عنهم الذين كانوا يقولون الحق ولو كان مراً ، وعليه أن لا يداهن فى دعوته من أجل جاه أو سلطان ، ولا يمالئ أصحاب البدع ، ولا يظهر الموافقة على ضلال ، لأنه قدوة للناس فى كل ما يقول ويفعل .

١٠ - الإخلاص :

الإخلاص أساس لنجاح الداعى فى دعوته إلى الله تعالى ، الإخلاص للحق ، الإخلاص للدين ، الإخلاص لمن يدعوهم ويعلمهم ، فالعمل بلا إخلاص كالجسم الذى لا روح فيه ، أما ما كان من القلب فإنه ينفذ إلى القلوب ولذلك قال الله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[2] ، وقال عز وجل : ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [3] .

وحقيقة الإخلاص أن يعمل الإنسان العمل لايريد به إلا وجه الله عز وجل ، فلا ينتظر من أحد جزاءاً أو شكوراً على هذا العمل .

فإن الداعى يكون مقبول النصيحة إذا كان خالياً من الأغراض الدنيوية، أما إذا كان عمله لشئ من هذه الأغراض فلا أثر لقوله فى قلوب الناس ، بل عليه أن يعمل لوجه الله تعالى وطلباً لمرضاته وحسن مثوبته ، وللتقرب إليه سبحانه بهذه الوسيلة العظيمة أقتداء بإمام الداعين رسول الله ﷺ ، ولايرى لنفسه منة على من يرشدهم ، وجملة القول أن من قام بالدعوة

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٢) البينة : ٥ .

(٣) الزمر : ٣ .

إلى الله تعالى لشهوة من الشهوات النفسية فذلك من حظه من عمله ، وكان عند الله مذموماً قال تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (٢) .

فينبغى للداعى أن يتحلى بالآداب الشرعية ، والإخلاص فى الدعوة إلى الله تعالى حتى يكون وارثاً نبوياً ، وعالماً ربانياً (٣) .

فأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام لم يسألوا أقوامهم أجر دعوتهم فنوح عليه السلام يقول لقومه : ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ (٤) .

وهود عليه السلام يقول لقومه : ﴿يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (٥) .

ورسول الله ﷺ يقول لقومه : ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٦) .

هذه هى الحقيقة التى يجب أن يعيشها الدعاة ، ويتأملوها ، فيبذلوا جهدهم فى نشر الدعوة إلى الله تعالى ، ولا ينتظرون من أحد أجراً على دعوتهم إنما يفعلون ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وحباً فيما عنده من الأجر الحقيقى والثواب العظيم الذى لا يفنى ولا يزول .

---

(١) الشورى : ٢٠ .
(٢) الإسراء : ١٨ ، ١٩ .
(٣) أنظر هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ .
(٤) هود : ٢٩ .
(٥) هود : ٥١ .
(٦) الشورى : ٢٣ .

١١ - الصبر :

الداعى إلى الله تعالى يحتاج إلى الصبر ، لأنه الزاد والمؤونة على تحمل المشاق فى سبيل الدعوة ، والصبر هو الطريق الذى رسمه الله سبحانه وتعالى للدعاة إليه على تحمل الصعاب والعقبات ، التى تقف أمام دعواتهم قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) .

وخاطب رسوله ﷺ بقوله ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٢) .

وظهور المعارضين فى طريق الدعوة أمر طبيعى ، فالدعوة إنما تجئ لعلاج فساد واقع فى المجتمع ، فساد فى القلوب أو فساد فى النظم ، والمعارضون يمكنون وراء هذا الفساد لتحقيق مآربهم ودفاعاً عن وجودهم وإستبقاء للجو الذى يملكون أن يتنفسوا فيه ، ويمكنهم أن يعارضوا كل جديد يأتى إليهم ، ولو كان فيه صالحهم العام .

فعلى الداعى إلى الله أن يوطن نفسه على تحمل ما يلاقى من العنت من أعدائه حين يدعوهم إلى الحق ، الذى لم يعرفوه ، ويريد إخراجهم من الباطل الذى ألفوه ، لابد للداعية من أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه حتى يكون مستعداً لكل ما يطرأ عليه أثناد تبليغ دعوته إلى الناس ، وأنبياء الله عليهم السلام لاقوا من أقوامهم أذى واضطهاد كثيراً ومع ذلك صبروا علي هذا الأذى والاضطهاد ، فسيدنا نوح عليه السلام تحمل أذى قومه وسخريتهم منه وهو يصنع السفينة واستهزائهم به ووصفهم له بالجنون قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴾ (٣) .

---

(١) البقرة : ١٥٣ .

(٢) الأحقاف : ٣٥ .

(٣) القمر ٩ ، ١٠ .

فيستجيب له عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (١)، وسيدنا إبراهيم عليه السلام ألقى فى النار بسبب دعوته قومه إلى عبادة الله تعالى وترك ما هم فيه من عبادة الأصنام فخاطب الله تعالى عز وجل النار قائلاً: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢)، وسيدنا موسى عليه السلام أوذى إيذاءاً شديداً فى سبيل الدعوة إلى الله تعالى وقال الله فى حقه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (٣)، وسيدنا محمد ﷺ إمام الدعاة إلى الله تحمل من الأذى فى سبيل الدعوة مالايتحمله أحد ومع ذلك أوصاه الله بالصبر فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (٤).

أمره الله تعالى بالثبات فى مقام الدعوة إليه، والصبر على ما كان يصيبه فى الله من أذى المكذبين الجاحدين من قومه، والاقتداء فى هذا الثبات بأرباب الجلد والصبر على القيام بأمر الله من رسله الذين لم يضعف من عزائمهم فى مقام الإرشاد ماكان ينزل بهم من ضروب الأذى، وأنواع الشدائد والمحن ونهاه عن الدعاء على كفار قريش بتعجيل العذاب فإنه نازل بهم لا حمالة وإن تأخر.

وبالجملة فقد احتمل صلوات الله وسلامه عليه فى دعوته إلى الحق كثيراً من الشدائد والأذى وما كان شئ من ذلك يضعف من عزيمته أو يسبطه من دعوته، فكذلك الداعى إلى الحق يجب عليه أن يوطن نفسه على

(١) الصافات: ٧٥، ٧٦.
(٢) الأنبياء: ٦٩.
(٣) الأحزاب: ٦٩.
(٤) الأحقاف: ٣٥.

أحتمال المكاره ويواصل السير فى سبيله مهما لاقى من صعاب وناله من أذى [1] .

وفى وصية لقمان الحكيم لأبنه درس للدعاه على مر العصور والأزمان أن يتجملوا بالصبر لما يصيبهم قال تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[2].

فإقامة الصلاة إعداد للنفس وتعويدها على طاعة الله تعالى ، والإنسان عندما يدعو الناس إلى الخير ، يتصدى له أهل الشر ويناله منهم الأذى والاضطهاد .

ولذلك أمره أن يتحمل ويتجمل بالصبر فى سبيل دعوته إلى الخير ونهيه عن الشر ، وهكذا نجد أن الصبر على الأذى سلاح قوى يستعين به الدعاة إلى الله تعالى فيصلون إلى ما يريدون وقد وعدهم الله تعالى على صبرهم أجراً عظيماً فقال عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3].

١٢ – العناية بمظهره :

إن صفات الداعية الخلقية والعناية بمظهره الخارجى ولباسه ونظافته أمر هام ، حيث أنها تلعب دوراً هاماً فى جذب الناس نحوه وإلتفافهم حوله وتأثيره فيهم .

والإسلام أمرنا بهذا حيث قال الله سبحانه وتعالى ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [4] .

---

(١) أنظر هداية المرشدين للشيخ على محفوظ صـ ١٠٩ ، ١١٠ بتصرف .
(٢) لقمان : ١٧ .
(٣) الزمر : ١٠ .
(٤) الأعراف : ٣١ .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [١] والإسلام دين السماحة أباح للمسلم أن يظهر فى ملبسه وهندامه أمام المجتمع بمظهر لائق كريم ، والداعى إلى الله تعالى أولى بذلك لأنه قدوة لمجتمعه ، ومن عناية الإسلام بالمظهر أمر المسلم بالنظافة ، لأنها الأساس لكل زينة حسنة : قال رسول الله ﷺ : « تنظفوا فإن الإسلام نظيف » [٢] .

فعلى الداعى إلى الله تعالى أن يهتم بمظهره الإسلامى العام ، فلا يبدو مخالفاً لسنة مشهورة أو متخلفاً عن خير يدعو الناس إليه ، كما يجب عليه أن يكون نموذجاً لما يدعو إليه مطبقاً له فى سلوكه وخلقه ومعاملاته متخلقاً بأخلاق القرآن الكريم فى كل ما يدعو إليه .

---

(١) البقرة : ٢٢٢ .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه

المبحث الثانى

المدعو

من المعلوم أن الناس يختلفون فى مشاربهم ومآربهم ، كما يختلفون فى بيئاتهم وعقائدهم ، وعلى الداعية أن يتخذ الوسائل النافعة التى ترغبهم فيما يدعوهم إليه ، ويسلك الطرق المؤدية إلى هدايتهم وجذبهم إلى الحق ليتمكن فى النهاية من الوصول إلى غايته المأمولة (١) .

وإذا نظرنا إلى المدعوين نجد أنهم طوائف شتى فمنهم المؤمنون ومنهم المسلمون ، ومنهم العاصون ، ومنهم الكافرون ، ومنهم المشركون ، ، ومنهم المنافقون ، ومنهم أهل الكتاب ، ومنهم الملحدون ، ومنهم الوثنيون ، ولكل طائفة من هؤلاء أسلوب ووسائل على الداعية أن يتحراها ويقف عليها حتى تؤتى الدعوة ثمرتها المرجوة منها .

فالمؤمنون:

هم الذين آمنوا بالله عز وجل وصدقوا برسالة النبى ﷺ ففازوا بالحسنى ، حيث أنهم أعملوا عقولهم ، وفكروا فى بارئهم ، فآمنوا به وحده وصدقوا بآياته ، وعبدوه عبادة خالصة ، لا يشركون معه غيره فى العبادة ، فهم لذلك فى خشية منه وترقب ، تركوا كل مايبعدهم عن طريقة بالطاعة وتنفيذ الأوامر وإجتناب النواهى والإنفاق فى سبيله أملاً فى رحمته وعفوه .

والقرآن الكريم عندما يخاطب المؤمنين ، يحرك الإيمان فى قلوبهم ، ثم يخوفهم من عقاب الله تعالى ، الذى أعده للعصاة والمتمردين نقرأ ذلك في قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٢) .

---

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة د / محمد السيد الوكيل صـ ٤٤ .

(٢) التحريم : ٦ .

فالآية الكريمة تناديهم بأسم الإيمان ، ثم يصدر بعدها الأمر المخيف المفزع فيذكرهم بالنار ، وأى نار هذه ؟ إنها ليست كنار الدنيا توقد بالحطب أو بالنفط ، إنما هى نار من نوع آخر لم يره الناس من قبل ، إن وقودها الناس و الحجارة سواء بسواء ، ففيها فوق العذاب ، مهانة وذل ، حيث يكون الناس فيها كالحجارة لا قيمة ولا وزن ، وهناك حراس شداد فلا شفقة بالمعذبين ، ولا رحمة يطمع فيها المذنبون ، ثم هم طائعون لا يعصون فى أمراً ولا يتقاعسون عند طلب .

ثم ييئس الكافرين من رحمته ، ويقطع أملهم فى عفوه فيقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1]. وعلى أثر التيئيس يفتح للمؤمنين باب الأمل ، ويناديهم مرة أخرى محركاً الإيمان فى قلوبهم ، يدعوهم إلى التوبة ، ويمنيهم إن هم أنابوا إليه بغفران الذنوب وجنات النعيم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [2] .

بهذا العرض لهذا الهول المخيف يحذر المؤمنين ، وبهذا الأمل فى رحمته ورضوانه يجمع المؤمنين إذا شردوا ، ويردهم إلى الحق إذا أنصرفوا ، ويخاطب قلوبهم إذا قست ، فإذا هى ألين من الماء فتتلفت حولها فلا تجد ملجأ منه إلا إليه [3] .

وهؤلاء المؤمنون الخاشعون يعجل الله لهم الخير فى الدنيا ، ويؤخر لهم الثواب الكبير فى الآخرة ، فقد قدموا العمل ، فلابد أن يأخذوا الأجر ، وهم سباقون إلى الخير فيستحقون التعجيل لهم بالنعمة ، إلى جانب ما أعد لهم من الثواب والمغفرة .

(١) التحريم : ٧ .
(٢) التحريم : ٨ .
(٣) أسلوب الدعوة وآداب الدعاة د / محمد السيد الوكيل صـ ٤٨ ، ٤٩ .

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (١) . وهكذا كان الفريق المؤمن ممثلاً للمستجيبين للدعوة الحقة من قبل الله تعالى .

وأما المسلمون :

فقد وجه القرآن الكريم أنظارهم فى كل لحظة وحين إلى الطبيعة وتسخيرها لبنى الإنسان قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (٢) .

وقال عز من قائل : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣) .

وقال عز وجل : ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (٤). وقال أيضاً : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (٥) .

---

(١) المؤمنون : ٥٧ - ٦١ .

(٢) لقمان : ٢٠ .

(٣) النحل : ١٢ .

(٤) الغاشية : ١٧ - ٢٠ .

(٥) ق : ٦ - ١١ .

كذلك وجه القرآن الكريم أنظارهم إلى مخلوقات الله تعالى ، والشكر عليها إنما يتمثل فى أن يعرفوا سنن الله فى الكون ، حتى يروا الإبداع والتكوين الدقيق والتنسيق الذى يدل دلالة واضحة على المبدع المكون المنسق على الله الخالق عز وجل قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

كما بصرهم بمصارع الأمم السابقة التى أشركت بالله ، وكفرت برسالاته ، وكذبت أنبياءه ورسله ، وما جرى لهم من العذاب الأليم والخسف والهوان والذلة .

والعصاة :

ينظر إليهم الداعى نظرة إشفاق ورحمة فهو ، يراهم كالواقفين على حافة واد عميق سحيق فى ليلة ظلماء ، يخاف عليهم من السقوط ، ويعمل جهده لتخليصهم من الهلاك ، وهو فى سبيل هذه الغاية ، يتجاوز عن حقه إن كانت معصيتهم فى حقه ولا يعيرهم ولا يشمت بهم ، ولا يحتقرهم افتخاراً بنفسه عليهم ، ولكن له أن يستصغرهم لمعصيتهم وتجاوزهم حدود الشرع وأن يغضب لهذا التجاوز .

قالت عائشة رضى الله عنها : « ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط ولانيل منه شئ فانتقم لنفسه إلا أن تنتهك محارم الله ، فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شئ حتى ينتقم لله » ، ومن محارم الله التى يغضب لها

---

(١) يونس : ٢٢ .

المسلم ، محاربة العصاة الدعوة إلى الله والصد عن سبيله وإلحاق الأذى بالدعاة حتى يمتنعوا عن القيام بواجب الدعوة ، ففى هذه الأحوال ونحوها يجوز للداعى أن يسلك مع هؤلاء العصاة ما يكف به ضررهم عن الدعوة والدعاة بالقدر الذى يبيحه الشرع ، على أن لا يتجاوز هذا القدر ، وأن يتوسل بالأسهل فالأسهل من وسائل كف ضررهم ، مع رغبته التامة فى هدايتهم وصلاحهم [1] .

وقد وجه القرآن الكريم أنظارهم إلى الإقلاع عن المعاصى إذا وقعت عن جهل بها والمبادرة بالرجوع إلى الله والتوبة فإن الله تعالى يقبل المتائبين ويغفر للمسيئين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [2] .

قال قتال عن أبى العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون : كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة ، وعن مجاهد قال : كل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها ، وعن ابن عباس : من جهالته عمل السوء [3].

وموقف الداعى من العصاة أن يذكرهم بالله عز وجل ، ثم يخوفهم من العقاب الذى أعده الله للعصاة والمذنبين ، ويرغبهم فى الثواب العظيم الذى أعده الله تعالى للتائبين .

فيصف لهم النار وعذابها ، والجنة ونعيمها ، ومن هنا يرجعون إلى الحق والهدى ، ويعودون إلى الصراط المستقيم .

---

(١) أصول الدعوة د / عبد الكريم زيدان صـ ٣٩٤ .

(٢) النساء : ١٧ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ صـ ٤٦٣ .

والكافرون :

نجد أن القرآن الكريم اتخذ فى مناقشتهم أسلوب المنطق ، وقصص الأنبياء السابقين ، وما حدث لأقوامهم عندما لم يستجيبوا لما يدعون إليه ، وذلك لإقناعهم وإعادتهم إلى رحاب الحق والإيمان الصحيح ، فسيدنا نوح عليه السلام دعا قومه إلى توحيد الله ، وإخلاص عبادته قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[1] .

فذكرهم بالحقيقة الكبرى التى تكررت على لسان كل الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى أقوامهم ، من لدن سيدنا نوح إلى سيدنا محمد ﷺ ولم يكتف بذلك ، بل أتى لهم بالأدلة والبراهين والحجج القاطعة على صدقه ولكن ذلك لم يرض كبراءهم ، فامتنعوا عن دعوته وحاولوا منع بقية القوم عن طاعته بل وحرضوهم على الكفر بدعوته ، والتكذيب بكل ما جاء به ، مدعين أنه بشر مثلهم ، يريد أن يتخذ لنفسه مكان الرئاسة فيهم .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾[2] .

وكذلك الحال بالنسبة لقوم سيدنا هود عليه السلام عندما دعاهم إلى عبادة الله وترك ماهم عليه من الكفر والضلال قال عز وجل : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ

(١) المؤمنون : ٢٣ .

(٢) المؤمنون : ٢٤ .

الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ (١) .

وقالت ثمود ما قالت عاد من قبل عندما دعاهم سيدنا صالح عليه السلام إلى عبادة الله وتوحيده وجاء لهم بالأدلة والبرهان الواضح قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٢) .

ونفس الشئ بالنسبة لقوم سيدنا شعيب عليه السلام قال تعالى مخبراً عنهم وعن موقفهم من دعوته : ﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾ (٣) .

وقال عز من قائل عن موقف فرعون وقومه من دعوة سيدنا موسى عليه السلام ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ * فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ * فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ (٤) .

ثم يأتى دور الكافرين من قريش ، الذين وقفوا بكا ما أوتوا من قوة فى طريق الدعوة إلى الله وصدوا عنها كل من يريد الدخول فيها وبذلوا وضحوا بكل غال ونفيس كى لا تنتشر هذه الدعوة ، فتفننوا فى ألوان التعذيب والسخرية والإستهزاء بصاحب الدعوة ﷺ ومن تبعه من المؤمنين .

قال تعالى : ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ

---

(١)الأعراف : ٦٥ - ٦٨ .

(٢) الأعراف : ٧٣ - ٧٦ .

(٣) الأعراف : ٩٠ .

(٤)المؤمنون : ٤٥ - ٤٨ .

كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ (١) .

والملأ فى الآية الكريمة هم سادة قريش وقادتها ورؤساها وكبراؤها ، قالوا لقومهم : استمروا على دينكم ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد ﷺ من التوحيد (٢) .

قال ابن جرير فى معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ : إن الملأ قالوا إن هذا الذى يدعونا إليه محمد ﷺ من التوحيد لشئ يريد به الشرف عليكم والإستعلاء وأن يكون له منكم أتباع ولسنا نجيبه (٣) .

ولقد أشار القرآن الكريم فى عدة آيات إلى أن الكفار يعترفون بوجود إله خالق مدبر للكون ، كقوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤) .

كقوله عز وجل : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ (٥) .

ولكن الكفار مع اعترافهم بوجود الإله الخالق قد وقعوا فى خطأ جسيم أدى بهم إلى الكفر ، وهو اعتقادهم بوجود آلهة أخرى ثانوية مع المولى عز وجل ، لتشفع لهم عنده .

قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ

---

(١) ص : ٤ - ٧ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٢٧ .
(٣) المرجع السابق جـ ٤ صـ ٢٧ .
(٤) الزخرف : ٩ .
(٥) العنكبوت : ٦٣ .

هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

وقـال تعـالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٢) .

وقال عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (٣) .

وقال جلت حكمته : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ (٤).

ومن هنا فليحرص الداعية إلى الله تعالى على أن يتخذ رسول الله ﷺ قدوة فيدرس سيرته دراسة تمكنه من الوقوف على الأساليب التى كان يدعو بها الناس ، وليتعلم الصبر من السيرة العطرة ، لأنه لابد من عقبات تواجه الدعـاة فى طريق دعـوتهم إلى الله وهذه سنة الله ولن تجـد لسنة الله تبديلاً (٥).

والمشركون :

إن الحقيقة الكبرى فى القرآن الكريم هى الدعوة إلى التوحيد ، توحيد الله وحده ، عباده إله واحد خالق قادر رازق ، له ملك السموات والأرض وما بينهما : هى إعلان الحرب على الشرك والمشركين ، المشركين بالله غيره من

---

(١) يونس : ١٨ .

(٢) القصص : ٦٢ .

(٣) الزمر : ٣ .

(٤) يونس : ٢٨ .

(٥) أسس الدعوة وآداب الدعاة د / محمد السيد الوكيل صـ ٤٧ .

شتى المعبودات والآلهة ، وأدلة التوحيد فى القرآن الكريم ظاهرة واضحة كثيرة : فقد خاطب الله العقل وبصره بوحدانية الله وألوهيته ، بكل حجة ودليل ، وأنظر إلى قول الله تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾(١) .

وخاطب الله عز وجل الوجدان ونبهه إلى توحيد الله ولفته إلى مشاهد الكون الدالة على وجود الله وألوهيته وقدرته ووحدانيته .

قال تعالى : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (٢) .

كما بين عجز الإنسان وما خلق أمام قدرة الله العلى العظيم وما أنشأ من أرض وسموات وكواكب ونجوم وألوان علوية وسفلية قال تعالى : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٣) .

وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (٤) .

هذا التوحيد الذى يتنكر له مشركوا اليوم فينفون وجود الله ويحاربون الإيمان ، ويعبدون الظنون والأوهام والأباطيل ويفترون على الله الكذب وهم يعلمون (٥) .

والقرآن الكريم عندما يناقش المشركين يواجههم بالحقيقة التى يعترفون

---

(١) يونس : ٣١ - ٣٢ .

(٢) الغاشية : ١٧ - ٢٠ .

(٣) الحج : ٧٤ .　　　　(٤) الحج : ٧٣

(٥) أنظر الرد على المشركين د / محمد عبد المنعم خفاجى صـ ٤٥ وما بعدها بتصرف .

بها ، وهى أن المولى تبارك وتعالى هو وحده الخالق لجميع الكائنات التى تقع تحت أبصارهم والتى لا ترى ولا تنظر ، لأنها كائنات دقيقة لا تشاهد بالعين المجردة ، فيدعوهم على أساس تلك المعرفة إلى توحيد المولى عز وجل وعدم الشرك به وأفراده بالعبادة ، فلا يجوز أن يتساوى الذى لم يخلق شيئاً مع الخالق لكل شئ قال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾(١) .

وإنه لمن الجهل والسفه أن يتوجه الإنسان بالدعاء إلى من لا يستجيب ، بل ولا يسمع الدعاء قال عزو جل ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ (٢) .

ومن الجحود بالنعم التى أنعم الله بها على الإنسان ، أن يشرك به من لا يملك نفعاً ولا ضراً قال عز من قائل :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾(٣) .

وقال جل فى علاه : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٤) .

وقال جلت حكمته : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٥) .

وإذا نظرنا إلى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام نجد أنهم قد

(١) النحل : ١٧ .
(٢) الأحقاف : ٥ .
(٣) النحل : ٥٣ ، ٥٤ .
(٤) الرعد : ١٦ .
(٥) النمل : ٦٢

أجمعوا على وحدانية الله تعالى ، من لدن سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ ، كما نجد أن الجملة التى وجهها كل نبى إلى قومه هى ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾(١) .

وبهذه الجولة مع المشركين يحقق القرآن الكريم المثالية ، التى يجب أن يحتذيها الدعاة إلى الله ويسيروا على نهجها فى مخاطبة الناس الذين توجه إليهم الدعوة .

والمنافقون :

هم الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، وهم أشد خطراً من الكافرين ، إذ الكافرون أمرهم معلوم ، أما المنافقون فأمرهم غير معلوم ، حيث أنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر وهذا نوع من الخداع والخبث ولهذا قال الله فى حقهم : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٢) .

وكان جزاؤهم جزاء وفاقاً على حسب أعمالهم وهى الكفر والنفاق والخداع والمراوغة فقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾ (٣) .

ولقد حذر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ من المنافقين وأمره بجهادهم فقال جلت حكمته : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(٤) ، وهذا أن دل فإنما يدل على خطر النفاق والمنافقين فى المجتمع الإسلامى .

علامات المنافق وصفاته :

---

(١) الأعراف : ٥٩ .

(٢) النساء : ١٤٢ .

(٣) النساء : ١٤٥

(٤) التحريم : ٩ .

للمنافق علامات وصفات يمكن حصرها فيما يأتى :

١ - مرض القلوب ، قال تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [١] ومرض القلب نوع من الفساد .

٢ - الإفساد فى الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾[٢] ، فهم يفسدون ولا يشعرون أنهم مفسدون بل ويحسبون أنفسهم من المصلحين والفساد هو الكفر قولا وعملاً وعمل المعصية والأمر بها .

٣ - رميهم المؤمنين بالسفه ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [٣] والسفيه هو الجاهل الضعيف الرأى القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار.

٤ - اللدد فى الخصومة والعزة بالإثم ، قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [٤] ، فالمنافق يأتى بالقول الجيد يلوى لسانه به ويظهر الإسلام ويشهد الله والمؤمنين أن الذى فى قلبه موافق للسانه وهو ألد الخصام أى أعوج فى خصامه .

---

(١) البقرة : ١٠ .

(٢) البقرة : ١١ ، ١٢ .

(٣) البقرة : ١٣ .

(٤) البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٦ .

٥ - موالاة الكافرين والتربص بالمؤمنين قال تعالى : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾(١) فالمنافق يوالى الكافرين أى ينصرهم ويودهم إذا خلا بهم : إنى معكم ، فهو فى الحقيقة منهم .

٦ - الخداع والرياء والتكاسل عن أداء العبادات ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(٢) .

٧ - الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف ، قال تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾(٣)، ومن صفات المنافقين الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف لأن نفوسهم المريضة لم تعد ترغب فى رؤية الخير يعمله الناس ، فهم يحبون أن يشيع الشر والمنكر بين الناس .

٨ - الغدر والخيانة وعدم الوفاء بالعهد ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾(٤) ومن صفات المنافقين الغدر والخيانة وعدم الوفاء بالعهد حتى مع الله جل جلاله (٥) .

---

(١) النساء : ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) النساء : ١٤٢ .

(٣) التوبة : ٦٧ - ٦٨ .

(٤) التوبة : ٧٥ - ٧٧ .

(٥) أصول الدعوة د / عبد الكريم زيدان ص ٣٨٤ وما بعدها بتصرف شديد .

ولقد نبه الله عز وجل نبيه ﷺ على مكر المنافقين ، وخداعهم فقال عز من قائل : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(١) .

فقد فضح طرائقهم فى الخداع ، وبين أن الدعوة الإسلامية لا تستفيد منهم ، بل على العكس من ذلك فإنها تتضرر منهم ، فلا يليق أن تعتمد عليهم ، إذ هم ليسوا أهلاً لذلك ، بل إنهم يدبرون المكائد والدسائس ضد الدعوة الإسلامية لتقويض أركانها فاحذرهم .

وعلى الداعية إلى الله تعالى أن يحذرالمنافقين فى خداعهم ومكرهم وخبثهم وأن يكون فى دعوته لهم على حذر ، وأن يبين لهم نتيجة النفاق وما حدث للمنافقين المخادعين من قبل وأن الله تعالى أهلكهم جزاء نفاقهم وخداعهم للمؤمنين ولله من قبل ، وأن يكون له القدوة فى رسول الله ﷺ فعلى الداعية أن يدرس سيرته وسنته الشريفة كى يقف على الطريقة الصحيحة فى دعوة المنافقين وتصحيح مفاهيمهم الباطلة وموقفهم ضد الدعوة الإسلامية .

وأهل الكتاب :

من اليهود والنصارى يردهم الداعية إلى كتابهم الحق ، الذى جاءت به رسلهم من قبل الله تعالى ، ويذكرهم بأقوال رسلهم الذين بعثهم الله إليهم ، ثم يوضح لهم أن الرسل كلهم اصطفاهم الله تعالى من خلقه وجعلهم الواسطة بينه وبين عباده فيما يبلغونه إليهم من أوامر ونواهى وأن الواجب عليهم وعلى الناس جميعاً أن يؤمنوا بكل الرسل بلا استثناء ، لأن الله عز وجل هو الذى أمر بالإيمان بهم دون تفرقة بين أحد منهم .

---
(١)المنافقون : ٤ .

قال عز من قائل : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

فإذا أجابوا الداعى إلى ما دعاهم إليه يشرح لهم العقيدة الصحيحة ، التى جاءت بها الرسل من عند الله تعالى من لدن سيدنا آدم إلى سيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام ، ثم يبين لهم مبادئ الإسلام وما يدعوا إليه هذا الدين من الإيمان بالله سبحانه وتعالى وعدم الشرك به وأنه هو المتفرد بالألوهية والربوبية والمتنزه عن الصاحبة والولد ، ثم يوضح لهم أن الإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله لجميع الرسل حيث قال تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ (٢) ، ومن يرغب عن هذا الدين ويتبع ديناً آخر فلن يقبل منه يوم القيامة ، ثم يكون من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم قال جل وعلا : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) .

وللقرآن الكريم أسلوب فريد فى دعوة أهل الكتاب إلى اتباع الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) البقرة : ٢٨٥ .

(٢) آل عمران : ١٩ .

(٣) آل عمران : ٨٥ .

(٤) الأعراف : ١٥٦ - ١٥٧ .

فهاتان الآيتان تبين صفات الذين سيشملهم الله برحمته ومن بينهم أهل الكتاب الذين يعتنقون الإسلام ويتبعون الرسول محمداً ﷺ ، حيث أن **صفاته مكتوبة عندهم في التوراة والإنجيل ، فالرسول ﷺ يأمرهم بالمعروف،** وهو ما تعارف عليه الناس من الخير والعمل الصالح ، وينهاهم عن المنكر ، وهو كل ما تذكره العقول لقبحه وضرره ، وهو أيضاً يحلل لهم الطيبات من الأطعمة والأغذية النافعة ، ويحرم عليهم الخبائث لما فيها من القذارة والضرر، كما إنه يرفع عنهم الإصر وهو الثقل الذى يمنع صاحبه من الحركة، أى أن التكاليف الشرعية الشاقة التى أوجبها الله على بنى إسرائيل بسبب سوء سلوكهم هى بمثابة الأغلال التى تقيد من حريتهم ، فجاء الإسلام بشريعته التى تحمل اليسر والخير للجماعة ، فالذين يؤمنون بمحمد ﷺ ويحمونه وشريعته من كل عدو وينصرونه ويتبعون النور الذى أنزل معه فأولئك هم الفائزون بالرحمة العظمى [١] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [٢].

فالآية الكريمة تنادى أهل الكتاب من اليهود والنصارى وتدعوهم إلى مراجعة أنفسهم والتأمل فيما يدعوهم إليه الإسلام على لسان الرسول ﷺ ، لعلهم يعودوا إلى الحق ويذعنوا له ، فقد دعا إليه أنبياؤهم من قبل سيدنا موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم عليهم السلام جميعاً ، والكلمة السواء هى توحيد الله تعالى وعدم الشرك به ، وعدم إتخاذ أرباب من دون الله تعالى ، كما فعل اليهود عندما قالوا عزيز بن الله ، وكما

---

(١) اليهود فى القرآن عفيف عبد الفتاح طبارة صـ ٦٤ - ٦٥ .

(٢) آل عمران : ٦٤ .

قالت النصارى المسيح بن الله ، بل وصلوا به إلى مرتبة الألوهية وهذا شرك بالله عز وجل قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (١) ، وقوله ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾ (٢)، وقوله ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٣) .

وإذا نظرنا إلى أهل الكتاب وجدنا أن الحقد يملأ قلوبهم من ناحية الرسول ﷺ ، إذ كيف يدعوهم إلى هذا الدين نبى من الأميين ، حيث كانوا يتطلعون أن تكون النبوة فيهم ومنهم ، ولما وجدوا أن النبوة ذهبت إلى غيرهم حقدوا عليه وناصبوا الدين الخاتم العداء ورصدوا كل ما يملكون من أجل الوقوف فى طريقه وصد كل من يريد الدخول فيه وهم يعلمون علم اليقين أنه الحق الذى ارتضاه الله للعالمين قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

وهذا النداء من الله عز وجل فى القرآن الكريم لأهل الكتاب يلزمهم بالإيمان بالله تعالى وعدم الكفر به وإتخاذ شركاء من دونه ، وأيضاً الإيمان برسوله ﷺ وبما جاء به من عند الله تعالى لأنه الحق وهم يعرفون ذلك حق المعرفة قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) الأنبياء : ٢٢ .

(٢) الإسراء : ٤٢ .

(٣) المؤمنون : ٩١ .

(٤) آل عمران : ٩٨ - ٩٩ .

(٥) البقرة : ١٤٦ .

وبهذه الجولة مع أهل الكتاب يحقق القرآن الكريم المثالية ، التى يجب على الدعاة إلى الله عز وجل أن يطبقوها ويسيروا على نهجها وأن يقتدوا برسول ﷺ فى دعوته لأهل الكتاب إلى الإسلام ، الذى ارتضاه الله للعالمين.

والذى نستخلصه من كل ما تقدم أن القرآن الكريم جادل أهل الكتاب فعرض لفكرة إتخاذ ولد فدحضها ، وهدم قواعدها وكان له فى ذلك أساليب مختلفة ، فتارة يبين لهم استحالة ذلك لأن الولد لا يكون إلا إذا كانت هناك زوجة والله عز وجل منزه عن ذلك قال تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ (١) ، وتارة يوضح لهم أن الله مستغن عن الولد والشريك لأن الولد إنما يطلب للحاجة إليه ، والله تعالى خالق كل شئ ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٢) ، كما عرض القرآن الكريم لفكرة ألوهية المسيح عليه السلام عند النصارى فمحقها وكان له فى ذلك أسلوبه المتميز ، مرة بإثبات صفات المسيح التى لا تتفق مع الألوهية .

قال تعالى :﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ (٣) ، فكيف يكون المحتاج إلى طعام إلهاً ؟

ومرة بإقرار المسيح نفسه بأنه عبد الله قال تعالى على لسان المسيح : ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (٤) .

---

(١)الأنعام : ١٠١ .
(٢) الأنعام : ١٠٢ .
(٣)المائدة : ٧٥ .
(٤) آل عمران : ٥١ .

والملحدون :

هم الذين أنكروا وجود الخالق سبحانه وتعالى ، والواجب على الدعاة أن يكونوا على علم تام بمبادئهم وأفكارهم ، وأن يدرسوها دراسة وافية تمكنهم من الوقوف على الثغرات والأخطاء التى تشتمل عليها ، وعلى الدعاة عدم استعمال الأدلة النقلية فى مناقشة هؤلاء الملاحدة بل يركزون على الأدلة العقلية التى لا يستطيعون ردها ، حتى يستطيعوا تبديد شبهاتهم وتمزيق الحجاب الحائل بينهم وبين اتباع الحق (١) .

لقد وقف الملاحدة الماديون ينكرون وجود الخالق الرازق زاعمين أن الحياة لهو وهراء ، وأنها عبث ومتعة ، ولا جزاء بعدها ولا محاسب ، وأنهم جاءوا إلى الحياة ليتمتعوا بأنواع المتع البهيمية خالصة لهم ، وأن يسلكوا فى الحياة المسلك الذى يشاءونه ، وأن يضعوا لأنفسهم القوانين التى تحكمهم حسب أهوائهم ، وعبثهم ، وأن المسئولية عليهم فى حياتهم هى موافقتهم لأغراض المجتمع الذى يعيشون فيه ، دون أن تكون عليهم جريرة فيما بعد ، فالدين حيلة يلجأ إليها لتحذير الشخص حتى يتنازل عن ملذاته وأن الدين لا يعبر إلا عن ضعف الإنسان أمام مظاهر الطبيعة والخوف والرهبة التى تدفعه إلى التفكير فيمن يحميه من المغيبان وهذا فى رأى الماديين خرافة (٢) .

والإسلام على عكس ذلك تماماً فهو يدعو إلى الدين والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والثقة بالمثل العليا والاعتزاز بالفضائل الإنسانية وبالقيم الروحية ، وأساس الحياة هى الروح والمادة تبع لها ، حيث أن الروح

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة د / محمد السيد الوكيل صـ ٤٥ .

(٢) الله : عباس محمود العقاد صـ ٢٢ ، ٤٢ ، ٥٦ بتصرف .

ناجت ربها فى الأزل وعاهدته على الإيمان بالدين قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ (١) .

والإيمان بالله تعالى وأنه موجود بلا موجد أمر يدركه الإنسان بفطرته السليمة ، التى خلقها الله فيه ، فقد سئل أعرابى ما الدليل على وجود الله ، فقال : البعرة تدل على البعير ، وأثر الأقدام يدل على المسير ، وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج أفلا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟

وقد سئل الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : ما الدليل على وجود الله ؟ فقال : ورقة التوت طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم فقالوا نعم فقال : فتأكلها دودة القز فيخرج منها إلا بريسم والنحل فيخرج منها العسل والشاة فيخرج منها البعر ، وتأكلها الظباء فينعقد فى نوافجها المسك فمن الذى جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد ؟ فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا (٢) .

ومن هنا فالواجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يستخدموا مع الملحدين الأدلة العقلية التى تبرهن على وجود الخالق عز وجل ، فكل ما فى الكون من سماء وأرض وما فيهما وما بينهما يدعو إلى الإيمان بالله ، وإلى عبادته فهو الذى أمد الإنسان بكل مافى الحياة من خير ، ورسم له طريق الهداية والفلاح قال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) الأعراف : ١٧٢ .

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ ١ صـ ٣١٤ .

(٣) الرعد : ٤ .

إن الإنسان يرى قطعاً متجاورة من الأرض ، ولكنها مختلفة كل الإختلاف هذه حجارة صلدة ، وتلك سبخة نكدة ، وهذه خصبة طيبة من الذى أعطى كلا منها صفاتها وخصائصها ؟ وهذه جنات من أعناب تتفاوت كل جنة منها فى نوع محصولها وفى حجمه ولونه ومذاقه ، والزرع والنخيل كذلك متفاوت فى خلقته وطوله وشكله والشئ الذى يدهش العقول ويحير النفوس أن هذه الجنات جميعها تسقى بماء واحد ، ومزروعة فى مكان واحد ، ومع ذلك تختلف وتتفاوت هذا التفاوت العجيب ، إن أى عقل لا يستطيع السكوت أمام هذه اللوحه الرائعة المتناسقة فى مناظرها المتفاوتة فى وحدتها من حيث الشكل والثمرة والطعم فيتسائل : من الذى نسقها وأتقنها ؟ ومن الذى أعطى كل شئ منها خصائصه ومميزاته مع وحدة التربة والماء ؟ يكون الجواب بلا شك وبلا تردد أن الذى يفعل ذلك هو الواحد القاهر القادر والمدبر لهذا الكون بحكمته البالغة (١) .

وهناك آيات كثيرة تدلل على وجود الخالق عز وجل قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) ، ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٣) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ (٤) فأجناسها مختلفة من الحبوب والفواكه كالرمان والعنب والتفاح وغيرها ، ولها هيئات متنوعة فمنها الأحمر والأصفر والأخضر إلى غير ذلك، وكله عجيب مدهش يجعل الإنسان يقول : من الذى نوعها وجعلها مختلفة

---

(١) أسس الدعوة د / محمد السيد الوكيل صـ ٥٢ ، ٥٣ بتصرف .

(٢) فصلت : ٣٩ .

(٣) الحج : ٥ .

(٤) فاطر : ٢٧ .

متفاوتة؟ إنه الخلاق العليم المنظم لهذا الكون ولو كانت الأمور بالطبيعة كما يقول الملحدون لما تخلف الإحراق فى نار إبراهيم عليه السلام ، ولشقى موسى بن عمران عليه السلام الذى رباه فرعون ، ولصدقت من يقول لك إننى رأيت شجرة قطعت إلى أجزاء ثم صارت ألواحاً من الخشب بدون نجارين ، ثم صارت بعد ذلك سفينة وحملت بدون حمالين ، ثم أفرغت حمولتها ، ثم تحولت إلى ألواح من الخشب ثم صارت شجرة بعد ذلك ، إن العقل يرفض ذلك لأن الصنعة لابد لها من صانع يقوم بها ، والكون بسمائه وأرضه وما فيهما من الإبداع والتنسيق والترتيب هل وجد عن طريق الطبيعة ؟ الجواب مادام الصنعة تحتاج إلى صانع فهذا الكون الفسيح يحتاج إلى منظم ومدبر يهيمن عليه ويرتبه ويسيره والمنظم والمدبر هو الله عز وجل الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير .

يقول رينان : من الممكن أن يضمحل كل شئ نحبه إلا التدين ، فسيبقى أبد الآبدين حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى .

ويقول تولستوى : إن الدين وحده هو الذى يجعل الحياة ممكنة ، إننى لا أعيش إذا فقدت العقيدة فى وجود الله ، ولولا أنى كنت أتعلق بأمل غامض فى وجود الله لقتلت نفسى من زمن بعيد .

ويقول شوبنهور : إن فكرة الإله الذى ليس له نهاية ، وقدسية الروح ، والعلاقة بين الله وعباده ، كلها أفكار صيغت فى الضمير البشرى الخفى الذى ليس له نهاية ، وهى تلك الأفكار التى لا يمكن لى ولا للحياة بغيرها البقاء ، ويؤكد علماء الذرة والفلك والحياة والرياضة وجود الله ، لأن لديهم أدلة كثيرة تثبت وجود كائن أعظم ينظم هذا الوجود ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذى لا حد له [١].

---

(١) الرد على الماديين د / محمد عبد المنعم خفاجى صـ ١٦ ، ١٧ .

ولا شك أن المذهب الإلحادى على ضلال مبين ، وهو لا يحارب بآرائه الإسلام وحده ، وإنما يشرك معه جميع الأديان ، والذين يؤمنون بهذا الإلحاد هم فى رأى الإسلام مرتدون يقاتلون حتى يفيئوا إلى دين الله تعالى وإلى الحق الذى بينه الله لعباده فى كتابه الكريم وليعلم الدعاة إلى الله أنه ستقابلهم عقبات وصعوبات فى طريق الدعوة فليأخذوا القدوة والأسوة من الرسول ﷺ فى دعوته للناس وكيف كان يخاطبهم ويتعامل معهم بالحجة والبرهان ، ومن هنا فلابد من دراسة سيرته العطرة حتى يكون على بينة وبصيرة بأحوال هؤلاء الملحدين المارقين عن دين الله تعالى .

---

(١) البقرة : ١٠ .

(٢) البقرة : ١١ ، ١٢ .

(٣) البقرة : ١٣ .

(٤) البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٦ .

المبحث الثالث

المدعو إليه

موضوع الدعوة أو المدعو إليه هو الإسلام ، ذلك الدين الذى ارتضاه الله سبحانه وتعالى للعالمين ، والذى جاء به سيدنا محمد ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الحق واليقين قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) .

من أجل ذلك أمرنا الله عز وجل أن نطبقه على أنفسنا وندعوا إليه غيرنا ، أى نأتمر بما أمر به وننتهى عما نهى عنه ليتحقق لنا الفلاح فى الدنيا والآخرة .

والإسلام دين صالح لكل زمان ومكان ، وكل عصر وجيل ، حيث أنه يشتمل على كل ما يحتاج إليه الإنسان فى حياته من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق الفاضلة وسوف نفصل القول فى كل واحدة على حدة :

العقائد :

العقائد جمع عقيدة ، والعقيدة هى : الجانب النظرى الذى يطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شئ ، إيماناً لا يرقى إليه شك ، ولا تؤثر فيه شبهة(٢).

والإيمان المطلوب هو الإيمان بأن الله تعالى موجود من غير موجد يوجده وهذا أمر يدركه الإنسان بفطرته السليمة ، التى خلقها الله فيه ، فقد سئل أعرابى : ما الدليل على وجود الله فقال : البعرة تدل على البعير ، وأثر

---

(١) المائدة : ١٥ ، ١٦ .

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت صـ ٤ .

الأقدام يدل على المسير ، وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج أفلا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ، وقد ذكر الإمام الرازى فى تفسيره صوراً من ذلك فقال : -

سألوا الشافعى رضى الله عنه ما الدليل على وجود الله تعالى ؟ فقال : ورقة الفرصاد (التوت) طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم فقالوا نعم ، فقال : فتأكلها دودة القز فيخرج منها إلا بريسم : والنحل فيخرج منها العسل ، والشاة فيخرج منها البعر ، وتأكلها الظباء فينعقد فى نوافجها المسك فمن الذى جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد ؟ فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا (١) .

وقد دعانا الله عز وجل إلى النظر والتفكر فيما حولنا من بديع صنعه ، وفى أنفسنا ، لأن طالب الحق إذا تأمل كتاب الكون وتدبر فى خلق الإنسان استقر يقينه بالإيمان بوجود الخالق عز وجل وبوحدانيته وعموم قدرته وكمال حكمته ، واطمأنت نفسه بعظمة الخالق ، إقرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٣)،

---

(١) تفسير الفخر الرازى جـ ١ صـ ٣١٤ .

(٢)البقرة : ١٦٤ .

(٣) آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١ .

وقوله ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[1] ألا يدل ذلك على وجود الخالق الحكيم الإله القادر العظيم ؟ ، ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [2] ، ألا يدل كل ذلك على وجود الخالق الحكيم الإله القادر العظيم ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [3] . أى رب العوالم كلها ما ظهر لنا وما غاب عنا .

والإيمان بوجود الله تعالى يقتضى الإيمان بأنه المتصرف فى ملكه كيف يشاء : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [4] .

والإيمان بوجود الله تعالى يقتضى الإيمان بأنه المتصرف فى ملكه دون مشاركة من أحد وهو ما يسمى بتوحيد الألوهية قال تعالى : ، وقال : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[5] ، ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لأَبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾[6] ، ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاشَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[7].

والإيمان بوجود الله يستلزم أن يكون وحده حاكماً فأمره الأمر ونهيه النهى لأن ترك أمر الله إلى أمر سواه أو فعل ما نهى عنه بأمر سواه نوع من العبادة لسواه وبذلك يكون الشرك ، يروى الترمذى عن عدى بن حاتم أنه

(١) الذاريات : ٢١ .
(٢) الطارق : ٥ - ٧ .
(٣) غافر : ٦٢ - ٦٤ .
(٤) يس : ٨٢ .
(٥) الأنبياء : ٢٢ .
(٦) الإسراء : ٤٢ .
(٧) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

سمع رسول الله ﷺ يقرأ قوله تعالى : ﴿إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ فقال له : إنا لسنا نعبدهم ، فقال : أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟! فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم إياهم [١] .

فعلى المسلم أن يعتقد ويؤمن بذلك ، وينزه المولى سبحانه وتعالى عن كل نقص وشائبة ، ويثبت له الكمال المطلق ، حتى أن الإسلام حرم على المسلم الحلف بغير الله تعالى والنذر لغير الله ، كما حرم تعظيم الإنسان أو إطراءه ، ليكون التوجه والتعظيم والحلف والنذر كله لله تعالى .

ومن العقائد الإيمان بالرسل : وهم الذين اصطفاهم الله عز وجل ، وأرسلهم إلى الناس ليخرجوهم من الظلمات إلى النور ، ويرسموا لهم طريق الخير والسعادة ، فالواجب على المسلم أن يؤمن برسل الله تعالى إجمالاً وتفصيلاً ، لا يفرق بين رسول ورسول قال تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [٢] .

والإسلام جعل الإيمان بالأنبياء من أركان العقيدة الإسلامية قال تعالى:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَاوَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [٣]، فالمسلمون يؤمنون بجميع أنبياء الله ويحترمونهم ويجلونهم، فمن كفر بنبى أو سب أحداً من النبيين الذين نص

---

(١) دراسات فى الدعوة الإسلامية د / أحمد غلوش صـ ٢٠ .

(٢) البقرة : ٢٨٥ .

(٣) البقرة : ١٣٦ .

عليهم القرآن فهو غير مؤمن بما أنزل على محمد ﷺ ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾[١]. والأنبياء والرسل كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله تعالى وقد ورد فى القرآن الكريم ذكر بعضهم وهم الذين بدئوا بسيدنا آدم عليه السلام وختموا بسيدنا محمد ﷺ، أما الذين لم ترد أسماؤهم فى القرآن الكريم ، فقد أشار الله إليهم بقوله ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ﴾[٢].

ولقد فضل الله عز وجل بعض النبيين على بعض قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[٣] ، وفضل سيدنا محمد ﷺ على من سبقه من الأنبياء والرسل بأن جعل رسالته عامة ومعجزته خالدة وهى القرآن الكريم ، والإيمان برسالة سيدنا محمد ﷺ يقتضى طاعته والإمتثال لما جاء به من أمر أو نهى قال تعالى : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[٤] ، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[٥].

ومن العقائد الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالى على رسله عليهم الصلاة والسلام ، وهذه الكتب مشتملة على جميع الأوامر والنواهى ، والكفر بها ليس من الإيمان قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ

---

(١) النساء : ١٥٠ ، ١٥١ وانظر الأنبياء فى القرآن الكريم عفيفى عبد الفتاح طيارة صـ ١٨ ، ١٩ .

(٢) النساء : ١٦٤ .

(٣) البقرة : ٢٥٣ .

(٤) النساء : ٨٠ .

(٥) الحشر : ٧ .

وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[1] .

ومن العقائد الإيمان بالملائكة ، وهم عباد الله المكرمون المطيعون ﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[2] والملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل بالأشكال الحسنة ، فمنهم حملة العرش ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾[3] ، ومنهم رسل الوحى كسيدنا جبريل عليه السلام ، ومنهم الكتبة ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[4]، ومنهم الحفظة الموكلون بقبض الأرواح والموكلون بالجنة والنار ، والإيمان بالملائكة عن طريق السمع فقط ، لأنه من الغيبيات التى استأثر الله بعلمها ، فعلى المسلم أن يصدق بوجود الملائكة ويؤمن بهم .

ومن العقائد الإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر وحساب وجنة ونار وجزاء وعقاب للمؤمن والعاصى ، واليوم الآخر هو يوم القيامة ، والإعتقاد باليوم الآخر والإيمان بما يكون فيه من البعث والحساب والجزاء على الأعمال ركن من أركان الدين ، ولا يكون الإنسان مؤمناً إلا إذا آمن بيوم القيامة وما يحدث فيه ، ولذلك قال ﷺ عندما سأله سيدنا جبريل عليه السلام عن الإيمان : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره [5] .

هذا هو ما يدعو إليه الإسلام ، عقيدة ترضى فى نفس الإنسان تطلعه الفطرى ونزوعه إلى معرفة يقينية للإجابة على الأسئلة التى تؤرقه ، ولا يهدأ له بال حتى يصل إليها ، ما العالم ؟ ما الإنسان من أين جاء ؟ من

---

(١) النساء : ١٣٦ .

(٢) التحريم : ٦ .

(٣) الحاقة : ١٧ .

(٤) ق : ١٨ .

(٥) رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب باب الإيمان .

صنعهما؟ من يدبرهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدأ ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ما القانون الذى يجب أن يقود عقولنا فى أثناء عبورنا فى هذه الحياة ؟ أى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ هل يوجد شئ بعد هذه الحياة العابرة وما علاقتها بهذا الوجود ، هذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها حلولاً ، جيدة أو رديئة ، مقبولة أو سخيفة ، ثابتة أو متحولة [١] .

هذه العقيدة يقدمها الإسلام حلولاً لكل هذه الأسئلة فى جانبها النظرى.

الشريعة :

الشريعة هى : النظم التى شرعها الله أو شرع أصولها ، ليأخذ الإنسان بها نفسه فى علاقته بربه وعلاقته بأخيه المسلم وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون وعلاقته بالحياة [٢] .

فالشريعة هى الجانب العملى ، الذى يرسم الحدود ويقيم المعالم ، وينظم كل علاقات الإنسان :

١ - علاقة المسلم بربه ، فيشرع له العبادات التى تصله به وتجعله يعيش حياته مستشعراً رقابته عليه ، ومن العبادات التى شرعها الله عز وجل : الصلاة قال تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[٣].

وقال عز وجل : ﴿أنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ

(١) الدين د / محمد عبد الله دراز صـ ٨٤ .
(٢) الإسلام وعقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت صـ ٥ .
(٣)النساء : ١٠٣ .

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [1] ، ومنها الزكاة التى تطهر الفرد وتزكيه وتنقى المجتمع من الحقد والحسد والبغضاء والضغينة قال تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [2] ، ومنها الصيام قال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [3] ومنها الحج إلى بيت الله الحرام قال عز من قائل : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [4] .

والعبادات على مختلف أنواعها يعود نفعها على المكلف ، ولا يعود هذا النفع على الله تعالى ، لأن الله عز وجل غنى عن العالمين ، لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين .

يقول الدكتور عبد الحليم محمود : « وما كانت عبادة الإنس والجن من أجل نفع يصل إلى الله سبحانه وتعالى ، وإنما خلقهم من أجل عبادته ليكملهم بهذه العبادة ، وليصل بهم عن طريقها ، ليكونوا أهلاً للقائه سبحانه، وليتجلى عليهم إذا تزكوا بأنواره ، وفيوضاته ، وقد نوع لهم سبحانه العبادة فلم يجعلها على وتيرة واحدة ، حتى لا يملوا ، وحتى يكون فى تنوعها تزكية لجوانب متعددة وزوايا مختلفة من الطبيعة البشرية وحتى تتناسب على تفاوت فيما بينهم مع كل الفطر والاستعدادات [5] .

قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [6] .

ويقول الرسول ﷺ عن العبادات السابقة : « بنى الإسلام على خمس

---

(١) العنكبوت : ٤٥ .

(٢) التوبة : ١٠٣ .

(٣) البقرة : ١٨٣ .

(٤) آل عمران : ٩٧ .

(٥) أسرار العبادات فى الإسلام د / عبد الحليم محمود صـ ٣٢ .

(٦) الذاريات : ٥٦ .

شـهـادة أن لا إله إلا الله وأن مـحـمـداً رسـول الله ، وإقـام الصـلاة ، وإيتـاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً » [١] .

٢ – علاقة المسلم بأخيه المسلم ، فالإسلام يضع النظم الإجتماعية التى تبنى عليها الأسرة وتحدد فيها الحقوق والواجبات بين أفرادها ، أباً كان أو إبناً ، أمـاً كـانت أو زوجـة ، فى الحيـاة وبعـد الموت ، ويضـع التـشـريعـات الإجتماعية التى تجعل الفرد عضواً نافعاً فى أسرة كبيرة ولبنة فى بناء شامخ يقوم بدوره الفعال حسب موقعه فيه ، حاكماً كان أو محكوماً، ولكل ذلك وضع الإسلام القوانين والأحكام – سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو تربوية أو خلقية ـ لتنظيم حياة البشر فيما بينهم .

ففى عـلاقة المسلم بأخـيه المسلم يقـول الرسـول ﷺ « لا تحـاسـدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عبـاد الله إخـواناً ، المسلم أخـو المسلم : لا يظلمـه ولا يحـقـره ولا يخـذله ، التقوى هاهنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » [٢] .

(رواه مسلم) .

٣ – عـلاقـة المسلم بأخـيـه غيـر المسلم ، سـواء فى ذلك على المسـتـوى الفـردى أم الجمـاعـى ، فـالإسـلام ينظم عـلاقـة المسلم بمن يـخـالفـه فى الدين ويضع ذلك الحدود والقـواعد ، كمـا ينظم عـلاقـة الدولة المسلمـة بغيـرها من الدول التى تخـالفها فى الدين سـواء فى السلم أو الحرب ، إقتصـادياً كان أم سياسياً .

٤ – علاقة المسلم بالكون من حوله فالإسلام أباح للمسلم حرية البحث

(١) صحيح الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما جـ ١ صـ ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) رياض الصالحين : ١٢٣ .

والنظر فى الكائنات وإستخدام آثارها فيما يعود بالنفع والخير العميم عليه وعلى الإنسانية كلها قال تعالى : ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1].

كما إن الإسلام وجه نظر المسلم إلى أن هذا الكون إنما خلق من أجله وعليه أن يكتشف قوانينه وأسراره وينتفع بها فى حياته ، فالكون كله للإنسان من سموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وكواكب وأرض وما عليها من جبال وبحار وأنهار .

٥ - علاقة المسلم بالحياة ، فالإسلام رسم للمسلم الطريق السوى ، وأباح له التمتع بطيباتها ، ونهاه عن خبائثها فقال عن التمتع بالطيبات ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[2].

وقال فى النهى عن الخبائث : ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] .

الأخلاق :

الخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية [4] والإسلام دين سمح كريم ، حث على مكارم الأخلاق ، ودعا الناس إلى الفضيلة وحب الخير ، قال رسول الله ﷺ: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » [5] ، وقال عز وجل مخاطباً رسوله ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[6] .

---

(١) يونس : ١٠١ .
(٢) الأعراف : ٣٢ .
(٣) المائدة : ١٠٠ .
(٤) الإحياء للغزالى جـ ٣ صـ ٥٢ .
(٥) موطأ الإمام مالك جـ ٤ صـ ١٩٢ ما جاء فى حسن الخلق .
(٦) القلم : ٤ .

وفى ظل شعبة الأخلاق يكون الربانيون و الشهداء والصالحون ، وفى ظلها يكون الأئمة والهداة والمرشدون ، وفى ظلها تطهر النفس الإنسانية من الحقد والحسد والنفاق والجبن والكذب والخيانة وما إلى ذلك من الأخلاق السيئة التى كثيراً ما أفسدت على الناس حياتهم ، وتوارت فى ظلمتها القاتمه وسائل الخير والإصلاح .

إن إصلاح الباطن أساس لكل إصلاح ظاهرى ، ولا بقاء لإصلاح خارجى إلا إذا تركز وكان نتيجة وأثر للإصلاح الباطنى ، وشعبة الأخلاق هى الكفيلة بالإصلاح الباطنى وهى الشجرة الطيبة التى ثبت أصلها وبسق فرعها ، وطاب ثمرها وآتت أكلها كل حين بإذن ربها [١] .

والأخلاق فى الإسلام كثيرة ومتنوعة نذكر منها :

١ -الأمانة : قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[٢] .

٢ - الصدق : قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[٣] .

ويقول ﷺ : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر »

٣ - العدل : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾[٤] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾[٥] .

٤ - الوفاء : قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ [٦] .

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت صـ ٤٧٦ .
(٢) النساء : ٥٨ .
(٣) التوبة : ١١٩ .
(٤) النساء : ٥٨ .
(٥) النحل : ٩٠ .
(٦) الإسراء : ٣٤ .

وقال ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾ (١) وقال ﷺ : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن عهد له » .

٥ - التعاون : قال تعالى :﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(٢) ، وقال ﷺ : « والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه » .

٦ - الإيثار : قال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(٣) .

ومن وصايا الإسلام الجامعة لعباده المؤمنين فى باب الأخلاق قول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) .

هذه هى أصول الأخلاق فى الإسلام ، وقد أمر الإسلام بها ودعا إلى فروعها كثيراً فى القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة .

هذا وقد جمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال : هو أن يكون كثير الحياء وقليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل

---

(١) النحل : ٩١ .
(٢) المائدة : ٢ .
(٣) الحشر : ٩ .
(٤) الحجرات : ١١ ، ١٢ .

الزلل قليل الفضول براً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً راضياً حليماً رفيقاً عفيفاً شفيقاً لا لعاناً ولا سباباً ولا نماماً ولا مغتاباً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا حسوداً ولا بخيلاً ، هشاشاً بشاشاً يحب فى الله ويبغض فى الله ويرضى فى الله ويغضب فى الله فهذا هو حسن الخلق [١] .

---

(١) الإحياء للغزالى جـ ٣ صـ ٦٧ ، ٦٨ .

المبحث الرابع

الأساليب (منهج الدعوة)

من المعلوم أن منهج الدعوة إلى الله عز وجل يرتكز على أمور ثلاثة :

الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هى أحسن

وهذا ما أوضحه وبينه القرآن الكريم كتاب الدعوة ومصدرها قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١).

ففى الآية الكريمة السابقة الأسس القويمة لبيان الأسلوب القرآنى فى لدعوة التى شرف الله تعالى بها البشرية على يد خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ ، وكذلك الطريقة التى يجب على الدعاة فى كل زمان مكان أن يلزموا أنفسهم بها وينتهجوا نهجاً حتى يوفقوا فى تبليغ الرسالة تأدية الأمانة .

من أجل هذا نلقى الضوء على هذه الآية الكريمة مع بيان أثرها فى لدعوة إلى الله عز وجل نتعرف على الخط العام لأسلوب الرسالة الإسلامية ى الدعوة المباركة .

لحكمة :-

يراد بالحكمة فى باب الدعوة ، أن يكون الداعية فاهماً لقصده عارفاً أفضل الطرق المؤدية إلى الغرض على خير وجه ، وأن يكون عالماً بقواعد دعاية بالنسبة لكل نمط وطائفة من طوائف المدعوين (٢) .

---

(١) سورة النحل : ١٢٥

(٢) الدعوة إلى الإسلام أبو بكر ذكرى ص ١٥

فالحكمة هي وضع الشيء في موضعه ، والحكمة تقتضي أن يكون الداعية مدركاً لما حوله مقدراً الظروف التي يدعو فيها ، مراعياً لحاجات الناس ومشاعرهم حتى يتمكن من الوصول إلى قلوبهم ، ومن هنا فعلى الداعي أن لا يزهد في الدنيا والناس في حاجة إلى النشاط والجد والعمل ، ولا يدعو إلى التبتل والانقطاع والمسلمون في حاجة إلى الدفاع عن بلادهم وعقائدهم .

فالحكمة تجعل الداعي ينظر ببصيرة المؤمن فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما تقتضيه الظروف ، وبذلك يرون فيه القائد الحريص على سعادتهم وأمنهم وراحتهم .

والحكمة إذا أسندت إلى الله عز وجل فيكون معناها : معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام . وإذا أسندت للإنسان فيكون المعنى : معرفة الموجودات وفعل الخيرات .

والحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وعند أهل الحل والعقد لها مدلولات واسعة نذكر منها :

١ ـ تذكر الحكمة ويراد منها : الفهم والعلم . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ [(١)] . وقال ـ عز وجل : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [(٢)] .

٢ ـ وتذكر الحكمة ويراد منها : القرآن نفسه بما فيه من عجائب وأسرار.

قال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾ [(٣)] وقال ـ جل في علاه ـ ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة لقمان الآية : ١٢

(٢) سورة مريم الآية : ١٢

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٦٩

(٤) سورة النحل الآية : ١٢٥

٣ ـ وتذكر الحكمة ويراد منها : مواعظ القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) .

٤ ـ وتذكر ويراد منها : النبوة قال تبارك وتعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ (٢) .

٥ ـ وتذكر ويراد منها : المعرفة بدين الله والفقه فيه والإتباع له كما روى عن مالك بن أنس .

٦ ـ وتذكر ويراد منها : الإصابة فى القول والفعل كما روى عن مجاهد .

٧ ـ وتذكر ويراد منها الورع كما روى عن الحسن البصرى .

٨ ـ وتذكر ويراد منها : الخشية كما روى عن الربيع بن أنس .

٩ ـ وتذكر ويراد منها الوعظ والتذكير : قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ (٣) .

يقول الإمام النسفى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴾ أدع إلى سبيل ربك إلى الإسلام ، وبالحكمة بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهه ، والحكمة هى المعرفة بمراتب الأفعال (٤) .

فمما لا شك فيه أن من الناس طائفة أصحاب نفوس مشرقة قوية الاستعداد لإدراك المعانى والاستجابة لها ، شديدة الإنجذاب نحو المبادىء واتباع الحق وهؤلاء بدعون بالحكمة ، وهى تعنى فى جوهرها بيان الحق لهم بياناً شافياً مؤيداً بأدلته القوية التى تنفى كل شبهة وتقطع السبيل أمام كل تردد .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٤

(٢) سورة (ص) آية : ٢٠

(٣) سورة النساء آية : ١١٣

(٤) جـ ٢ ص : ٢٢٥

ومن هنا فالحكمة يتسع معناها لتشمل العلم والمعرفة والطاعة والفهم والإصابة فى القول والفعل وهى وإن تعددت مدلولاتها لا تخرج عن معنى العلم وفعل الصواب .

يقول الإمام الفخر الرازى موضحاً ذلك : واعلم أن الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين المعنيين ، وذلك لأن كمال الإنسان فى شيئين : أن يعرف الخير لذاته والخير لأجل العمل به ، فالأول يرجع إلى العلم والإدراك المطابق، والثانى إلى فعل العدل والصواب فحكى عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قوله : (رب هب لى حكماً) فحكى وهى الحكمة النظرية ، «والحقنى بالصالحين» الحكمة العلمية ، ونادى موسى ـ عليه السلام ـ فقال : « إننى أنا الله لا إله إلا أنا » وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدنى ، وهو الحكمة العملية ، فكمال حال الإنسان ليس إلا فى هاتين القوتين [1] .

أى العلم والإدراك ثم فعل العدل والصواب ، ويؤيد هذا الإمام القرطبى فى تفسيره قال :

(وهذه الأقوال كلها ماعدا قول السدى الذى يفسر الحكمة بالنبوة والربيع الذى يفسر الحكمة بالخشية ، والحسن البصرى الذى يفسر الحكمة بالورع قريب بعضها من بعض لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان فى قول أو فعل . فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التى هى الجنس ، فكتاب الله حكمة ، وسنة نبيه حكمة ، وكل ما ذكر من التفضل فهو حكمة ، وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه ، فقيل للعلم حكمة لأنه يمتنع به ، وبه يعلم الإمتناع عن السفه ، وهو فعل كل قبيح وكذا القرآن والعقل والفهم) .

وفى البخارى : (من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين) ، وكرر ذكر

---

(١)التفسير الكبير جـ٧ ص٧٢ ، ٧٣

الحكمة ولم يضمرها اعتناء بها ، وتنبيها على شرفها وفضلها (١) .

وعلى هذا ، فالحكمة من الأقوال [illegible] التى تشتهر بالإيجاز ، متضمنة حكماً مسلماً عند القارىء والمستمع يدل على عمق الفكرة ونقاء الفطرة .

ومن ثم اشتهرت الأمة العربية فى جاهليتها وإسلامها بسرد للحكم وبيان لها . وممن عرفوا بهذه الحكم فى الجاهلية .

قس بن ساعدة [illegible] ، وابن رافع الدوسى ، وأكثم [illegible] صيفى .

وفى الإسلام [illegible] ـ ﷺ ـ وعلى بن أبى طالب ، والحسن البصرى وغيرهم .

وفى حياة الرسول ﷺ أمثلة كثيرة تبين لنا مدى حكمته صلوات الله وسلامه عليه فى تبليغ الدعوة ، منها موقفه عليه الصلاة والسلام من الأعرابى الذى تناوله بلسانه حين لم يرضه عطاؤه ، وغضب الصحابة من ذلك الأعرابى ، وهموا بقتله .

فقد روى أن أعرابياً جاء يطلب شيئاً من الرسول ﷺ فأعطاه إياه ، ثم قال له : أأحسنت إليك ؟ قال الأعرابى : لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا .

ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئاً ثم قال : أأحسنت إليك ؟ قال: نعم ، فجزاك الله به من أهل وعشيرة خيراً ، فقال له النبى ﷺ أنت قلت ما قلت وفى نفس أصحابى من ذلك شيء ، فإن أحببت فقل بين أيديهم حتى يذهب ما فى صدورهم عليك . قال نعم : فلما كان الغد أو العشى جاء فقال ﷺ : إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى

---

(١) التفسير القرطبى ج٣ ص ٢٣٠ .

أكذلك قال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، فقال ﷺ مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه ، فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً ، فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم ، فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها ، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار [١] .

فهذا النص الكريم يعطينا صورة ناطقة من حكمة الرسول ، ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى ، فالاعرابي تناوله بلسانه ، وإذ لم يعجبه هذا العطاء من الرسول ﷺ ، فما زال به صلوات الله وسلامه عليه حتى أرضاه ، وهنا عدل الأعرابي عن السب إلى المدح في شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان من نتيجة هذا العمل أن رضى الصحابة رضوان الله عليهم عن الرجل بعد أن كانوا ساخطين عليه ، بل وهموا بقتله ، فالنبي ﷺ علمهم بفعله العظيم كيف تكون الحكمة في باب الدعوة ، وكيف يمكن تأليف القلوب النافدة والطباع الجامحة وجاء يهودي إلى الرسول ﷺ يتقاضاه ديناً فأخذ بمجامع ردائه وخنقه وشتمه ، فهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقتله.

فقال ﷺ : أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر ، تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التقاضي ، ثم قال : لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه : أي بسبب تخويفه إياه بالقتل . فكان ذلك سبب إسلام اليهودي وكان أفضل من أسلم من اليهود أخلاقاً وأكثرهم مالا [٢] إن الدعوة حكمة أكثر من أن تكون قوة أو فصاحة أو مهارة :

(١) الدعوة إلى الإسلام أبو بكر ذكرى ص٥٥،٥٦ .
(٢) المرجع السابق ص٣٨ ، ٣٩ .

نماذج من الحكمة :

١ ـ من القرآن الكريم :

من المعلوم أن القرآن الكريم كله حكم ذكر منها على سبيل المثال : قول الله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ (١) وقوله عز وجل : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (٢) وقوله تبارك وتعالى :﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾(٤) .

٢ ـ من السنة النبوية الشريفة :

عن عبيد الله بن رفاعة قال : لما كان يوم أحد أنكفأ المشركون قال رسول

---

(١) سورة الإسراء : ٨٤ .

(٢) سورة فاطر : ٤٣ .

(٣) سورة الرحمن : ٦٠ .

(٤) سورة لقمان : ١٢ ـ ١٩ .

الله ﷺ : أستووا حتى أثنى على ربى فصاروا خلفه صفوفاً ، فقال : اللهم لك الحمد كله . اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادى لما أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطى لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مبعد لما قربت ، اللهم أبسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ، اللهم إنى أسألك النعيم المقيم ، الذى لا يحول ولا يزول ، اللهم إنى أسألك النعيم يوم الغلبة والأمن يوم الخوف ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينة فى قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان وأجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين ، وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ... » [١] .

وقوله ﷺ لأصحابه : ألا أنبئكم بشراركم ؟

قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله قال : إن شراركم الذى ينزل وحده ، ويجلد عبده ، ويمنع وفده ، أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟

قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله ، قال من يبغض الناس ويبغضونه ، قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟

قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله ، قال : الذين لا يقيلون عثرة ، ولايقبلون معذرة ، ولا يغفرون ذنباً ، قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟

قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله ، قال : من لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره [٢] .

٣ ـ من أقوال الخلفاء الراشدين :

قال على كرم الله وجهه ورضى عنه : ـ « من لا نت كلمته وجبت محبته

---

(١) مجمع الزوائد جـ١٢١٦ رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه الطبرانى .

قال : قيمة كل إمرىء ما يحسن » . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كفى بالمرء غيا أن تكون فيه خلة من ثلاث : أن يعيب شيئاً ثم يأتى مثله أو يبدى من أخيه ما يخفى عليه من نفسه ، أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه » ومن أقوال الحكماء : من أدب ولده صغيراً سربه كبيراً .

الموعظة الحسنة :

تعريف الوعظ لغة :

[illegible] في معاجم اللغة نجد أن الوعظ يدور حول النصح والتذكير [illegible] سواء كان النصح والتذكير بالترغيب أو [illegible]

[illegible] ظ : النصح والتذكير بالعواقب [illegible] وعظه [illegible] وعظاً [illegible] الموعظة ، ويقال : السعيد من وعظ بغيره والشقى [illegible] (1) [illegible] وعظه وعظاً وعظة .

[illegible] والواعظ من ينصح ويذكر [illegible]

ويقول [illegible] الوعظ زجر مقترن بتخويف [illegible]

من التعريفات السابقة يكون الوعظ بمعنى النصح بالترغيب والترهيب أو هما معاً ليرق قلب الإنسان .

تعريفه فى الإصطلاح :

أما فى الإصطلاح فالوعظ : يطلق على القول الحق الذى يلين القلوب

(1) الصحاح الجوهرى جـ3 ص 1181 .

(2) المعجم الوسيط جـ 1 ص 1043 د / إبراهيم أنيس .

(3) المفردات فى غريب القرآن ص527 ، وأنظر القاموس المحيط جـ 2 ص 400 معجم مقاييس اللغة جـ6 ص126 ، المحيط فى اللغة ص201 ، المصباح المنير جـ1 ص147 .

ويؤثر فى النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية [1] .

ويقول آخر فى تعريف الوعظ أو الموعظة الحسنة : المراد بها إقناع النفوس بإتباع طريق الخير على أفضل أسلوب ، والموعظة الحسنة مظهر من مظاهر الحكمة وجزء منها ولها شروط لابد منها :

١ ـ أن تكون صادرة عن إخلاص .

٢ ـ أن يكون لها مقتضى يتطلبها من حال المدعو لا أن تكون مجرد حب التدخل والتظاهر بالفصاحة والحكمة دون داع .

٣ ـ أن يصاحبها إقناع المدعو بأنها صادرة عن روح الإخاء وحب الخير له قبل كل شيء .

٤ ـ إذا كانت الدعوة خاصة بفرد أو أفراد معينين فيحسن أن تكون أولاً تحت ستار السرية وبعيدة عن التشهير والتجريح الذى يثير الشر أكثر مما ينشر من الخير .

٥ ـ أن تكون القدوة بالداعى أحد عناصرها لأن العظة بالقدوة من أنجع أساليب الوعظ [2] .

ومن هنا فالموعظة الحسنة هى الكلمة الطيبة ، التى تخرج من فم الداعية بإخلاص لتصل إلى عقول الناس ، فيجدون فيها الخير والسعادة ، ويحسون من خلال كلمته أنه صادق وحريص على جلب الخير لهم ودفع الشر عنهم وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا فقال عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً

(١) هداية المرشدين ص ٧١ .
(٢) الدعوة إلى الإسلام أبو بكر ذكرى ص١٥١ ، ١٥٢ .

كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (١).

كما أن الموعظة الحسنة هى الكلمة الرقيقة ، التى تلمس القلوب فترق بها ، وتخالط النفوس فتهش لها وتفرح بها ، و تحمل للناس البشرى » وتأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والصواب وهى البلسم الشافى يداوى الجراح ويخف الآلام وذلك عندما يلقيها الداعية لا يقصد بها إلا ابتغاء مرضاه الله تعالى، لا يقصد بها الشهرة ولا يكون فيها رياء ونفاق أو مداهنة لأحد من الناس .

وفضل الوعظ عظيم ، لأنه يتعلق بطب الأرواح ، وعلا ج النفوس ، فالإنسان كما هو محتاج لعلاج جسمه إذا اعتل ، فهو محتاج كذلك لعلاج روحه إذا سقمت ، كما أن الوعظ وظيفة الأنبياء والمرسلين ، ومن على سننهم من العلماء والمرشدين .

وغايته سعادة الحياة الدنيا بالتحلى بالفضيلة ، والتخلى عن الرذيلة ثم الفوز بالسعادة الدائمة فى الآخرة .

أثر الموعظة فى النفوس :

ويبين لنا الشيخ على محفوظ أثر الموعظة الحسنة فى النفوس فيقول : معلوم أن الأمراض والعلل تعرض للأجسام فتذهب بجمالها ، وكثيراً ما تؤدى بحياتها إذا لم تعسف بالعلاج الناجح قبل استفحالها واشتداد خطرها ، والقلوب كالأجسام يعرض لها من الأمراض والعلل ما يطفىء نورها ، وقد يفقد حياتها ، وذلك ورودها موارد الغى والضلال ، وإنهاكها فى الملذات والشهوات والتهاون بالأوامر والنواهى ، وعدم المبالاه بأنواع

(١) إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥ .

الفسوق والفجور ، وسيئات البدع ونبذ الآداب الدينية والأخلاق المحمدية ، وارتكاب كل مالا يرضاه الشرع والعقل من الشرور والقبائح ، فمن هذه الأفعال تكون أمراض القلوب وعللها ، ولا دواء لها إلا مراهم الشريعة الغراء المركبة تركيباً علمياً وكيماوياً دقيقاً من أجزاء الخطب والمواعظ والإرشادات والنصائح من الكتاب والسنة ، فبهذه المواعظ والنصائح تصح النفوس ، وتسلم القلوب من المخاطر ، وترجع عن غيها إلى رشادها وتعدل عن الطريق العوجاء إلى الصراط السوى ، وعلى الجملة فالوعظ والإرشاد هو العلاج الوحيد لصلاح العالم ، والدين الحنيف هو الدواء المفيد لشفاء القلوب من أمراضها[١]

والسر فى ذلك أن النفوس البشرية أمارة بالسوء فهى تدفع الناس إلى الضلال والفساد وإلى ارتكاب المنكرات واقتراف الموبقات ، ولم تقف عند حد أو نهاية فإذا ما وجد الوعاظ والمرشدون ، والمصلحون ، والذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، كانوا كالكواكب المشرقة قيبددون ظلمات الجهالة ، وينيرون للناس سبل الحياة الكريمة ، ويرونهم إلى طريق الخير والسعادة ، وذلك لأنهم يهذبون النفوس ويربونها تربية دينية صالحة ، ويرشدونها إلى أقوم السبل ، ويحولون بينها وبين الوقوع فى الشهوات والملذات والأهواء الباطلة .

متى تكون الموعظة مؤثرة :

لكى تكون الموعظة الحسنة مؤثرة فى نفس المدعوين يلزم فيها ما يلى :

١ ـ أن تكون ذات موضوع .

٢ ـ أن يدعمها الواعظ بالحجة النقلية من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ والحجة العقلية التى يقتنع بها السامعون مع التلطف فى القول ، والرفق

(١) هداية المرشدين ص ٧٣ ، ٧٤ بتصرف للشيخ على محفوظ ..

فى المعاملة ، روى أبو إمامة أن فتى شاباً جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا نبى الله أتأذن لى فى الزنا ، فصاح الناس به ، فقال عليه عليه الصلاة والسلام قربوه أدنو فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال له الرسول ﷺ : أتحبه لأمك قال: لا ، جعلنى الله فداءك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لإبنتك قال : لا ، قال النبى ﷺ فكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، أتحبه لأختك ، وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحدة: لا ، جعلنى الله فداءك ، فوضع الرسول ﷺ يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن شىء أبغض إليه من الزنا [1] .

٣ ـ العلم بالكتاب والسنة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم والسلف الصالح ، وبالقدر الكافى من الأحكام الشرعية ، ثم العمل بذلك كله ، فرب حال أبلغ فى التأثير من ألف مقال ، قال مالك بن دينار إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفى ، والله عز وجل يقول : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [2] .

٤ ـ أن يتجمل الواعظ بالعفة واليأس مما فى أيدى الناس ، ففى وصيته ﷺ لأحد أصحابه : « عليك باليأس مما فى أيدى الناس فإن ذلك هو الغنى » [3] .

٥ ـ أن يعالج الواعظ بالموعظة واقعاً يعيش فيه الناس ، وأن يجعل منها توجيهاً يصلح شأنهم جميعاً .

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده .

(٢) البقرة : ٤٤ .

(٣) رواه الحاكم فى المستدرك .

٦ ـ أن يحسن الواعظ عرض موعظته ، بأن يقسمها إلى أجزاء متصلة ، ثم يصوغها فى أسلوب جميل سهل .

٧ ـ أن يتخلق الواعظ بما يقول مظهراً ومخبراً ، فبمقدار إخلاصه فى القول والعمل ينتفع سامعوه ، فإنه مما يقوى الداعية أن تكون له شخصية متكاملة تبعث على تقديره واحترامه ولذا قال بسكال : لابد للقضاة من الجبة والشعر ، ولولاهما لفقدوا ثلاثة أرباع نفوذهم [١] .

٨ ـ وروى الجاحظ أن إياس بن معاوية المزنى أتى حلقة لقريش فى مسجد دمشق فاستولى على المجلس ، ورأوه أحمر الوجه دميمارث الهيئة قشيفاً ، فاستهانوا به ، فلما عرفوه إعتذروا إليه ، وقالوا له : الذنب مقسوم بيننا وبينك أتيتنا بزى مسكين تكلمنا بكلام المسلوك [٢] .

٩ ـ أن يكون الواعظ ملماً بثروة كلامية يختار منها أفضل الأساليب التى يمتلك بها قلوب السامعين من جمال التصوير ، وطرافة المعنى ، وحداثة الموضوعات ، مع ضرورة الإجادة فى الإلقاء والرسول ﷺ هو القدوة والأسوة للدعاة والوعاظ ، فقد خطب ﷺ فى أصحابه فقال : « طوبى لمن شغله عيبه من عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالا أكتسبه من غيرمعصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالط أهل الذل والمسكنة ، طبى لمن زكت نفسه وحسنت خليقته ، وطابت سريرته « وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة » [٣] .

ومن خطب خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال : أيها

---

(١) مذكرات فى عالم الخطابة للشيخ إبراهيم الدسوقى .

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص٩٨ .

(٣) صبح الأعشى جـ ١ ص٢١٣ .

الناس إنكم لن تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى ، وإن لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم ، فخاب وخسر من جذع من رحمة الله التى وسعت كل شىء وحرم الجنة التى عرضها السماوات والأرض ، واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف ربه وباع قليلاً بكثير ، وفانياً بباق ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفكم من بعدكم الباقون متى تردوا إلى خير الوارثين ،أنتم كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه ، وبلغ أجله ثم تغيبونه فى صدع من الأرض ، ثم تدعونه غير موسد ، ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، غنياً عما ترك ، فقيراً إلى ما قدم ، وأيم الله إنى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى ، فأستغفر الله لى ولكم [١] .

١٠ ـ أن يعلم الواعظ أحوال الناس من حيث الطباع والتاريخ والأخلاق مع الإلمام بقدر المستطاع ببعض الدراسات فى علم النفس والتعرف على لغة القوم، قال عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [٢].

وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يتعلم كتابة اليهود قال زيد : حتى كتبت للنبى ﷺ كتبه إليهم . وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه [٣] .

كما يجب على الواعظ أن يدرس علم الاجتماع حتى يكون على بينة من أحوال الأمم فى بداوتها وحضارتها ، وأسباب ضعفها وقوتها وتقدمها وتأخرها .

١١ ـ أن يكون ذا فراسة يتعرف حال سامعيه .

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ١٩٠ ، ١٩١ .
(٢) إبراهيم : ٤ .
(٣) صحيح الإمام البخارى كتاب الأحكام .

من مواعظ القرآن الكريم :

القــرآن الكريم هو كــتــاب المواعـظ ، لأنه ليس هناك أحكم من أسلوب القرآن الكريم فى الدعوة إلى الله تعالى ، ولذلك وردت فيه كلمة الموعظة فى مواضع متعددة من ذلك قوله تعالى : ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ (١) . وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

والقرآن الكريم عرض لنا نماذج من الدعوة إلى الله تعالى بالموعظة الحسنة فى صورة مشرقة رائعة يستفيد منها الدعاة فى حياتهم ويأخذون منها ما يفيدهم .

من ذلك : موقف سيدنا موسى وهارون عليهما السلام من فرعون الطاغية الجبار العنيد ، الذى قال فيه الله سبحانه وتعالى :﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢) . فوصفه الله تعالى بالفساد والإفساد فى الأرض وقال فى موضع آخر على لسان فرعون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ (٣) . وقال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ (٤) . ومع هذا الفساد فى الأرض واتصافه بالألوهية والربوبية ، وأنه ليس هناك إله أورب سواه ، مع كل هذا يرسل الله تعال له سيدنا موسى وهارون عليهما السلام كى يدعواه إلى الله رب العالمين فقال عز من قائل : ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (٥) .

---

(١) البقرة : ٢٧٥ .

(٢) القصص : ٤ .

(٣) القصص : ٣٨ .

(٤) النازعات : ٢٤ .

(٥) طه : ٤٢ ــ ٤٤

[illegible] ، مع كل هذا التكبر والعلو والغطرسة والعظمة تأمرهما بأن يقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ، إنه الأسلوب الناجح فى دعوة الطغاة إلى الله تعالى مع العلم بأنهم [illegible] فى غاية العتو والإستكبار .

يقول ابن كثير فى تفسير [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ هذه الآية [illegible] الإستكبار [illegible]

[illegible]

[illegible] الحكمة والموعظة الحسنة .

ولذلك قال تعالى : ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ . أى يرجع عن المحظور ويتجه إلى طاعة الله تعالى وعدم مخالفة أمره .

من مواعظ السنة النبوية :

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن صهيب بن سنان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ١٥٣ .

لأحد إلا للمؤمن : إن إصابته سراء شكر فكان خيراً له وان إصابته ضراء صبر فكان خيراً له » .

هذا الحديث الشريف يبين لنا فى وضوح وجلاء طبيعة هذا الحياة وأنها سلسلة متصلة الحلقات من الأفراح والأحزان والهموم ، والنعم والمصائب ، كما يوضح لنا أن المؤمن بطبيعة الحال لا يقف مكتوف الأيدى أمام هذه الأحداث المختلفة التى سرعان ما تتغير وتتبدل ، بل يكون دائماً وأبداً كما يريده خالقه ، فحينما تقبل عليه النعمة يستقبلها بالشكر والعرفان لا بالكفر والجحود قال تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].

وحينما تنزل به النوائب يتلقاها صابراً عليها راضياً بها قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [2] .

كذلك يبين لنا هذا الحديث الشريف أن هذا الخير لا يكون لأحد إلا للمؤمن إذ هو معجزة الإيمان وأثره الساحر حين يستولى على القلوب فإذا هى تستقبل كل شىء بروح واحدة لا تتغير . فترى فى النعمة ما تراه فى المصيبة من بلاء واختيار وامتحان يجب أن يجتازه بنجاح ، كما أن السراء والضراء فى تقديرها وسيلتان إلى نوعين من العبادة هما الصبر والشكر . وأمام أحوال الدنيا المتقلبة المختلفة يقول الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : لكل فرحة ترحة ، وما ملىء بيت فرحاً إلا ملىء ترحاً « أى حزناً .

---

(١)إبراهيم : ٧ .
(٢) الزمر : ١٠

وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى : ما كان ضحك قط إلا بعده بكاء ، وقد شاهد الناس العجائب من تغير الدنيا بأهلها بأسرع ما يكون .

وصدق القائل فيما قال :

هى الأمور كما شاهدتها دول

من سَرَّهُ زمن ساءته أزمان

لكل شىء إذ ما تم نقصان

فلا يعز لطيب العيش إنسان

(١) .

من موعظة للإمام على بن أبى طالب فى الحث على الجهاد:

قال الإمام رضى الله عنه وكرم الله وجهه : -

أما بعد ..

فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله عز وجل لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى . ودرع الله الحصينة ، وجنته [٢] الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة [٣] البلاء وديث [٤] بالصغار والقماءة وضرب على قلبه بالأسداد[٥] ، وأذيل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف [٦] ومنع النصف ألا وإنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهاراً وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم . أغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى

---

(١)ذخيرة الواعظين الشيخ إبراهيم محمد عبد الباقى ١٣١ ، ٢٣١ .

(٢) الجنة بضم الجيم : الوقاية .

(٣) الشملة : الكساء الواسع .

(٤) ديث : ذلل . الصغار والقماءة :الذل .

(٥) الأسداد : الحجب .

(٦) سيم الخسف : أذل .

قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم، وملكت عليكم الأوطان فياعجبا والله يميت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ، فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى(١) .

فى هذه الموعظة البليغة للإمام على كرم الله وجهه ، ورضى عنه ظهر لنا أهمية الجهاد فى سبيل الله تعالى وأنه باب من أبواب الجنة كما بينت الموعظة تأنيب الإمام على رضى الله عنه للمسلمين على تخاذلهم عن القتال حتى أصبح الأعداء ينقضون عليهم فيولون الأدبار دون أن يصابوا بأذى .

موعظة أخرى للإمام على رضى الله عنه :

قال رضى الله عنه وهو يعظ الحسن والحسين رضى الله عنهما : أوصيكما بتقوى الله ، والرغبة فى الآخرة ، والزهد فى الدنيا ، ولا تأسفاً على شىء فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً ، ثم دعا محمداً وقال له : أما سمعت ما أوصيت به أخويك ؟ قال بلى . قال فإنى أوصيك بهما وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ، ولا تقطع أمراً دونهما ، ثم أقبل عليهما فقال : أوصيكما به خيراً فإنه أخوكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أبا كما كان يحبه فأحباه ثم قال : يا بنى أوصيكم بتقوى الله فى الغيب والشهادة ، وكلمة الحق فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الصديق والعدو والعدل فى النشاط والكسل ، والرضا عن الله فى الشدة والرخاء ، يا بنى من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ، ومن رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيه ، ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بنيه ، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن

(١) الكامل لإبن الأثير جـ٢ .

أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الأندال احتقر ، ومن جالس العلماء وقر ، يا بنى : الأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين ، يا بنى لا شرف أعلى من الإسلام ولا كرم أعلى من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع ، ولا شفيع أنجح من التوبة ، ولا لباس أجمل من العافية ، فطوبى لمن أخلص لله عليه وعمله ، وحبه وبغضه وأخذه وتركه، وكلامه وصمته وقوله وفعله [1] .

فهذه الوصية من الإمام على كرم الله وجهه ورضى عنه لأولاده الحسن والحسين ومحمد اشتملت على خيرى الدنيا والآخرة لما فيها من مواعظ نافعة تنفع الإنسان فى دينه ودنياه ، فالإمام رضى الله عنه يوصيهم بتقوى الله عز وجل والتقوى كما عرفها الإمام نفسه هى : الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والإستعداد ليوم الرحيل .

فتقوى الله هى جماع الأمر كله ، ثم يأمرهم أن يقولوا كلمة الحق ولو على أنفسهم ، وأن يقتصدوا فى الغنى والفقر ، وأن يعدلوا فى حكمهم بين الناس سواء كان صديقاً أو عدواً . ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ثم يوصيهم بالتعرف إلى الله فى وقت الشدة والرخاء « تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة » ثم ينهاهم عن الاشتغال بعيوب الآخرين، ويأمرهم بالقناعة بما قسم الله « إرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس .

كذلك يأمر الإمام أبناءه بعدم البغى والاعتداء على الآخرين وظلمهم لأن فيه مهلكه » الظلم ظلمات يوم القيامة » ونهاهم عن التجسس على عورات الناس والإعجاب بالرأى لأنه ضلال والاستغناء بالعقل لأنه إنزلاق ، وعدم التكبر على الناس لأنه ذلة ، كما نهاهم من مخالطة الأندال وأمرهم

(١)هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص٣٨٩ ، ٣٩٠ بتصرف .

بمجالسة العلماء ، ثم حثهم على الأدب لأنه ميراث الأنبياء « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وحسن الخلق لأنه وصف الأنبياء حيث مدح الله تعالى حبيبه محمداً ﷺ فقال : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

موعظة الحسن البصرى للحكام :

لما تولى خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز أمر الخلافة أرسل إلى الداعية المخلص الحسن البصرى لطلب منه يصف له الإمام العادل حتى يسير عليها فكتب إليه الحسن البصرى يقول :

أعلم يا أمير المؤمنين : أن الله تعالى جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين : كالراعى الشفيق على إبله الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المراعى ، ويذودها عن مرائع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكتنفها من أذى الحر والقر ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين : كالأب الحانى على ولده ، ويسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً ، يكتسب لهم فى حياته ، ويدخر لهم بعد مماته ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين : كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعه كرها ، وربته طفلاً ، تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة وتفطمه ، وتفرح بعافيته ، وتغتم بشاكيته ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين: وصى اليتامى ، وخازن المساكين يربى صغارهم ويمون كبيرهم ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين : كالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوانح بصلاحه ، وتفسد بفساده ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين : هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلامه ويسمعهم وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم ، فلا تكن يا أمير المؤنين فيما ملك الله كعبد أئتمنه سيده

واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال وشرد العيال ، فأفقر أهله وفرق عياله ، واذكر يا أمير المؤمنين : الموت وما بعده وقلة أشباعك عنده وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر ، واعلم يا أمير المؤمنين : أن لك منزلا غير منزلك الذى أنت فيه بطول فيه ثواؤك ، ويفارقك أحباؤك ويسلمونك فى قعره فريداً وحيداً ، فتزوده له ما يصحبك ! « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، وأذكر يا أمير المؤمنين : إذا بعثر ما فى القبور، وحصل ما فى الصدور فالأسرار ظاهرة ، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فالآن يا أمير المؤمنين : وأنت فى مهل ، قبل حلول الأجل ، وإنقطاع الأمل ، لا تحكم فى عباد الله بحكم الجاهليه ، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فإنهم لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة ، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك ، ولا يغرنك الذين ينعمون بما فيه يؤسك ، ويأكلون الطيبات فى دنياهم بإذهاب طيباتك فى آخرتك ، لا تنظر إلى قدرتك اليوم ولكن أنظر إلى قدرتك غداً ، وأنت مأسور فى حبائل الموت ، وموقوف بين يدى الله فى مجموع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحى القيوم ، وإنى يا أمير المؤمنين ، وإن لم أبلغ بعظتى ما بلغه أولو النهى من قبلى ، فلم آلك شفقة ونصحاً ، فأنزل كتابى إليك كمداوى حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له فى ذلك من العافية والصحة ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته [١] .

فهذه الرسالة الطيبة والموعظة العظيمة من قلب الداعية والواعظ الحسن البصرى رحمه الله لا شك أنها تصل فوراً وبدون إستئذان إلى قلب الخليفة التقى العابد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، وإلى كل قلب مؤمن ،

(١) الحسن البصرى لابن الجوزى ص٥٦ .

ولم تكن مجرد موعظة ألقيت للإستهلاك المحلى كشأن آلاف المواعظ التى تلقى وينتهى مفعولها عقب الإنتهاء من سماعها ، ولكن الحسن البصرى رحمه الله فى هذه الموعظة رسم الخطوط العريضة لما يجب أن يكون عليه حاكم الدولة نحو الرعية فى كل زمان ومكان كما أمر الله عز وجل وهذا مما جعل الموعظة باقية إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ويصف الدكتور عبد الرازق حميده هذه الرسالة أو الموعظة فيقول : ولو أن فيلسوفاً أخلاقياً تخير حاكماً لمدينة فاضلة ما أختار إلا ما وصفه الحسن البصرى حاكماً ، يصلح حياتها ويجعلها نعيماً [1] .

من مواعظ الإمام الشافعى رحمه الله :

قال المزنى : دخلت على محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه ، عند وفاته ، فقلت : يا أبا عبد الله ، رحمك الله ، عظنى فقال لى : إتق الله ومثل الآخرة فى قلبك ، واجعل الموت نصب عينيك ، ولا تنس موقفك بين يدى الله عز وجل وكن من الله تعالى على وجل ، واجتنب محارمه ، وأد فرائضه وكن مع الحق حيث كان ، ولا تستصغرن نعم الله إن قلت ، وقابلها بالشكر ، وليكن صمتك تفكراً ، وكلامك ذكراً ، ونظرك عبرة ، أعف عمن ظلمك ، وصل من قطعك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، واصبر على النائبات واستعذ بالله من النار بالتقوى ، فقلت زدنى رحمك الله يا أبا عبد الله قال : ليكن الصدق لسانك والوفاء عمادك والرحمة ثمرتك ، والشكر طهارتك والحق تجارتك والتودد زينتك ، والكتاب فطنتك ، والطاعة معيشتك والرضا إصطبارك ، والخوف جلبابك والصدقة حرزك والزكاة حصنك والحياء أميرك والحكم وزيرك والتوكل ورعك ، ولتكن الدنيا سجنك والفقر

---

(١) أدب الخلفاء الأمويين د/ عبد الرازق حميده ص٢٣٠ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٤٩م .

ضجيعك ، والحق قائدك ، والحج والجهاد بغيتك والقرآن محدثك ، والله مؤنسك ، فمن كانت هذه صفته كانت الجنة منزلته (١) .

وهذه موعظة إشتملت أيضاً على خيري الدنيا والآخرة ، فقد إفتتحها الشافعي رحمه الله بتقوى الله عز وجل ، وتقوى الله غاية كل مؤمن في الحياة الدنيا ، ثم يذكره بالآخرة وما فيها من ثواب للمطيع وعقاب للعاصي مع عدم نسيان الموت لحظة واحدة ، وموقفه بين يدي الله تعالى ، ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٢) .

وهذا لا يكون إلا باجتناب ما حرم الله تعالى وتأدية فرائضه ، واتباع الحق والبعد عن الباطل ، وشكر الله على نعمه ، ثم يحثه على العفو عن الظالمين ، وصلة المقاطعين ، والإحسان إلى المسيئين ، والصبر على ما ينزل به من الشدائد ، والاستعاذة بالله تعالى من النار وذلك بتقوى الله والإخلاص له في العمل ، كما اشتملت الموعظة على خلال كريمة وصفات حميدة من اتصف بها نال السعادة في الدنيا والآخرة ، فقد اشتملت على الصدق والوفاء والرحمة والشكر والطاعة والرضا ، والفهم في الدين والرجاء والخوف والحياء والحلم والتوكل على الله تعالى ، ثم يختم الشافعي موعظته بقوله : والله مؤنسك ، وهذا حث على الأكثار من ذكر الله تعالى حيث قال عز وجل : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٣) .

إدعاء والرد عليه :

ومع ما للوعظ والإرشاد من فائدة عظيمة وأثر طيب ظاهر في تهذيب

---

(١) المناقب للبيهقي جـ٢ ص ٢٩٥ .
(٢) الشعراء ٨٨ ، ٨٩ .
(٣) الرعد ٢٨ .

النفوس وسعادة البشرية ، فقد أنكره جماعة من المتشائمين وقالوا إنه محض عبث : لأن الأخلاق مبنية على غرائز لا تتحول وطباع لا تتبدل ، من هؤلاء المتشائمين : أبو العلا المعرى ، الذى لا يرى للوعظ فائدة ترجى لطول ما جرب الناس واختبرهم فلم تزده التجربة إلا يأساً وقنوطاً ، أنظر قوله :

وما قبلت نفسى من الخير لقطة   وإن طال ما فاهت به الخطباء

ومع هذا التشاؤم الصارخ من ناحية جدوى الوعظ كان أبو العلاء لايفتأ طول حياته مكباً على الوعظ أكثر من أى عمل آخر ، ولكن مثله الأعلى كان دائماً لا يتحقق ، وهذا سر برمه بالدنيا وأهلها ، وأنظر قوله :

متى أنا للدار المريحة ظاعن   فقد طال فى دار العناء مقامى

وقد ذقتها بين شهد وعقلهم   وجربتها من صحة وسقام [1]

كذلك الحال عند بعض فلاسفة العصر الحديث ، الذين انتهت إليهم كل تجارب الإنسانية ، والذين كنا ننتظر منهم غير ذلك قالوا أيضاً بعدم الفائدة من الوعظ والإرشاد ، وإنه لن يقدم أو يؤخر شيئاً .

ومن هؤلاء الفلاسفة : ـ شو بنهور الفيلسوف الألمانى الذى يقول : يولد الناس أخياراً أو أشراراً كما يولد الحمل وديعاً والنمر مفترساً ، وليس لعلم الأخلاق إلا أن يصف سيرة الناس وعوائدهم كما يصف التاريخ الطبيعى حياة الحيوان .

وليفى برول الفرنسى الفيلسوف الذى يقول : إن ميولنا الحسنة . أو القبيحة التى يجىء بها إلى هذه العالم عند ولادتنا هى طبيعتنا ، فكيف

---

(١) الدعوة إلى الإسلام أبو بكر ذكرى ص ١٢ ، ١٣ .

نكون مسئولين عن طبيعة هى ليست من عملنا ، وعلى الأقل ليست من عملنا الشعورى الاختيارى : وهيوم الإنجليزى الذى يقول : إن شعورنا بالمسئولية ليس إلا وهما وخداعاً [1] .

هذه آراء الفلاسفة والمفكرين عن الوعظ والإرشاد ، وأنه لا قيمة له حيث أن الناس يولدون أخياراً أو أشراراً ، وأن الحسن والقبيح شىء طبيعى فى الإنسان ، وأن الشعور بالمسئولية ليس إلا من نوع الخداع .

الرد على هذه الآراء :

وبنظرة فاحصة لهذه الآراء السابقة نجد أنها لا تقوم على أساس ، وباطلة فى دعواها ومنقوضة بالشرع والعقل والتجربة والملاحظة :

أما الشرع :

فإن الله ـ عز وجل ـ يقول : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [2] . إى عرفناه طريق الخير وطريق الشر . ويقول تعالى ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[3] . أى بيناه له ووضحناه وبصرناه به [4] .

ويقول عز من قائل : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ [5] . قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ أى بين لها الخير والشر .

وقال سعيد بن جبير : ألهمها الخير والشر ، وفى قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ أى أفح من زكى نفسه بطاعة الله

(١) راجع فى هذا مبادىء علم الأخلاق د/ محمد عبد الله دار از ص ٦ ، ٧ .
(٢) سورة البلد الآية : ١٠ .
(٣) سورة الإنسان الآية : ٣ .
(٤) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٥٣ .
(٥) سورة الشمس : الآيات من ٦ ـ ١٠ .

تعالى وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل ، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ أى أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصى وترك طاعة الله عز وجل [1] وقال رسول الله - ﷺ - : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » [2] .

أما من ناحية العقل :

فإن الله تبارك وتعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل من أجل إصلاح الإنسان وسعادته فى الدنيا والآخرة .

ورسالة الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم كانت وعظاً وإرشاداً ، وتوجيهاً إلى طريق الهداية ، كانوا بالوعظ ينبهون القلوب من غفلتها ، ويغسلونها من الجهل والغرور والأنانية والطمع والإنحراف إلى الميول المادية الحقيرة ، ويضيئون النفوس بضياء الحق ويشعرونها بالروحانية السامية ، ويبعدونها عن التدنس بالطباع البهيمية المنحطة ، وكانوا بالإرشاد يمحون ظلام الجهالة وينشرون أضواء العلم والعرفان ويبصرون أتباعهم بما ينفعهم من أمور دينهم ودنياهم [3] .

وقال بعض الحكماء : الموعظة موقظة للقلوب من سنة الغفلة ، ومنقذة البصائر من سكرة الحيرة ، ومحييه لها من موت الجهالة ، ومستخرجه لها من ضيق الضلال [4] .

فالإنسان خلق مستعداً للخير والشر ، فإن تيسرت له التربية الصالحة والبيئة الصالحة نشأ على الإيمان الخالص والأخلاق الفاضلة ، وحب الخير

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٥١٥ .
(٢) المرجع السابق جـ ٤ ص ٥١٦ .
(٣) الدعوة إلى الإسلام - أبو بكر ذكرى ص ١٩ . ٢٠ .
(٤) هداية المرشدين ص ٧٣ .

والفضيلة ، وأما إذا كان العكس فلم تتيسر له التربية الصالحة والبيئة الصالحة فإنه ينشأ على الكفر والأخلاق المنحلة وحب الشر والرذيلة .

ومن هنا فالوعظ والإرشاد لها أثر كبير فى هداية النفس الإنسانية ، والأخذ بها إلى الصراط المستقيم ، وصيانة القلوب من المخاطر ، وتهذيب النفوس وإستنارة البصائر بنور الطاعة .

أما من ناحية التجربة والملاحظة :

من الملاحظ فى عالم الإنسان أن إنساناً ما ، عاش طويلا فى بيئة الضلال والفساد ، وبلغ فيه الإجرام والشقاء كل مبلغ ، وقد أذاق المجتمع من وبال شروره وآثامه ، وأقض مضجعه من ويلات شقائه وإجرامه ، وإذا برفيق صالح ، أو مرب مؤثر ، وداعية مخلص ، نقله من وهدة الشقاء إلى روضة السعادة ، ومن بيئة الإجرام إلى عالم الكرام البررة فيصبح بعد هذا الشقاء الطويل والإجرام العريق من كبار الأتقيا « ومن أعلام الأبرار السعداء » (١) .

والدليل على ذلك : ما رواه أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن نبى الله ﷺ ـ قال : كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن

---

(١) تربية الأولاد فى الإسلام ـ عبد الله علوان جـ٢ ص٦٧٠ .
(٢) متفق عليه ـ رياض الصالحين ص ٢٠ ، ٢١ .

بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء [٢] .

فالرجل عاش فى بيئة كلها إجرام وفساد وسوء وإذا بهذا الواعظ يأخذ بيده من هذا الوباء الذى يعيش فيه وينقله إلى بيئة العبادة والتقوى والإخلاص وحب الخير والفضيلة وما ذلك إلا بالموعظة الحسنة التى قدمها له وعرفه بأن أرضه أرض سوء وفساد فلا يرجع إليها مرة أخرى .

ولننظر إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كيف كان قبل الإسلام ؟ .

كان معروفاً بالشدة والبطش . قال ابن اسحاق ، حدثنى عبد الرحمن ابن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبى ختمة ، قالت : والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر فى بعض حاجاتنا ، وإذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليه وهو على شركة قالت : وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا . قالت : فقال : إنه للإنطلاق يا أم عبد الله ، قالت : فقلت : نعم والله لنخرجن فى أرض الله ، آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله مخرجاً ، فقال : صحبكم الله ، ورأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه خروجنا ، قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا ، قال : أطمعت فى إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ، قال : فلا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ، قالت : بأسا منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام[١].

---

(١) سيرة ابن هاشام جـ ١ ص٣٤٢ . ٣٤٣ .

سبحان الله ألهذا الحد وصل اعتقاد الناس فى عمر أنه لن يسلم حتى يسلم الحمار ، الذى يملكه والده ، وذلك من شدته وقسوته على الناس فاستبعدوا أن يتغير عمر مما كان عليه من تقاليد الجاهلية ويدخل فى دين الله تعالى ، الذى جاء به الرسول ﷺ يبلغه للناس ولكن كيف تحول عمر بن الخطاب إلى الإسلام ؟ .

قال ابن اسحاق : خرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ فلقيه نعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد يا عمر ، فقال : أريد محمداً هذا الصابىء الذى فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها وسب آلهتها ، فأقتله ، فقال له نعيم : أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ، قال : وأى أهل بيتى ، قال : ابن عمك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما ، وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما فذهب عمر بن الخطاب إلى دار أخته فاطمة ، فوجد عندها جماعة يقرأون القرآن ، فلما أحسوا بعمر اختفوا ما عدا أخته وزوجها فلما دخل قال : لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بسعيد فمنعته فاطمة من ذلك فضربها فشجها ، فقالت له أخته وزوجها نعم أسلمنا فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى الدم من أخته ندم على ما صنع ، ثم ألقى بنظره إلى الأرض فإذا صحيفة فإذا فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم » طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى.... فلما قرأ سطراً منها قال ما أحسن الكلام وأكرمه ، ثم راح يفكر فى الفرق بين هذا الكلام العجيب ، وبين المألوف من الكلام ثم غشيته من الندم على ما مضى من عمره فى الجهالات والقسوة على المؤمنين ، وفى الحال تغيرت طبيعته وأخذ يسأال أخته وعلامات العظة والإعتبار تظهر على وجهه ، أين دار ابن الأرقم كى أسلم على يد محمد فكبر كل من فى البيت

(١) سيرة ابن هشام ج١ ص ٣٤٣ وما بعدها بتصرف .

وأرشدوه فذهب وأسلم وأعز الله بإسلامه الإسلام [١] .

وما كان هذا إلا بعظة عابرة غير مقصودة وقعت فى قلب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فحولته من القسوة والشدة والبطش إلى الرقة والرأفة والعطف وسبحان مغير الأحوال .

وإذا نظرنا إلى عالم الحيوان نجد أن الإنسان بخبرته غير كثيراً من طباع الحيوانات من النفور إلى الألف ومن الصعوبة إلى الأنقياد ومن الإعوجاج إلى الإعتدال ، وهذا واضح وظاهر فى السيرك حيث يقوم الإنسان بتدريب الأسود والنمور وهى حيوانات مفترسة متوحشة كما هو معروف للجميع ، كذلك يقوم الإنسان بترقيص الخيل وملاعبة الطيور الجارحة ، وإذا كان هذا فى عالم الحيوان ، فما بالك بالإنسان وهو أسلس قيادة وأعظم مرونة فإن تغير الطباع يكون أسهل وأسرع .

وكذلك الحال بالنسبة لعالم النبات ، فإن الإنسان عندما يضع البذرة فى أرض خصبة ، ثم يتعهدها بالعناية والرعاية والوقاية من الحشائش والحشرات حتى تنمو وتكبر ، فإن هذه البذرة سوف تؤتى أكلها ، أما إذا كان العكس ووضعت هذه البذرة فى الإض ولم يتعهدها الإنسان بالرعاية والعناية والوقاية وتركها على هذه الحال بدون تهذيب ولا إصلاح فإنها لا تؤتى أكلها ولا تعطى زهراً ولا ثمراً ، بل تصبح هشيما تذروه الرياح .

والنفس الإنسانية تتغير طباعها وتتهذب بالوعظ والإرشاد . حينما نتعهدها بالأخلاق الفاضلة ، ونمدها بالعلوم والمعارف التى تقربها من الله عز وجل ومن هنا تنشأ على حب الخير وبغض الشر ، والذى نستخلصه من كل ما سبق أن دعوى هؤلاء الفلاسفة بأن الطباع لا يمكن تغييرها دعوى باطلة ينقضها الشرع والعقل والتجربة والملاحظة كما بينا ذلك ، وإذا قال أحد غير

المجادلة بالتى هى أحسن :

هذا هو الأسلوب الثالث من أساليب الدعوة إلى الله تعالى ، وهو الجدال بالحسنى . وأصل مادة المجادلة : جدل يقول صاحب مختار الصحاح جادلة خاصمه مجادلة وجدالا ، والإسم الجدل ، وهو شدة الخصومة [١] .

وفى المفردات : الجدال المعارضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل أى أحكمت فتله وفيه الجديل .. وقيل : الأصل فى الجدال الصراع وأسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهى الأرض الصلبة ، أما فى الشرع فقد استعمل فى مقابلة الأدلة لظهور أرجحها [٢] .

وهذا الإستعمال قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً ، فالجدال المحمود يكون باظهار الحق والوقوف عليه ، والجدال المذموم يراد منه المراوغة والمكابرة والمعاندة .

وقد وردت مادة الجدال فى القرآن الكريم كثيراً وذلك لأهميته من ذلك: قوله تعالى :﴿ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾[٣] . وقوله عز وجل :﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [٤] . وقوله جل فى علاه : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٦] . وقوله ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾[٧] .

(١) مختار الصحاح للرازى مادة جدل ٣٨٤ .
(٢) المفردات للراغب مادة جدل وكذلك المصباح المنير مادة جدل .
(٣) البقرة : ١٩٧ .
(٤) هود : ٣٢ .
(٥) النحل : ١٢٥ .
(٦) العنكبوت : ٤٦ .
(٧) غافر : ٥ .

والجدال بالتى هى أحسن أسلوب له قيمته فى نجاح الدعوه إلى الله تعالى : فليس أسرع إلى القلوب ، وأحب إلى النفوس ، من قول يهدى إلى الحق والخير وذلك بالمسالمة و الحسنى . أما السفسطة ومحاولة الغلبة عن طريق الخشونة والتجريح والطعن فهذا أسلوب مرفوض يؤدى إلى نتيجة عكسية ومن أجل ذلك أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن يجادل بالتى هى أحسن وأن يستعمل الرفق واللين وحسن الخطاب فى دعوته .

يقول الإمام ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية : من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب كقوله تعالى : ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ، فأخبره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون فى قوله : « فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى » [(١)] .

ويقول الإمام النسفى فى تفسيره : « وجادلهم بالتى هى أحسن » بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ، أو بما يوقظ القلوب ، ويعظ النفوس ، ويجلو العقول [(٢)] .

وعلى هذا فإن الجدال بالتى هى أحسن ، يمثل الطريقة العملية المثلى للوصول إلى ذلك الهدف وبلوغ تلكم الغاية ، فإننا نلاحظ أن الطرق الجدلية التى تعتمد على التماس نقاط الضعف عند المخالف ، وتوجيه الضربات المتلاحقة إليه ، بوحى تلك النقاط ، وإثارة أعصابه بالأساليب العنيفة المنافية لاحترام ذاته وفكره ... إننا نلاحظ أن هذه الطرق التى يواجهها الطرف المقابل وهو لاحث لا تملك أن تقدم للعقيدة ، أى عقيدة كانت ، مؤمناً

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص٥٩١ .

(٢) تفسير النسفى جـ ٢ ص ٢٢٥ .

يعيش الإيمان بروحه وعقله ، وذلك لأن هذه الطرق تهاجم كبرياء الإنسان وكرامته فى الصميم ، ولذلك نجد أنه لابد لنا من طريقة تشعر المخاطب أنك وإياه رفيقان فى رحلة الوصول إلى الحق ، وإنك تحترم ذاته وتفكيره ، ولذا فأنت تعيش معه فى مجال الصراع الفكرى بهدوء وأتزان [١] .

ومن هنا فليست هناك طريقة تأخذ بيدى هذا الإنسان الحائر إلى شاطىء النجاة سوى طريقة الجدال بالتى هى أحسن كما بين ذلك القرآن الكريم كتاب رب العالمين .

وإنما نص القرآن الكريم على أن يكون الجدال مع خصوم الدعوة بالتى هى أحسن ، لأن الجدال فى أصل إستعماله اللغوى يتضمن معنى شدة الخصومة ، لأن كل طرف يسعى إلى إظهار خطأ ما عند الآخر بكل ما يستطيع ، وهذا قد يؤدى إلى شىء من التقبيح بحق وبغير حق بغية الانتصار فى الجدل فإذا أدى الأمر إلى شىء من ذلك لم يكن جدالا حسناً ، كما أنه لا يليق بالدعوة الإسلامية ، لأنها حق فى ذاتها ووسائلها ، ومنهجها لا تخرج عنه إلى باطل أبداً ، ولأن ما فيها من الحق يغنيها عن ذلك .

ومن هنا كان الجدال المأذون فيه والمأمور به فى تبليغ الدعوة الإسلامية هو أسمى أنواع الجدال ، الذى لا يخرج عن موضوع الجدال إلى الشتم والسب أو التقريع الذى لا يفيد شيئاً سوى الرغبة فى تحقير عقائد الخصم أمام نفسه وأمام الناس .

نماذج من المجادلة بالتى هى أحسن :

عرض القرآن الكريم نماذج من الدعوة إلى الله تعالى بالجدال بالتى هى أحسن فى صورة رائعة ، يستفيد منها دعاة عصرنا فى حياتهم ومن يأتى بعدهم إلى قيام الساعة .

(١) أسلوب الدعوة فى القرآن الكريم محمد حسين فضل الله بيروت لبنان .

موقف سيدنا إبراهيم من أبيه :

سيدنا إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء والمرسلين حينما تخرج إلى هذه الحياة يفتح عينيه فيجد نفسه بين قوم يعبدون الأصنام ويقدسونها من دون الله تعالى ، فيغضب الله تعالى على هذا الفعل من هؤلاء القوم ويشتد غضبه عندما يجد البيت الذى تربى وترعرع فيه توضع فيه هذه الأصنام على إنها آلهة تعبد من دون الله ومن الذى يصنع هذه الأصنام ؟ إنه أباه .

فلابد إذن من مواجهة أبيه قبل أن يواجه المجتمع الذى يعيش فيه ودار الحوار بين سيدنا إبراهبم عليه السلام وبين أبيه ، ولكنه حوار اتسم بالأدب والجدال الحسن فيقول لأبيه كما حكى القرآن الكريم ذلك :

﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ (١) .لقد كان والد إبراهيم فى مقدمة عابدى الأصنام ، بل كان ممن ينحتها ويبيعها . وقد عز على إبراهيم عليه السلام فعل والده وهو أقرب الناس إلى قلبه ، فرأى من واجبه أن يخصه بالنصيحة ويحذره عاقبة كفره ، لقد خاطب أباه بلهجة تسيل أدباً ورقة مبيناً بالبرهان العقلى بطلان عبادته للأصنام ، أنظر كيف استهل إبراهيم عليه السلام كلامه عند كل نصيحة بقوله : « يَا أَبَتِ » توسلاً إليه واستعطافا لقلبه ، مع استعمال الأدب الجم و وهذا كلام يهزأعطاف السامعين (٢) .

---

(١) مريم : ٤٢ ـ ٤٥ .

(٢) مع الأنبياء فى القرآن الكويم عفيف عبد الفتاح طبارة ص ١٠٩ .

وبعد هذا الحوار الهادى والحديث الشيق ، الصادر من قلب مملوء بالإيمان قلب يحب الخير للناس أجمعين ، فكيف بأبيه وأهله ، نجد أن أباه يثور عليه ويتوعده ، وكأنه يقول له : كيف ترغب عن آلهة أصنعها بيدى وأعبدها وأنت إبنى ، كان الأولى بك والإجدر أن تكون أول متقرب لهذه الآلهة ، ثم يهدده إن ترك هذه الآلهة ، وتمسك بالدين الجديد الذى جاء به فيقول له فى صورة المتعجب .

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[1] .

وكان جواب سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه بعد هذا التهديد بالرجم والقتل أن قال له : ﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[2].

فقد بلغ سيدنا إبراهيم عليه السلام رسالة ربه وأدى ما عليه من أمانة وأوضح لأبيه الطريق الصحيح ، الذى يسلكه . واستغفار سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه مع كفره وعناده كان عن موعدة وعدها إياه ، إسمع إلى قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [3] .

وبعدما أدى عليه من أمانة تجاه والده بنصحه وتذكيره وتبصيره ، ثم الإستغفار له ، لم يرض بهذا المقام ، الذى تعبد فيه الأصنام من دون الله عز وجل ، ولذلك اعتزل القوم وما يعبدون واتخذ لنفسه منهجاً يسير عليه قال جل فى علاه : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ

(١) مريم : ٤٦

(٢) مريم : ٤٧ .

(٣) التوبة : ١١٤ .

بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (١) .

ولكن ماذا كانت نتيجة الاعتزال من جانب سيدنا إبراهيم عليه السلام يوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة فيقول عز وجل : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ (٢) .

يقول الإمام ابن كثير فى تفسيره . فلما اعتزل الخليل أباه وقومه فى الله أبدله الله من هو خير منهم ووهب له إسحاق ويعقوب يعنى إبنه وابن إسحاق ، أى جعلنا له نسلاً وعقباً أنبياء أقر الله بهم عينه فى حياته ولهذا قال : « وكلا جعلنا نبياً » وقوله : « وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا » قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما يعنى الثناء الحسن وقال ابن جرير إنما قال « عَلِيًّا » لأن جميع الملل والأديان يثنون عليهم ويمدحونهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (٣) .

موقف آخر لسيدنا إبراهيم عليه السلام:

بعد أن فرغ سيدنا إبراهيم عليه السلام من دعوة أبيه وقومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام ، لأنها لا تنفع ولا تضر ، ولا تسمع ولا تبصر ، كان لابد من مواجهة المجتمع الذى يعيش فيه ، الذى ألف عبادة الأصنام واستقر عليها مدعين أنها عبادة الآباء والأجداد فكيف يتركوها لهذا الدين الجديد ، الذى جاء به إبراهيم عليه السلام .

يحدثنا القرآن الكريم عن هذه المحاورة التى دارت بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين عبدة الأصنام ، قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ *

---

(١) مريم :٤٨ .

(٢) مريم : ٤٩ ، ٥٠ .

(٣)تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٢٤ .

قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [١] .

فإبراهيم عليه السلام بتحطيمه الأصنام أقام دليلاً حسياً لقومه على بطلان عبادة الأصنام ، فلو كانت آلهة حقيقية لدافعت عن نفسها وأصابت بالضرر من أرادها بسوء ، وهذه الحقيقة التى فطن لها الإمبراطور (هيديوشى) امبراطور اليابان فقد شيد هذا الإمبراطور تمثالاً ضخماً لبوذا ولم يكد يتم بناؤه حتى زلزلت الأرض سنة ١٥٩٦ فألقت به على الأرض هشيماً . ويروى فى اليابان أن (هيديوشى) رمى الصنم المحطم بسهم قائلاً له فى أزدراء : لقد أقمتك هاهنا بباهظ النفقات فلم تستطع حتى حماية معبدك [٢] .

ورجع القوم من عيدهم فوجدوا الأصنام كلها محطمة ما عدا الصنم الكبير ، الذى يتوسطهم وهنا لابد من التساؤل : من الذى فعل هذا بالآلهة إنه ظالم بفعله هذا ؟ فيقول بعضهم سمعنا فتى يقال له إبراهيم يذكر هذه الآلهة بسوء ، ويسرع الجميع فى طلب إبراهيم وتقديمه للمحاكمة العاجلة .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ [١] .

وهنا تحين الفرصة لسيدنا إبراهيم عليه السلام لكى يبين لهم على ملأ من الناس سفاهة عقولهم وتفاهة معبوداتهم ، لأنها لو كانت آلهة كما يعتقدون لدافعت عن نفسها ولما حدث لها ما حدث من تكسير وتحطيم

---

(١) الأنبياء : ٥١ ـ ٥٨ .

(٢) مع الأنبياء فى القرآن الكريم ١١١ ، ١١٣ .

(٣) الأنبياء : ٥٩ ، ٦١ .

فسألوه قائلين : ﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾[٢] . وهذا تهكم واستهزاء وسخرية من سيدنا إبراهيم عليه السلام لهؤلاء الناس الذين يعبدون آلهة لا تنطق ولاتتحرك ولا تجيب .

يقول الإمام ابن كثير : وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم عليه السلام أن يبين فى هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقولهم فى عبادة هذه الأصنام ، التى لا تدافع عن نفسها ضراً ولا تملك لها نصراً ، فكيف يطلب منها شىء من ذلك [٣] .

ثم تنتهى المحاكمة العاجلة بالحرق لإبراهيم عليه السلام ، فينجيه الله تعالى من كيدهم وتدبيرهم قال عز وجل ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾ [٤] .

وتروى لنا كتب السيرة مواقف متعددة لمجادلة الرسول ﷺ للنصارى ودعوتهم إلى الإسلام . وكيف أن الكثير منهم كان يعتنق الإسلام بعد هذه المجادلة من ذلك :

ما رواه الإمام أحمد والترمذى وابن جرير عن عدى بن حاتم الطائى أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ إلى الشام ، وكان قد تنصر فى الجاهلية فأسرت أخته فى جماعة من قومها ، ثم من رسول الله ﷺ عليها وأعطاها فرجعت إلى أخيها ورغبته فى الإسلام .وفى القدوم على رسول الله ﷺ فقدم عدى المدينة وكان رئيساً فى قومه طىء ، وأبوه حاتم الطائى المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه ، فدخل عدى على رسول الله ﷺ وفى عنقه

---

(١) الأنبياء : ٦٢ ، ٦٣ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٨٢ .
(٣) الأنبياء ٧٠ .

صليب من فضة ، أو من ذهب ، فقرأ عليه الصلاة والسلام هذه الآية ﴿ إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ قال عدى : فقلت إنهم لم يعبدوهم فقال ﷺ بلى ، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فتلك عبادتهم إياهم ، ثم قال عليه الصلاة والسلام يا عدى ما يفرك [1] أن يقال : (الله أكبر) ؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله ؟ ما يفرك أيفرك أن يقال (لا إله إلا الله) : فهل تعلم من إله إلا الله : ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم : كما روى أنه لما دعاه الرسول ﷺ إلى الإسلام قال عدى : إن لى ديناً ، فقال عليه الصلاة والسلام : أنا أعلم بدينك منك ، فقال : أنت أعلم بدينى منى : قال نعم (مرتين أو ثلاثاً) ثم قال رسول ﷺ : ألست ترأس قومك : قال : بلى قال : ألست ركوسياً [2] ألست تأكل المرباع [3] قال : بلى ، قال : فإن ذلك لا يحل فى دينك ، ثم أسلم عدى وحسن إسلامه

والذى نلاحظه فى ذلك أن الرسول ﷺ قد بين له وجه الخطأ فيما هو عليه ولكن هذا تم فى أحسن صورة الجدال وأرفقه بالخصم ، كما بين له الرسول عليه الصلاة والسلام فى جداله أنه أعلم بدينه منه ، وأقام عليه الحجة فى ذلك فى إطار من الرفق والرحمة والشفقة وإظهار حب الخير له حتى هداه الله إلى اعتناق الإسلام .

وعلى الدعاة فى عصرنا هذا أن ينهجوا هذا فى جدالهم اقتداء وتسيا برسول الله ﷺ فيجب عليهم الالتزام الكامل بالموضوعية والرفق بالخصم وعدم إثارته حتى لا يدفعه هذا إلى العناد والمكابرة بالباطل ، لأن هذا ليس من الدعوة فى شىء :

حوار الرسول ﷺ مع عتبة بن ربيعة :

(١) يعنى أيحملك على الفرار والهرب أن يقال ذلك .

(٢) الوكوسيه : طائفة نصرانية متأثرة بالصابئة .

(٣) يعنى ربع الغنيمة .

أرادت قريش أن تجرب أسلوب الترغيب مع النبى ﷺبعدما جربت معه أسلوب الترهيب ولم تفلح ، فأرسلت إليه عتبة بن ربيعة وكان معروفاً بالهدوء والرزانة ، فذهب إلى النبى ﷺ وكان جالساً وحده فى المسجد الحرام وقال له : يا بن أخي إنك منا حيث قد علمت من البسطة فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل بعضها .

قال : فقال له رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد ، أسمع .

قال : يا ابن أخي ، إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمر دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئياً [١] تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع [٢] على الرجل حتى يداوى منه .

فقال رسول الله ﷺ أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم قال : فاسمع منى، قال : أفعل ، فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ ثم مضى الرسول ﷺ حتى وصل إلى قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ولما

---

(١) الرئى بفتح الراء وكسرها : ما يتراءى للإنسان من الجن .

(٢) التابع : من يتبع الناس من الجن .

وصل الرسول ﷺ إلى ذلك أمسك عتبة على فمه ، ورجاه أن يكف خشية أن يقع العذاب على قومه ، واستمر الرسول ﷺ حتى انتهى إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك ، فرجع عتبة إلى قريش بوجه غير الوجه ، الذى ذهب به إلى الوسول ﷺ فقالت قريش نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك ؟ قال : ورائى أنى قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعونى ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدالكم [1] .

مناظرة بين الإمام الشافعى ومحمد بن الحسن الشيبانى :

قال محمد بن الحسن : يا بن إدريس . ما تقول فى رجل عنده أربع فأصاب الأولى عمة الثانية، وأصاب الثالثة خالة الرابعة ، فقال الشافعى : ينزل عن الثانية والرابعة ، قال محمد بن الحسن : ما الحجة فى ذلك ؟

قال الشافعى : أخبرنا مالك عن أبى الزنادعن الأعرج ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها » [2] ، ما تقول أنت يا محمد ابن الحسن ، كيف استقبل رسول الله ﷺ القبلة يوم النحر وكبر ؟ فتتعتع محمد بن الحسن ولم يحر جواباً ، فالتفت الشافعى إلى هارون الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين

(١) أ سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله جـ ١ ص ٥٨٩ كتاب النكاح .

يحر جواباً ، فالتفت الشافعى إلى هارون الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين يسألنى عن الحلال والحرام فأجيبه وأسأله عن سنة من سنن رسول الله ﷺ فيتعتع والله لو سألته : كيف فعل أبو حنيفة لأجابنى [1] .

مما سبق نتبين ما كان يتصف به الشافعى رحمه الله تعالى ، من الشجاعة والجرأة فى جانب الحق ، فلم تمنعه صداقة محمد بن الحسن الشيبانى من المناظرة والمجادلة مادام الحق فى جانبه ولم يتهيب أمير المؤمنين وهو يسمع هذه المناظرة من أن ينتصر للحق ، ويدافع عنه مع علمه بمكانة محمد بن الحسن لدى هارون الرشيد ، فقد كان صاحب فضل ومكانة كبيرة عنده كل هذا لم يقف حائلاً بين الشافعى وبين ما يريد من إحقاق الحق وإبطال الباطل حتى ولو كان السلطان أو الخليفةنفسه ، وهذا مثل يبين ما ينبغى أن يكون عليه الداعى فى العصر الحديث من وجوب الإحاطة بموضوع دعوته وحفظ كتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله ﷺ ، لا يخاف التهديد ولا يخضع لإنسان مهما كانت سلطته ، فالخضوع لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى .

مناظرة بين الشافعى وبشر المريسى :

قال بشر المريسى للشافعى : أخبرنى ما الدليل على أن الله تعالى واحد ؟ فقال الشافعى : يا بشر ما تدرك من لسان الخواص فأكلمك على لسانهم إلا أنه لابد لى أن أجيبك على مقدارك من حيث أنت ، الدليل عليه وبه ومنه وإليه ، واختلاف الأصوات من المصوت إذا كان المحرك واحداً دليل على أنه واحد ، وعدم الضد فى الكلام على الدوام دليل على أنه واحد : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

(١) المناقب للبيهقى جـ ١ ص ١٣٧ .

وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

كل ذلك دليل على أن الله تعالى واحد لا شريك له فقال بشر : وما الدليل على أن محمداً رسول الله .

قال : القرآن المنزل ، وإجماع المسلمين عليه ، والآيات التى لا تليق بأحد غيره على أنه رسول الله ، لا بعده مرسل يعزله ، وامتهانك إياى بهذين السؤالين ، وقصدك إياى بهما دون فنون العلم دليل على أنك حائر فى الدين ، تائه فى الله عز وجل ، فقال له بشر : إدعيت الإجماع فهل تعرف شيئاً أجمع الناس عليه . قال : نعم أجمعوا على أن هذا الحاضر أمير المؤمنين ، فمن خالفه قتل ، فضحك هارون الرشيد وأعجب من حوار الشافعى ومناظرته فعفا عنه (٢) .

فالشافعى رحمه الله صمد وتمسك بدعوته وناظر وجادل وأقام الحجة على خصمه من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ وأقوال الصحابة رضى الله عنهم ، وأفحمه وانتصر عليه فى النهاية ، وهذا هو ثمرة الإخلاص فى الدعوة إلى الله تعالى :

وهكذا بالنسبة للداعية لابد أن ينتصر للحق دائماً ، وأن يكون مع الحق ضد الباطل ، حتى ولو كان مع أقرب الناس إليه ، والقدوة فى ذلك الرسول ﷺ عندما عارضه أقرب الناس إليه فلم يتأثر بذلك بل سار فى طريق دعوته وانتصر للحق أينما كان .

وقد ذكر الإمام الغزالى فى كتابه الإحياء أهم الأسس التى تبنى عليها آداب الجدال فقال : إن من أدب المجادلة الذى يقصد بجداله وجه الله تعالى وأحقاق الحق أن يكون جدال مع خصمه فى خلوته لا فى حفل جامع فإن الخلوة أجمع للفهم وأخرى بصفاء الذهن ، ودرك الحق وفى حضور الجمع الكثير ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه

(١) البقرة : ١٦٤ .

(٢) الحلية لأبى نعيم جـ ٩ ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ بتصرف .

محقاً كان أم مبطلاً فحرصهم إذاً على المحافل والمجامع وليس لله ولا لوجه الحق ، وأن يكون فى طلب الحق كناشد الضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على من يعاونه ، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق .

وهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم ، حتى أن أمرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس ، فقال : أصابت إمرأة وأخطأ رجل ، وسأل رجل عليا رضى الله عنه فأجابه فقال : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا ، فقال : أصبت وأخطأت وفوق كل ذى علم عليم ، واستدرك ابن مسعود على أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فقال أبو موسى : لا تسألونى عن شىء وهذا الحبر بين أظهركم ، وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال : هو فى الجنة ، وكان أمير الكوفة ، فقال ابن مسعود أعده على الأمير فلعله لم يفهم ، فأعادواعليه . فأعادا الجواب ، فقال ابن مسعود : وأنا أقول : إن قتل فأصاب الحق فهو فى الجنة ، فقال أبو موسى الحق ما قال .

وهكذا يكون إنصاف طالب الحق ، ومن آداب الحوار والجدال أن لا يحاور ويبحث فى الأوقات التى يتغير فيها مزاجه ويخرج عن حد الاعتدال لأن المزاج إذا زاد على حد الاعتدال فى الحرارة كان معه العجلة وقلة التوقف وعدم الصبر وسرعة الضجر وإذا زاد فى البرودة على حد الأعتدال أورث السهو والبلادة وقلة الفطنة وإبطاء الفهم .

ومن الآداب أن يجارى خصمه فى الشغب إن شاغبه ولا يرد عليه إن ربى فى كلامه ، بل يستعمل الهدوء والوقار ويقصد مع ذلك وضع الحجة فى موضعها فإن ذلك أغلظ على خصمه من السب والشتم .

ومن الآداب أيضاً أن لا يستصغر خصمه ولا يتهاون به [1] .

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى جـ ١ ص ٧٣ ، ٧٤ بتصرف .

وقد أورد الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد من هذه الآداب فقال: وينبغى للمتناظرين أن يلتزماً الآداب الآتية :

١ ـ أن يتحرزا من إطالة الكلام ومن اختصاره .

٢ ـ أنى يتجنبا غرابة الألفاظ وإجمالها .

٣ ـ أن يكون كلامهما ملائماً للموضوع .

٤ ـ أن لا يخسر أحدهما من صاحبه .

٥ ـ أن يقصد كل منهما ظهور الصواب ولو على يد صاحبه .

٦ ـ أن لا يتعرض أحدهما لكلام صاحبه قبل أن يفهم غرضه منه .

٧ ـ أن ينتظر كل منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه [١] .

هذه آداب الجدل والحوار ليكون المجادل على بينة وبصيرة من الأمر عندما يدخل غمار المعترك فيبقى ثابت الجأش واضح الهدف والمنهج فى طلب الحق وتقريره وقمع الباطل ودحره .فيعطى لكل ذى حق حقه . ويعرف لكل واحد قدره .

ورحم الله الإمام الشافعى حينما قال : ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطىء ، وما كلمت أحداً قط وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه ، وما أردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت محبته ، ولا كابرنى أحد على الحق ودفع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته، وما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ [٢] .

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى جـ ١ ص ٧٣ ، ٧٤ بتصرف .

(٢) رسالة الآداب محمد محى الدين عبد الحميد ص ١٧٦ ، ١٧٧ .



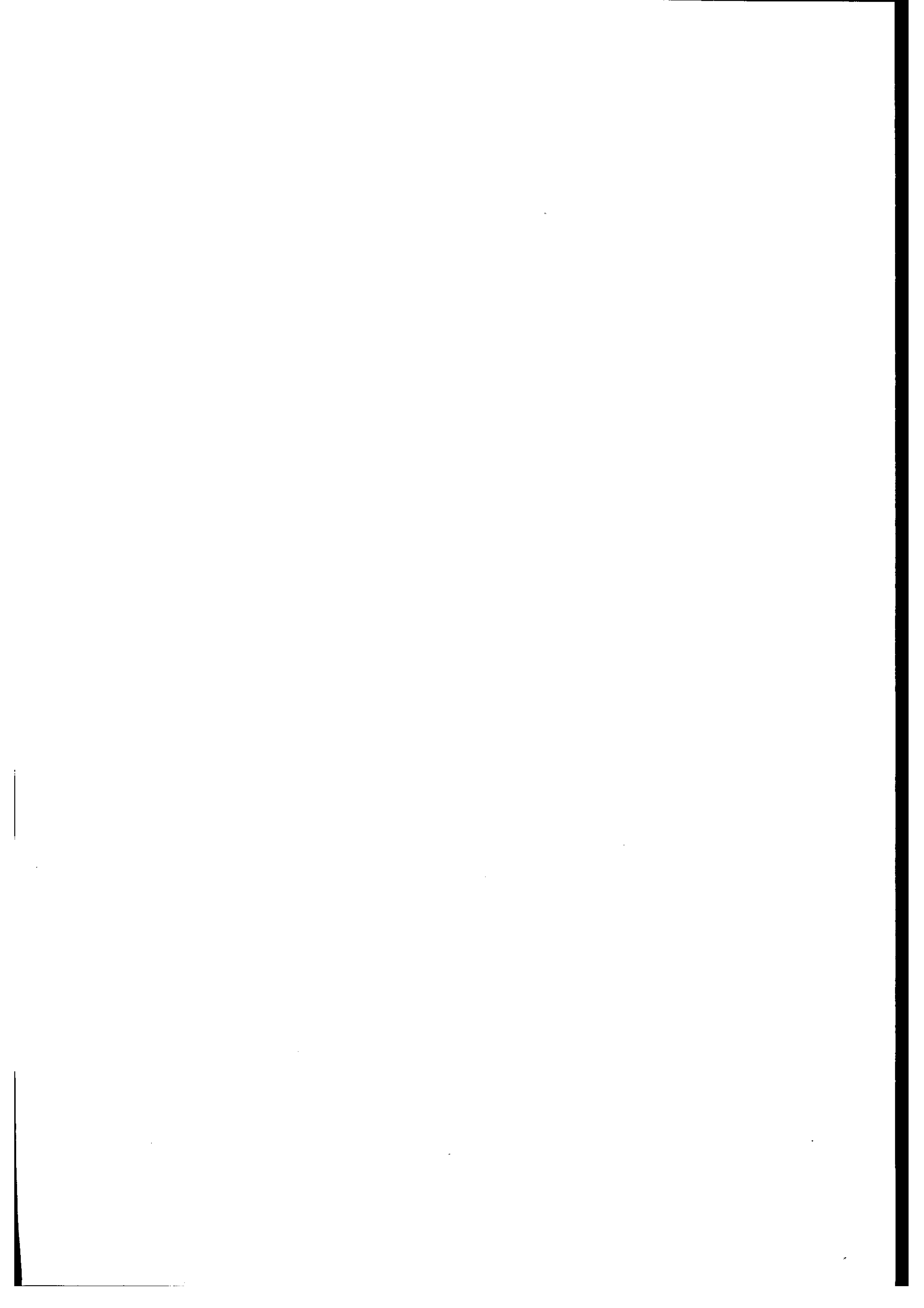
صلة الدعوة الإسلامية بالدعوات السابقة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : التوحيد دين الفطرة

المبحث الثانى : فائدة معرفة الدعوات السابقة

المبحث الثالث : مبادىء مشتركة بين سائر الأنبياء



الفصل الثانى

صلة الدعوة الإسلامية بالدعوات السابقة

المبحث الأول

التوحيد دين الفطرة

من المعلوم أن التدين نزعة أصيلة فى الإنسان ، فلن توجد أمة من الأمم سواء كانت متقدمة أو متخلفة ، إلا وكانت العقيدة وفطرة التدين من طبائعها التى لا يمكن أن تخلى عنها .

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم كتاب الله تعالى تجد أنه أكد على هذه الفطرة عند الإنسان ، ورجع به إلى طبيعته السليمة الصافية ، بعيداً عن الضلال والإنحراف قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١) .

يقول ابن كثير : يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بنى آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو ، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه (٢) .

قال تعالى فى شأن ذلك :﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وأخرج الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه

---

(١) الأعراف : ١٧٢ .

(٢) تفسير ابن كثير : جـ ٢ ص ٢٦١ .

(٣) الروم : ٣٠ .

ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » قال أبو هريرة راوى الحديث وأقرأوا إن شئتم : فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله [١] .

ويقول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن رب العزة جل وعلا : « إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأفرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطاناً [٢] .

والإنسان خلقه الله تعالى وفيه ميل فطرى يقوده أحياناً لاختيار الخير ، وأحياناً لاختيار الشر فإن اختار الخير كانت سعادته فى الدنيا والآخرة وإن اختار الشر كان شقاؤه فى الدنيا وعذاب جهنم فى الحياة الآخرة وفى هذه يقول عز وجل : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [٣] أى يعرف ما ينفعه وما يضره فى حياته ولهذا قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [٤] .

وفى القرآن الكريم برهان قوى ودليل واضح يدلنا على وجود فطة التدين فى نفس الإنسان ، حيث أنه يشعر بحاجته إلى قوة تعينه فى وقت الشدة وتنقذه من الضيق وتنفعه عند الحاجة .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِي ﴾ [٥] .

(١) صحيح مسلم جـ ٢٢ ص ٤٥٨ .
(٢) مسند الإمام أحمد جـ ٤ ص ١٦٢ .
(٣) البلد : ١٠ .
(٤) الشمس : ٧ ـ ١٠ .
(٥) يونس : ٢٢ .

من هنا نستطيع أن نقول أن البشرية فى سائر الجهات و وفى كل الأوقات كانت على الدين ، وشعرت بالحاجة الملحة إلى التعلق بسلطان غيبى فوق ما فى الكون من قوة ومن أسباب ، فالتوحيد أساس البشرية به بدأت وعليه نشأت ، أما الانحراف والشرك فهذا شىء طارىء على البشرية.

وإذا نظرنا إلى سيدنا آدم أبى البشر عليه السلام نجد أنه كان موحداً ، غاية التوحيد قرأ بهذا التوحيد حيث قال : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (1) .

فهذا اعتراف منه بالربوبية والتوحيد لله رب العالمين ، الذى خلقه فأحسن خلقه وسواه ونفخ فيه من روحه .

والذى لاشك فيه أن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض مسلماً لله متبعاً لهداه وأن الله أخذ عليه العهد هو وزوجته أن يتبعا ما يأتيهما من هدى وأن يبتعدا عن خطوات الشيطان إذ هو لهما عدو مبين قال تعالى ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (2) .

والذى لا شك فيه أيضاً أن آدم عليه السلام قد قام بنقل ما تلقاه من ربه إلى بنيه وتعريفهم بإسلامه وعقيدته ، وتلقى بنوه هذه التعاليم بالقبول وتوارثوها جيلاً بعد جيل ، وظلت أجيال عدة بعد آدم عليه السلام لا تعرف إلا توحيد الله عقيدة وإسلام الوجه لله ديناً (3) .

---

(1) الأعراف : ٢٣ .

(2) طه : ١٢٣ ، ١٢٤ .

(3) تاريخ الدعوة د / جمعة الخولى ص ١١ .

يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان بين آدم ونوح - عليهما السلام - عشرة قرون كلهم على شريعة الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين »[1] .

ولقد قص القرآن الكريم خبر ابنى آدم ، حيث نفذوا تعاليم أبيهم وتلقوها بالرضا والقبول قال تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2] .

ومن هنا يتأكد لنا أنهم عرفوا شرع الله تعالى وكان فيهم ديناً من تعليم أبيهم لهم فهابيل وهو المهدد بالقتل كان عنده إيمان وتقوى وخوف من الله تعالى ولذلك زجر أخاه عن ارتكاب المحرم وعنفه عندما قال له :

إنما يتقبل الله من المتقين ، وإيمانه وتقواه يظهران عندما وجه الخطاب لأخيه قائلاً : إنى أخاف الله رب العالمين ، فهو يعرف أن هناك رباً يجازى على الحسنات كما يعاقب على السيئات ، يعطى لفاعل الخير خيراً وفاعل الشر شراً جزاءاً وفاقاً ، كما يثيب المحسن على إحسانه جنات عرضها السموات والأرض ويعاقب المسىء على إساءته ناراً يصلاها مذموماً جزاء ما قدم فى هذه الحياة الدنيا ، وهذا يؤكد وجود الدين فى آدم وذريته .

---

(١) النبوات لابن تيمية ٢٥٥ .

(٢) المائدة : ٢٧ ، ٣٠ .

فالبشرية منذ آدم عليه السلام كانت على التوحيد الخالص لله رب العالمين ، وعندما انحرفت عن الطريق المستقيم وعبدت الأصنام والطواغيت من دون الله أرسل الله عز وجل الرسل رحمة بعباده لكي يرشدهم إلى الحق والصواب ويعيدوهم إلى أصل العقيدة وهو توحيد الله تعالى .

فسيدنا نوح عليه السلام قال لقومه : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (1) .

وسيدنا هود عليه السلام قال لقومه :﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (2) .

وسيدنا صالح عليه السلام قال لقومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (3) .

وسيدنا إبراهيم عليه السلام :﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ (4) .

وسيدنا شعيب عليه السلام قال لقومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (5) .

وسيدنا موسى عليه السلام قال لقومه : ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ (6) .

وسيدنا عيسى عليه السلام قال :﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (7) .

---

(1) الأعراف : ٥٩ .

(2) الأعراف : ٦٥ .

(3) الأعراف : ٧٣ .

(4) الصافات : ٨٥ ، ٨٦ .

(5) الأعراف : ٨٥ .

(6) يونس : ٨٤ .

(7) المائدة : ١١٧ .

فكل رسول من الرسل كان يدعو قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام والأرباب المصنوعة من دون الله ، وصدق الله حيث يقول :﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[١] ، أي وما من أمه خلت من بنى آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر وأزاح عنهم العلل [٢] .

ويقول أيضاً :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[٣] ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [٤] ، ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾[٥] ، ولقمان الحكيم عليه السلام عندما وصى إبنه بدأ وصيته إياه بتوحيد الله تعالى وعدم الإشراك به فقال : ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[٦] .

فسنة الله تعالى فى خلقه أن يبعث فى كل أمة نذيراً يعيد الناس إلى الحق والعدل ، الذى كان عليه من سبقه ، وهو توحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به .

---

(١) فاطر : ٢٤ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥٥٢ .

(٣) النحل : ٣٦ .

(٤) الأنبياء ٢٥ .

(٥) المؤمنون : ٤٤ .

(٦) لقمان : ١٣ ، ١٦ .

شبهة والرد عليها :

بعد هذا البيان الواضح والأدلة على أن الدين وجد بوجود آدم عليه السلام فى الأرض ، فإن هناك من خالف هذا الرأى وقال إن الدين هو حديث عهد بالناس ، ولم يكن منذ آدم عليه السلام .

فقد ذهب بعض كتاب القرن الثامن عشر ، الذين مهدوا للثورة الفرنسية ، إلى أن الديانات والقوانين ما هى إلا منظمات مستحدثة ، وأعراض طارئة على البشرية .

قال فولتير : إن الإنسانية لا بد أن تكون قد عاشت قروناً متطاولة فى حياة مادية خالصة ، قوامها الحرث والنحت والبناء والحدادة والنجارة قبل أن تفكر فى مسائل الدينيات والروحانيات « إن فكرة التأليه إنما إخترعها وهاه ماكرون من الكهنة والقساوسة الذين من يصدقهم من الحمقى والسخفاء .

وكذلك ذهب (جان جاك روسو) مذهب فولتير فى هذا الزعم الباطل ، على أنه لم ينقض هذا القرن حتى ظهر خطأ هذه المزاعم ، حيث كثرت الرحلات إلى خارج أوربا ، واكتشفت عوائد الناس وعقائدهم وأساطيرهم المختلفة، وتبين من المقارنة أن فكرة التدين مشاعة لم تخل عنها أمة من الأمم فى القديم والحديث [(١)] .

ويقول الأستاذ العقاد فى كتابه (الله) عن نشأة العقيدة وتطورها : ترقى الإنسان فى العقائد كما ترقى فى العلوم والصناعات .

فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى ، وكذلك كانت علومه وصناعاته ، فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان

---

(١) أنظر الدين د / محمد عبد الله دراز ص : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ بتصرف .

والعبادات ، وليست عناصر الحقيقة فى واحدة منها بأوفر من عناصر الحقيقة فى الأخرى ، وينبغى أن تكون محاولات الإنسان فى سبيل الدين أشق وأطول من محاولاته فى سبيل العلوم والصناعات ، لأن حقيقة الكون الكبرى أشق مطلباً وأطول طريقاً من حقيقة هذه الأشياء المتفرقة التى يعالجها العلم تارة والصناعة تارة أخرى .

ثم يقول : الرجوع إلى أصول الأديان فى عصور الجاهلية الأولى لا يدل على بطلان التدين ، ولا على أنها تبحث عن محال ، وكل ما يدل عليه أن الحقيقة الكبرى أكبر من أن تتجلى للناس كاملة فى عصر واحد [1] .

ثم يؤيد العقاد هذه الفكرة بما ينقله من علماء مقارنة الأديان فيقول : يعرف علماء المقابلة بين الأديان ثلاثة أطوار عامة مرت بها الأمم البدائية فى إعتقادها بالآلهة والأرباب وهو دور التعدد ودور التمييز والترجيح ودور الوحدانية ففى دور القبائل التعدد كانت القبائل الأولى تتخذ أرباباً تعد بالعشرات وقد تتجاوز العشرات إلى المئات ، ويوشك فى هذا الدور أن يكون لكل أسرة كبيرة رب تعبده أو تعويذة تنوب عن الرب فى الحضور وتقبل الصلوات والقرابين .

وفى دور التمييز والترجيح تبقى الأرباب على كثرتها ويأخذ رب منهافى البروز والرجحان على سائرها ، إما لأنه رب القبيلة الكبرى التى تدين لها القبائل الأخرى بالزعامة وتعتمد عليها فى شئون الدفاع والمعاش ، وإما لأنه يحقق لعباده جميعاً مطلباً أعظم وألزم من سائر المطالب التى تحققها الأرباب المختلفة .

---

(١)(الله)عباس محمود العقاد ص ٥ .

وفى الدور الثالث توحد الأمة فتجتمع إلى عبادة واحدة تؤلف بينهامع تعدد الأرباب فى كل أقليم من الأقاليم المتفرقة ويحدث فى هذا الدور أن تفرض الأمة عبادتها على غيرها كما تفرض عليها سيادة تاجها وصاحب عرشها[1] .

مما سبق يتضح لنا على رأى علماء المقابلة بين الأديان أن الإنسان بدأ بعقيدة التعدد ثم انتقل إلى عقيدة التثنية ، ثم انتقل إلى عقيدة التوحيد ، وقد ترقت العقيدة بترقى الإنسان فى الحياة ، فكلما تقدم الإنسان شيئاً فشيئاً تقدمت عقيدته وترقت عما كانت عليه قبل ذلك ، وهذا يخالف ما أثبتناه فى مقدمة البحث من أن التوحيد كان ملازماً للإنسان فى بدئ حياته.

ويؤيد ما نقول أن فكرة التدين فى جوهرها لم تتأخر عن نشأة الإنسان: يقول (معجم لاروس) للقرن العشرين : إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية ، حتى أشدها همجية ، وأقربها إلى الحياة الحيوانية ، وإن الإهتمام بالمعنى الآلهى وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية ويقول : إن هذه الغريزة الدينية لا تختفى ، بل ولا تضعف ولا تذبل ، إلا فى فترات الإسراف فى الحضاروة وعند عدد قليل جداً من الأفراد.

وكتب بارتيلمى سانت هيلير : هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا: ما العالم ؟ ما الإنسان ؟ من أين جاء ا ؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ما القانون الذى يجب أن يقود عقولنا فى أثناء عبورنا فى هذه الدنيا أى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ هل يوجد شئ بعد هذه الحياة العابرة ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود .

(١) المصدر السابق ص ١٤ .

هذه الأسئلة لا توجد أمة ، ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها حلولا جيدة أو رديئة مقبولة أو سخيفة ، ثابتة أو متحولة .

ويقول هنرى برجسون : لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ، ولكنه لم توجد جماعة بغير ديانة (١) .

وعلى هذا فالتدين عنصرى لتكميل القوة النظرية فى الإنسان ، فيه وحده يجد العقل ما يشبع نهمته ، ومن دونه لا يحقق مقاصده العليا كما أنه عنصر ضرورى لتكميل قوة الوجدان ، فالعواطف النبيلة من الحب ، والشوق ، والشكر ، والتواضع ، والحياء ، والأمل ، وغيرها إذا لم تجد ضالتها المنشودة فى الأشياء ولا فى الناس ، وإذا جفت ينابيعها فى هذا العالم المتبدل المتبدد وجدت فى موضوع الدين مجالاً لا تدرك غايته ، ومنهلاً لا ينفذ معينه ، ثم هو عنصر ضرورى لتكميل قوة الإرادة يمدها بأعظم البواعث والدوافع ، ويدرعها بأكبر وسائل المقاومة لعوامل اليأس والقنوط (٢) .

ومن هنا تبطل نظرية التطور فى العقيدة ، التى قال بها علماء مقارنة الأديان ومن سار فى طريقهم ، وتثبت الحقيقة التى وضحها القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وهى أن الدين لازم البشرية منذ نشأتها وصدق الله حيث يقول ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾(٣) .

---

(١) أنظر : الدين د / محمد عبد الله دراز ص ٨٤ ، ٨٥ .
(٢) المصدر السابق ص ١٠٠ .
(٣) الكهف الآية : ٥ .

المبحث الثانى

الحكمة من ذكر الدعوات السابقة

إن القرآن الكريم بين الحكمة من ذكر الدعوات السابقة عندما لفت الأنظار إلى أحوال الأمم الماضية وما حدث لهم من تعذيب وهلاك بسبب عنادهم وتكذيبهم لرسل الله تعالى ، فإن فيها العظة والعبرة والذكرى لمن أراد أن يتعظ ويعتبر ويتذكر ، فيقول الله عز وجل بعد ما ذكر الاستهزاء والسخرية برسله وما حدث للذين سخروا منهم ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١) .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : أى فكروا فى أنفسكم وانظروا ما أحل الله بالأمم الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوهم من العذاب والنكال والعقوبة فى الدنيا مع ما ادخر لهم من العذاب الأليم فى الآخرة (٢) .

ويقول بعد ذكر قصة يوسف عليه السلام وما حدث له مع إخوته : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

ويقول أيضاً عز من قائل : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) يقول تعالى لقد كان فى خبر المرسلين مع قومهم وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين عبرة لأولى الألباب وهى أصحاب العقول ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ أى وما كان لهذا القرآن أن يفترى من دون الله ،

---

(١) الأنعام الآية : ١١ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٣) يوسف الآية : ١٠٩ .

(٤) يوسف الآية : ١١١ .

أى يكذب ويختلق ﴿ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أى من الكتب المنزلة من السماء هو يصدق ما فيها من الصحيح وينفى ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من تحليل وتحريم وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والنهى عن المحرمات ولهذا كان ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون ﴾ تهتدى به قلوبهم من الغى إلى الرشاد ، ومن الضلال إلى السداد ، ويبتغون به الرحمة من رب العباد ، فى هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد (١) .

وقال سبحانه وتعالى بعد أن ذكر أخبار قوم صالح ولوط عليهما السلام ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٢) .

أى المكذبين بالرسل وبما جاءوهم به من أمر المعاد وغيره كيف حلت بهم نقمة الله وعذابه ونكاله ونجى الله من بينهم رسله الكرام ومن أتبعهم من المؤمنين (٣) .

وقال جل فى علاه بعد أن ذكر قصة نوح والسفينة : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾ (٤) .

وقال بعد ذكر ما حدث بين الفرس والروم : ﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) أنظر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٩٨ بتصرف .
(٢) النمل الآية : ٦٩ .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٧٣ .
(٤) العنكبوت الآية : ٢٠ .
(٥) الروم الآية : ٩ .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية :﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾أى بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماع أخبار الماضين ، فقد كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً ، وما أوتيتم معشار ما أوتوا ومكنوا فى الدنيا تمكيناً لم تبلغوا إليه وعمروا فيها أعماراً طوالاً فعمروها أكثر منكم واستغلوها أكثر من استغلالكم ، ومع هذا فلما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله واق ، ولا حالت أموالهم وأولادهم بينهم وبين بأس الله ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب [1] وقال بعد أن ذكر آياته الدالة على قدرته : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ [2] .

أى انظروا ما حل بهم من تكذيبهم للرسل وكفرهم بنعم الله تعالى التى أنعم بها عليهم فكان الواجب الشكر بدل الكفر والجحود .

وقال بعد أن ذكر أحوال المكذبين لرسوله ﷺ : ﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴾ [3] .

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الرسالة سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها فخلت منهم منازلهم وسلبوا ما كانوا فيه من النعيم بعد كمال القوة وكثرة العدد ، وكثرة الأموال والأولاد فما أغنى ذلك شيئاً ولا دفع عنهم من عذاب الله من شئ لأنه تعالى لا يعجزه شئ أذا أراد كونه فى السموات والأرض [4] .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٢٧ .

(٢) الروم الآية : ٤٢ .

(٣) فاطر الآية : ٤٤ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥٦٢ .

وقال بعد أن ذكر أحوال الأمم المكذبة ومصيرها : ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ (١) .

وقال بعد أن ذكر موقف فرعون وجنوده من موسى وهارون عليهما السلام وما حل بآل فرعون من سوء العذاب : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢) .

وقال عز وجل بعد أن عرض لموقف المشركين : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ (٣) .

وقال بعد أن شاء إلى هلاك الأمم السابقة لما ظلموا : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

مما سبق يتبين لنا الحكمة من ذكر الدعوات السابقة ، «والسعيد من وُعِظَ بغيره وتَعلم من أخطاء الآخرين ، والشقى من أُتْعِظَ به غيره ومنه فالواجب على الأمة أن تستفيد من الماضى وتأخذ منه وماينفعها فى دينها ودنياها ، لأن هذا الماضى ملئ بمواطن العبرة والعظة ومن هنا جاءت آيات القرآن الكريم تأمر بالنظر والتأمل فى أخبار الأمم السابقة ليكون منها العبرة والعظة والإنتفاع بسنن الله فى الوجود وأخذ الدروس العملية منها حتى لا يقع اللاحقون فيما وقع فيه السابقون من أخطاء أدت إلى هلاكهم وتدميرهم قال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ

---

(١) غافر الآية : ٢١ .
(٢) غافر الآية : ٨٢ .
(٣) محمد الآية : ١٠ .
(٤) يونس الآية : ١٤ .

يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ ﴾ [١] .

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [٢] .

وقال عز من قائل : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [٣] .

ومن أجل العظة والاعتبار نجد القرآن الكريم يعقب على نهاية الأمم السابقة ويبين ما فيها من دروس للأجيال اللاحقة ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى بعد ذكر قصة سبأ وما حل بهم من عذاب : ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴾ [٤] . وما جاء في قوله تعالى بعد ذكر قصة ثمود : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [٥] .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [٦] .

وما جاء في قوله تعالى بعد ذكر قصة نوح ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [٧] . وما جاء في قوله تعالى بعد حكاية قرية لوط: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٨] ، وما جاء في قوله تعالى في

---

(١) السجدة الآية : ٢٦ .

(٢) الحج الآية : ٤٦ .

(٣) آل عمران الآية : ١٣٧ .

(٤) سبأ الآية : ١٧ .

(٥) النمل الآية : ٥٢ .

(٦) ق الآية : ٣٧ .

(٧) العنكبوت الآية ١٥ .

(٨) العنكبوت الآية ٣٥

سورة الشعراء عقب قصة كل نبى من الأنبيآء عليهم السلام ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [١] .

يقول الزمخشرى فى تفسيره : وأية آية لاتوصف وقد شاهدها الناس شاع أمرها بينهم وعليهم أن يتفكروا فيها فلو تفكروا لاعتبروا ، ولو كانوا صحاب عقل لاتعظوا واندفعوا إلى الإيمان بالإسلام ، ولتركوا الجدال الخالى ن الهدف ، وبعدوا عن الخصومة المتعصبة والمعارضة من غير دليل [٢] .

كما أن معرفة الدعوات السابقة يدفع الناس إلى الإيمان بالإسلام ، يث أن الإسلام ما هو إلا حلقة من سلسلة دعوات الله تعالى تترابط مع سائر الدعوات فى الأصول والأهداف ، وبهذا الترابط تظهر حقيقة سلام ومدى تناسبه مع الطبيعة البشرية ، وعدم تناقضة مع أى دعوة بقته ، وهذا من شأنه يدفع المؤمنين بدعوة سابقة إلى الإيمان بالإسلام ، لأنهم عه سيجدون أنفسهم مؤمنين بسائر الرسل ، وبكافة الكتب ، وبكل ساسيات التى آمنوا بها من قبل ، وهذه المعرفة أيضاً تفيد الدعوة سلامية لأنها تبين للناس عاقبة الأمم السابقة ، من عصى ومن أطاع ، فيدها من ناحية ثالثة ، لأنها تشير إلى قصص غاب عن الناس ، ولم ق منه سوى رسوم بالية ، وعلى كل فإن الإفادة بأخبار الدعوات السابقة ، يجب أن يهتم به الداعية لما فلها من قوة وتأثير [٣] .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ ادكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤] .

---

(١) الشعراء الآيات : ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠ .
(٢) تفسير الكشاف جـ ٣ ص ١١٥ .
(٣) دراسات فى الدعوة الإسلامية د / أحمد غلوش ص ٤٨ ، ٤٩ بتصرف /
(٤) هود : ١٢٠ .

المبحث الثالث

مبادئ مشتركة بين سائر دعوات الأنبياء

المبادئ المشتركة بين سائر دعوات الأنبياء واحدة وإن اختلفت الشرائع قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ : ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] .

وفى هذا المعنى يقول الوسول ﷺ: « الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد »[2].

وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى ، والعلات الضرائر ، ومعنى الحديث : أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرآئع[3] .

ويمكننا أن نبين المبادئ المشتركة فيما يلى : ـ

١ ـ الإخلاص التام :

من المعلوم أن الرسل عليهم السلام أخلصوا فى دعوتهم لله سبحانه وتعالى وأبلوا فيها بلاءاً حسناً وتحملوا من أجلها المشاق والمصاعب والمتاعب عندما واجهوا الناس بدعواتهم ، ولم ييأسوا من ذلك . لم يثنهم الإستهزاء والسخرية ، ولم يرهبهم الإضطهاد والتعذيب ، ولم تجد معهم المساومة ، بل واجهوا الناس بالحق وقاموا على أمره خير قيام ، لم ينتظروا من أحد أجراً أو مثوبة ، لأنهم يعلمون أن الأجر والمثوبة من عند الله تعالى .

---

(١) فصلت : ٤٣ .

(٢) صحيح الإمام مسلم جـ ٢ ص ٣٤١ .

(٣) فتح البارى جـ ٦ ص ٤٨٩ .

فسيدنا نوح عليه السلام مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله تعالى دون ملل أو كلل . قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا ﴾(١) .

حتى عندما أعرضوا عنه لم يتركهم ، بل استمر فى دعوته لهم لعلهم يستجيبون لدعوته ، قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾(٢) . وهذا فى حد ذاته درس للدعاة فى الإخلاص لدعوتهم حتى تؤتى ثمارها المرجوة إن شاء الله تعالى .

وعلى نفس النمط سار سيدنا هود عليه السلام عندما قال لقومه :{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ * يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾(٣) ولكنهم كسابقيهم فى الكفر والعناد وصد الناس عن دعوة الرسول فقد ردوا على نبيهم رداً سيئاً واتهموه بالكذب والجنون ، فقال عليه السلام كما حكى القرآن : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾(٤) .

وكذلك فعل سيدنا صالح عليه السلام عندما تصدى لقومه ودعاهم إلى

---

(١) العنكبوت : ١٢٤ . (٢) نوح : ٥ ـ ١٠ .
(٣) هود : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ . (٤) هود ٥٧ .

عبادة الله تعالى وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام .

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ .... وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾(1) .

ولكن الطغيان والفجور عشعش على قلوبهم وأعمى أبصارهم عن الحقيقة التى دعاهم إليها سيدنا صالح عليه السلام وعلى هذا الدرب سار سيدنا إبراهيم وسيدنا لوط وسيدنا شعيب وسيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهم السلام ، وسيدنا يوسف عليه السلام عندما أخلص لله وتمسك بدعوته دخل السجن ومع ذلك صبر ولم يُجبْ دعوة امرأة العزيز عندما راودته ، بل قال ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾(2) ، وعندما دخل السجن لم ينس الدعوة إلى الله تعالى فلما طلب منه السجينان تفسير الرؤيا لم يجبهما إلى طلبهما أولا ، بل دعاهما ومن وراءهم إلى عبادة الله تعالى وترك عبادة الأصنام والأشخاص يقص القرآن علينا هذا الموقف العظيم : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (3).

ويوسف عليه السلام ، وهو يدعو إلى التوحيد فى السجن ، ويسوق

(1) هود : 61 ، 64 .
(2) يوسف : 23 .
(3) يوسف 39 . 40 .

عليه الأدلة القيمة ، ويجعله سلواه ، ويؤكد أن الإله الواحد خير من أرباب متفرقين ، يتيه العقل فيهم ، يضرب المثل للداعية ، ويحدد له ما هو أجدر باهتمامه ، وأولى بكل عنايته .[1] .

وصدق الله إذ يقول فى حقه : ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [2] .

وخاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ سلك نفس الطريق ، واستمر فى دعوته إلى الله تعالى بإخلاص تام وصبر وعزيمة قوية ، لم يغره المال والملك، ولم يثنه عن عزمه التهديد والاضطهاد والإيذاء ، بل صبر على هذا واستمر فى طريقه يدعو الناس إلى الله تعالى وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولاتضر ، بل ولاتغنى من الحق شيئاً .

فعندما عرضوا عليه المال والملك قائلين له : « إن كنت تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإ كنت تريد به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ..،.. قال النبى - ﷺ - ما بى ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى إليكم رسولاً ، وأنزل علىَّ كتاباً ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىَّ أصبر حتى يحكم الله بينى وبينكم [3] .

فأجمعوا على مخالفته وقابلوه بالسخرية والاستهزاء ووصفوه بالكذب

---

(١) المعجزة الكبرى : القرآن للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٧٢ بتصرف .
(٢) يوسف ٢٤ .
(٣) سيرة ابن هشام جـ ١ .

والسحر قال تعالى ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (١) .

وقال عز من قائل ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا * إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ (٢) .

وكان هذا الفعل من جانبهم يُحْزِن ﷺ ويؤلمه فينزل القرآن عليه يواسيه يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (٣) .

ويقول أيضاً : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٤) وكأن الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله ﷺ إن هذا الطريق شاق وعسير فلابد من الصبر وتحمل الأذى والسخرية والاستهزاء أسوة بمن سبقك من إخوانك المرسلين .

وليت الأمر وقف عند هذا ، بل إن القوم طلبوا من الرسول ﷺ معجزات حتى يؤمنوا بدعوته وهذا ما حكاه القرآن عنهم : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (٥) .

---

(١) ص ٤ ، ٥ .
(٢) الفرقان ٤١ ، ٤٢ .
(٣) الأنعام ٣٤ .
(٤) الأحقاف : ٣٥ . (٥) الإسراء : ٩٠ ـ ٩٣ .

هذا بعض مالاقاه الرسول ﷺ من مقاومة قومه ، وهو ثابت صامد صابر يدعو إلى الله تعالى بإخلاص تام وعزيمة لا تلين حتى تم له النصر ودخل الناس فى دين الله أفواجاً .

٢ ـ الوضوح التام :

إذا تتبعنا آيات القرآن الكريم نرى الوضوح التام فى دعوات رسل الله تعالى عليهم السلام ، فليس فيها غموض أو خفاء أو التواء ، بل إنها اتسمت بالبيان ، فالرسل جميعاً جاءوا بلغة أقوامهم ليبينوا للناس دعوتهم بيسر وسهولة . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

والوضوح التام من جانب الرسل عليهم السلام قطع الطريق أمام المعاندين والمعارضين حتى لا يتعللوا ويقولوا لم يرسل إلينا رسولاً نفهم لغته ونعى ما يقول قال تعالى فى شأن هذا الوضوح مخاطباً رسوله ﷺ : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾(٢) .

ونذكر بشئ من التفصيل توضيح الرسل عليهم السلام ما جاءوا أقوامهم به ، فسيسدنا نوح عليه السلام قال لقومه : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾(٣) .

---

(١) إبراهيم : ٤ .

(٢) آل عمران ١٨٤ .

(٣) الأعراف : ٦١ / ٦٢ .

وسيدنا هودعليه السلام قال لقومه : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾[1].

وسيدنا صالح عليه السلام قال : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

وقال : ﴿ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾[3].

وسيدنا شعيب عليه السلام قال لقومه : ﴿ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[4].

وقال ﴿ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾[5].

وخليل الله إبراهيم عليه السلام عندما حاجه قومه قال : ﴿ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[6].

---

(١) الأعراف ٦٧ / ٦٨ .
(٢) الأعراف ٧٣ .
(٣) الأعراف : ٧٩ .
(٤) الأعراف : ٨٥ .
(٥) الأعراف : ٩٣ .
(٦) الأنعام : الآية ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ .

وسيدنا موسى عليه السلام عندما عارضه فرعون رد عليه قائلاً : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[1] .وقال في شأن بني اسرائيل : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾[2] .

وقال في شأن سيدنا عيسى عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[3] .

وقال في شأن خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[4] وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[5] وقال مخاطباً رسوله﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[6].

وقال عز من قائل : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا

(١) الأعراف : الآية ١٠٤ / ١٠٥
(٢) البقرة : الآية ٩٢ .
(٣) الصف : الآية : ٦ .
(٤) يونس : الاية : ١٥ .
(٥) الأحقاف : الآية ٧ .
(٦)الأحقاف : الآية ٩ .

تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ * قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

مماسبق يتضح لنا أن رسل الله تعالى عليهم السلام كانوا واضحين فى دعوتهم ليس فيما جاءوا به من عند الله تعالى خفاء أو غموض أو إلتواء ، بل الأمر ظاهر وبين وجلى ، وكان هدف الرسل عليهم السلام من الوضوح أن لا يعتذر أحد بعد ذلك ويقول ما جاءنا من نذير أو بشير قال تعالى : ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (٢) .

ومن هنا تكون الحجة للرسل عليهم السلام على أقوامهم بأن بينوا لهم المنهج ووضحوا لهم الطريق ، الذى إن أتبعوه فازوا فى الدنيا والآخرة بما أعده الله لعبادة الطائعين من الخير العميم والنعيم المقيم .

٣ ـ تشابه المعارضة :

عندما أعلن الرسل عليهم السلام دعوتهم على أقوامهم كانت المعارضة القوية من هؤلاء الأقوام ضد هذه الدعوة ، ولو نظرنا إلى المعارضة نجد أنها صورة واحدة تكررت مع سائر الأمم ، فالقوم يعبدون الأصنام ويتخذونها آلهة لهم ومهمة الرسول كانت فى دعوتهم إلى عبادة الله وحده دون إتخاذ شريك معه فكانت المعارضة منهم متعللين بأن هذه عبادة الآباء والأجداد فكيف يتركونها بمجرد دعوة الرسول إليهم وهذا ما حكاه القرآن الكريم عنهم حيث قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾(٣). وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ (٤).

---

(١) الأنعام الآية : ٥٧ / ٥٨ .

(٢) الأنفال الآية : ٤٢ .

(٣) المائدة : الآية ١٠٤ (٤) البقرة الآية ١٧٠ .

ومن هنا كان على الرسل عليهم السلام أن يصححوا هذه المفاهيم التى اختلطت على الناس وهى اتخاذ الآلهة مع الله سبحانه وتعالى ، فالله تعالى هو المستحق للعبادة وهو الإله الحق الواجب التعظيم لأنه لا إله سواه فكان أول شئ يوجهه الرسول إلى قومه قوله تعالى : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ وهذه الآية تكررت مع كل رسول فى دعوته قومه ، فالرسول يقرن التوحيد بالأمر بالعبادة .

يقول الرازى : « التوحيد كالعلة للعبادة لأنه إذا لم يكن لهم إله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه الإحسان والنفع والعطف والبر حاصلاً من الله ، ونهاية الإنعام توجب نهاية التعظيم فوجبت عبادة الله لأجل العلم بأنه لا إله إلا هو [1] وإذا كان الله عز وجل هو الإله المستحق للعبادة دون سواه فاتخاذ الأصنام والأوثان آلهة مع الله تعبد خطأ فاحش يجب على الرسل أن يصححوا هذا الخطأ يقول أبو السعود : يجب أن يكون واضحاً أن المراد من الإله المدعو إليه فى دعوات الرسل هو الإله المستحق للعبادة حقاً دون سواه[2] .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن المعارضين أنكروا رسالة الرسول بدعوى زائفة وهى أن الرسول بشر مثلهم فكيف يصح أن يدعى أنه رسول من عند الله تعالى ، وكان لابد على الرسل أن يثبتوا هذا ويردوا على المعارضين وقد بين القرآن هذا الإنكار من جانب القوم والرد عليه فسيدنا نوح عليه السلام قال له قومه : ﴿ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ٤ ص ٣٦١ .

(٢) تفسير إبى السعود جـ ٢ ص ١٧١ .

عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾ (١) .

وسيدنا هود عليه السلام قال له قومه : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢) .

وسيدنا صالح عليه السلام قال له قومه : ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ (٣).

وسيدنا موسى وهارون عليهما السلام كان الرد عليهما كما حكاه القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾(٤) وسيدنا محمد ﷺ قال له قومه .﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (٥) .

ومن هنا فالواجب على الرسل أن يثبتوا الرسالة أمام المعارضين ويعرفونهم أن الرسالة نعمة من الله يخص بها من يشاء قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٦) . وقال عز وجل : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (٧) . وهذا ما حكاه القرآن الكريم على لسان الرسل عليهم السلام . فسيدنا نوح عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ ﴾ (٨) .

---

(١) المؤمنون : الآية ٢٤ .
(٢) الأعراف الآية : ٦٦ .
(٣) المؤمنون الآية : ٣٣ .
(٤) المؤمنون الآية : ٤٧
(٥) ص الآية ٤ / ٥ .
(٦) الحج الآية : ٧٥
(٧) الأنعام الآية : ١٢٤
(٨) هود الآية : ٢٨ .

وسيدنا صالح عليه السلام : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ (١) .

وسيدنا شعيب عليه السلام : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ (٢) . والرحمة المؤتاه والرزق الحسن المراد به النبوة التى بعثوا بها وعارضهم الناس فيها (٣) كما كان الرسل عليهم السلام يذكرون أقوامهم بالرسالات السابقة عليهم ليعتبروا بها ويتركوا الجدل والمعارضة التى لاتفيد شيئاً ، نجد ذلك فى رد سيدنا هود عليه السلام على قومه : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (٤) . وسيدنا صالح عليه السلام ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ﴾ (٥) . وسيدنا شعيب عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي ﴾ (٦) . ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ (٧) وهكذا بين الرسل عليهم السلام الحقيقة واضحة أمام أقوامهم فماذا بعد الحق إلا الضلال ونلاحظ من آيات القرن الكريم أن معارضى الدعوات دائماً هم الأغنياء ، أصحاب الجاه والسلطان ، الذين كانوا يظنون أن الدعوة تسلبهم أموالهم وجاههم وسلطانهم وكانوا يسخرون من الرسل أن أتباعهم من الضعفاء والمساكين ، الذين لا يملكون شيئاً من الجاه والسلطان ، حتى إنهم كانوا يطلبون من الرسل أن يطردوا هؤلاء الضعفاء ، لأنه لا يليق بهم وهم الأغنياء أن يجلسوا مع هؤلاء الفقرآء ، الذين يعتبرونهم فى نظرهم عبيداً وأرقاء .

---

(١) هود الآية : ٦٣ . (٢) هود الآية : ٨٨

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٢ فى تفسير الرحمة والرزق الحسن .

(٤) الأعراف الآية : ٦٩ (٥) الأعراف ٧٤

(٦) الأعراف الآية : ٩٣ (٧) هود الآية : ٨٩ .

وقد سماهم القرآن الكريم بالملأ ، والملأ هم السادة والقادة والكبراء [1] يحكى القرآن الكريم قصة الملأ فيقول تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [2] .

وكان رد الرسل كما حكاه القرآن : ﴿ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [3] .

ويقول تعالى مخاطباً خاتم المرسلين ﷺ : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [4] .

٤ اتحاد الأصول :

من البيان السابق نجد أن دعوات الله تعالى ذات أصول واحدة ، وهذه الأصول نوضحها فيما يلى :

(أ) التوحيد :

التوحيد مبدأ هام دعا إليه جميع الرسل ، وهو يشمل الألوهية والربوبية معاً ، ويعتبر الهدف الأساسى من كل رسالة قال تعالى مخاطباً

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٢٣ .
(٢) هود الآية : ٢٧ .
(٣) هود الآية : ٢٩ / ٣٠ .
(٤) الكهف الآية : ٢٨ .

رسـوله ﷺ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[1]وسيدنا نوح عليه السلام قال لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [2] وسيدنا هود عليه السلام قال : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[3] وسيدنا صالح عليه السلام قال :﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [4] و سيدنا شعيب عليه السلام قال : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [5] . وسيدنا عيسى عليه السلام قال : ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُم ﴾(٦) وسيدنا محمد ﷺ قال : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ﴾ [7] .

(ب) إثبات الرسالة :

دأب المعارضون على إنكار رسالة الرسل عليهم السلام بدعوى أنهم بشر ، وكان الهدف من هذا الإنكار هو إسقاط ما يدعو إليه الرسل ، ولكن الرسل أثبتوا الرسالة بالنقل والعقل وبهذا تسقط شبه المعارضين ، وقد بينا ذلك قبل قليل .

(جـ) الدعوة إلى العبادة :

رسل الله جميعاً دعوا إلى العبادة ، وتوجهوا بها إلى الله سبحانه وتعالى وحده دون أحد سواه ، ومن يتتبع آيات القرآن الكريم يجد ذلك واضحاً جلياً لا غموض فيه ولا خفاء ، فسيدنا إبراهيم عليه السلام يدعو

---

(١) الأنبياء الآية : ٢٥
(٢) الأعراف الآية : ٥٩ .
(٣) الأعراف الآية : ٦٥
(٤) الأعراف الآية : ٧٣ .
(٥) الأعراف الآية ٨٥
(٦) المائدة الآية : ١١٧ .
(٧) الزمر الآية : ١١ .

ربه أن يمكنه وذريته من إقامة الصلاة فيقول ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ (١) وأمره الله تعالى قائلاً : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٢) وأمره أيضاً ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٣) .

وقال عن سيدنا إسماعيل عليه والسلام ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ (٤) .

وخاطب سيدنا موسى عليه السلام قائلاً :﴿ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ (٥) وأمره هو وأخوه هارون بها فقال : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦) .

وسيدنا عيسى عليه السلام قال : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (٧) ومن وصايا لقمان الحكيم لإبنه وهو يعظه ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (٨) .

من العرض السابق يتبين لنا أن رسل الله عليهم السلام قد أمرهم الله بإقامة الصلاة وإن كانت صورها وتفضيلاتها وأحكامها تختلف من أمة إلى أمة .

قال الإمام الرازى : إن هذه الكيفية الصلاة اختلفت هيئاتها من رسالة إلى

---

(١) إبراهيم الآية : ٤٠ .
(٢) الحج الآية : ٢٦ .
(٣) الحج الآية : ٢٧ .
(٤) مريم الآية : ٥٥ .
(٥) طه الآية : ١٤ .
(٦) يونس الاية ٨٧ .
(٧) مريم الآية : ٣١ . .
(٨) لقمان الآية : ١٧ .

رسالة وإن اتحدت فى حقيقتها وغرضها (١) ، ولذلك نوديت مريم عليها السلام : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٢) وسيدنا داود عليه السلام ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (٣) وعهد إلى سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٤) .

وكذلك الأمر بالنسبة للزكاة كعبادة من العبادات دعا إليها رسل الله عليهم فيقول سبحانه وتعالى عن سيدنا إبراهيم وابنه إسحاق عليهما السلام: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (٥) ومن صفات سيدنا إسماعيل عليه السلام ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ (٦) .

وقال عن بنى إسرائيل ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (٧) .

ومن أقوال سيدنا عيسى عليه السلام فى المهد ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (٨) .

وكذلك الأمر بالنسبة للصوم فهو معروف فى الرسالات السابقة قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٩).

والحج كعبادة أيضاً معروف منذ زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث

(١) التفسير الكبير جـ ٦ ص ٧٣٦ .
(٢) ال عمران الاية : ٤٣ .
(٣) ص الآية : ٢٤ .
(٤) البقرة الآية : ١٢٥ .
(٥) الأنبياء الآية : ٧٣ .
(٦) مريم : الآية : ٥٥ .
(٧) البقرة الآية : ٨٣ .
(٨) مريم الآية : ٣١ .
(٩) البقرة الآية : ١٨٣ .

قال له المولى عز وجل ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [١] .

(د) الدعوة إلى الأخلاق :

الدعوة إلى الأخلاق والتهذيب النفسى أمر اهتمت به دعوات الرسل عليهم السلام ، حيث أن التسامى الخلقى يؤهل الإنسان لرضا الله سبحانه وتعالى والفوز بجنانه التى أعدها لعباده المتقين أصحاب الأخلاق الكريمة ، فالرسول ﷺ أثنى عليه مولاه فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٢] وقال عن نفسه ﷺ :« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » [٣] .

وإذا نظرنا إلى الدعوات السابقة نجد أن الرسل عليهم السلام اهتموا بالأخلاق فسيدنا نوح عليه السلام أرسله الله فى قوم ضلت عقيدتهم وفسدت أخلاقهم ، وأصروا على المعاصى والكفر واستكبروا استكباراً شديداً عن الطاعة واتباع دعوة الرسول ، حتى أن الرجل كان يذهب بابنه إلى نوح ـ عليه السلام ـ ويقول : إحذر هذا فإن أبى قد وصانى به [٤] .

ومن أجل ذلك طلب منهم سيدنا نوح عليه السلام أن يعبدوا الله تعالى ويتركوا المعاصى قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٥] .

---

(١) الحج الآية : ٢٧ .

(٢) القلم الآية : ٤

(٣) مؤطأ مالك رضى الله عنه جـ ٤ ص ١٩٢ ما جاء فى حسن الخلق .

(٤) تفسير النسفى جـ ٤ ص ٢٩٥ (٥) نوح الآية ٢ / ٤ .

وقال سبحانه وتعالى فى حق سيدنا إبراهيم وذريته : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (١) .

وقال عن سيدنا اسماعيل عليه السلام : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ (٢) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ (٣) .

وسيدنا هود عليه السلام دعا قومه أن يقلعوا عن المعاصى ويستغفروا الله من الذنوب بعد دعوته إياهم إلى توحيد الله وعبادته فقال : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ (٤) .

وسيدنا صالح عليه السلام أرسله الله تعالى فى قوم عتوا عتواً كثيراً وأفسدوا فى الأرض وعبدوا الأصنام من دون الله تعالى ، مع أن الله أنعم عليهم بنعم كثيرة ، ولكن قابلوها بالجحود والنكران قال تعالى ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٥) .

وهكذا دعا صالح عليه السلام قومه إلى ترك الفساد والإستكبار فى الأرض بعد دعوته إياهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته .

وسيدنا شعيب عليه السلام بُعِثَ فى قوم فسدت أخلاقهم وخرجت ذممهم حيث كانوا يطففون الكيل والميزان مع الفساد فى الأرض ، فنهاهم نبى الله شعيب عن ذلك قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ

---

(١) الأنبياء الآية : ٧٣ .
(٢) مريم الآية : ٥٤ .
(٣) الأعلى الآية : ١٤ / ١٥ .
(٤) هود الآية : ٥٢ .
(٥) الأعراف الآية : ٧٤ .

مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [١] .

وسيدنا لوط عليه السلام بعث فى قوم فسدت أخلاقهم وابتدعوا منكراً لم يسبقهم إليه أحد من العالمين ، حيث أرتكبوا جريمة اللواط وما أبشعها جريمة .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : أرسل الله سبحانه لوطا عليه السلام إلى قوم هبطوا فى مستوى الإنسانية إلى درجة لم يهبط إلى مثلها أحد من قبل ، وفيها فساد للفطرة التى فطر الله عليها الإنسان ، فجاء لوط عليه السلام يدعوهم إلى الطهر ، والعودة إلى الفطرة السليمة المستقيمة ، فلم يجد عندهم قبولاً لدعوته ، ولا ميلاً إلى الإصلاح واستمروا فيما هم فيه من فساد وإفساد حتى تنزل بهم عقاب الله [٢] .

قال تعالى فى حقهم :﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [٣] .

وسيدنا موسى عليه السلام أرسله الله تعالى إلى فرعون وملائه ، الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد ، فدعاهم إلى الأخلاق ونبذ الشر والإفساد قال تعالى : ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [٤] .

---

(١) الأعراف الآية : ٨٥ / ٨٦ .
(٢) المعجزة الكبرى القرآن ص ٣٦٠ بتصرف .
(٣) الأعراف الآية : ٨٠/ ٨١ .
(٤) النازعات الآية : ١٨ / ١٩ .

فسيدنا موسى عليه السلام دعاه إلى التطهر من الشرك والطغيان وذلك عن طريق الخشية من الله سبحانه وتعالى ، وقال تعالى فى حق بنى إسرائيل : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (١) .

وعن سحر فرعون قال عز وجل ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (٢) .

ومن وصايا لقمان الحكيم لابنه ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (٣) .

وسيدنا عيسى عليه السلام دعا إلى الأخلاق وحث عليها ، وذلك عندما سأله أحد الفريسيين قائلاً له : يا معلم أى وصية هى العظمى فى الناموس ؟ فقال له يسوع : تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه هى الوصية الأولى العظمى والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك فبهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء (٤) .

وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ تضمنت رسالته الدعوة إلى الأخلاق ، وكيف لا وهو الذى بعثه الله تعالى ليتمم مكارم الأخلاق ورسالته ختم الله بها الرسالات وكتابه آخر الكتب المنزلة ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين .

---

(١) البقرة الآية : ٨٣ .

(٢) طه الاية : ٧٥ / ٧٦ .

(٣) لقمان الآية : ١٧ / ١٩ .

(٤) إنجيل متى الرصحاح الثانى والعشرين عدد ٣٧ ـ ٤١ .

وقد تضمن القرآن الكريم آيات كثيرة دعت إلى الأخلاق وحثت عليها من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون ﴾(١).

ومنها أيضاً قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

وهناك آيات كثيرة فى القرآن الكريم دعت إلى التهذيب النفسى ومكارم الأخلاق ولا يتسع المقام لذكرها فالمقصود هنا معرفة الأخلاق فى الدعوة الإسلامية كما تعرفنا عليها فى الدعوات السابقة .

ومن هنا نجد أن الدعوات كلها التقت على الدعوة إلى مكارم الأخلاق.

---

(١) الأنعام الآية : ١٥١ / ١٥٢ .

(٢) الحجرات الآية : ١١ / ١٢ .

(هـ) إثبات يوم القيامة :

يوم القيامة أمر أجمعت الدعوات كلها عليه ، حيث يجازى المحسن بإحسانه والمسئ بإساءته قال تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[1] .

ومن أجل ذلك وضحت الدعوات أن يوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب أمر لازم لابد منه ، فسوف يحاسب الله الخلائق على ما قدمت من أعمال فى هذه الحياة الدنيا إن خيراً فالجنة مثواهم ، وإن شراً فالنار مصيرهم وبئس المصير .

ولعل الهدف من بيان حقيقة البعث وإثباته أولاً عند الناس هو تخويفهم من الإهمال وتحذيرهم من العصيان ، ذلك أن الرسل صلوات الله عليهم قدموا التخويف والتحذير فى دعوتهم وذكروهما قبل أى شئ آخر ، وأعظم التخويف هو بالبعث ويوم القيامة ، وإنما قدم الرسل ذلك لأن غالبية القوم مقلدون والمقلد لا ينظر فى الدليل ولا يعتبر بالآيات إلا إذا خاف[2] .

يقول الرازى : إن المقلد إذا خوف خاف ومالم يحصل الخوف فى قلبه لا يشتغل بالاستدلال ولهذا السبب قدم الرسل التخويف دائماً كما أشارت لذلك سورة الشعراء حيث كان الرسل يقدمون ﴿ ألا تتقون ﴾ على ﴿ إنى لكم رسول أمين ﴾[3] .

وإذا نظرنا إلى الآيات القرآنية نجد أن الرسل كانوا يخوفون أقوامهم بيوم القيامة وما فيه من جنة ونار وثواب وعقاب ، فسيدنا نوح عليه السلام

---

(١) الزلزلة الاية : ٧ / ٨ .

(٢) دراسات فى الدعوة الإسلامية د/ أحمد غلوش ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) التفسير الكبير جـ ٦ ص ٥٣٣ .

قال لقومه : ﴿ ألا تتقون ﴾ ، وسيدنا هود عليه السلام قال لقومه ﴿ألاتتقون﴾ وسيدنا صالح عليه السلام قال لقومه : ﴿ ألا تتقون ﴾ وسيدنا لوط عليه السلام قال لقومه : ﴿ ألا تتقون ﴾ وسيدنا شعيب عليه السلام قال لقومه : ﴿ ألا تتقون ﴾ وقال لهم أيضاً : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١) .

وسيدنا إبراهيم عليه السلام بين أن الإيمان بالله واليوم الآخر جزء من العقيدة لابد منه حيث ربط الخير والأمن والأمان فى الدنيا بالإيمان بالله واليوم الآخر قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ (٢) .

وذلك لأن المؤمن دائماً يؤمن بالله واليوم الآخر وما فيه من بعث ونشر وحساب ويعمل الصالحات من أجل الفوز بالجنة فى الآخرة ، وهذا ما قاله سحرة فرعون لما آمنوا وهددهم فرعون بالقتل والصلب : ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُون ﴾ (٣) .

وقالوا أيضاً لفرعون : ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى ﴾ (٤) .

وسيدنا موسى عليه السلام أخبر قومه بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ

(١) العنكبوت الآية : ٣٦ .
(٢) البقرة الآية : ١٢٦ .
(٣) الأعراف الآية : ١٢٥ .
(٤) طه الآيات : ٧٢ / ٧٦ .

آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [1] .وبقوله أيضاً : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [2] والاخراج من الأرض يعنى الحساب والجزاء على الأعمال كل بما قدم فى الدنيا ، فالمؤمن إلى الجنة والكافر إلى جهنم وبئس المصير .

ونلمح الإيمان بيوم القيامة وشدة الخوف منه من دعوة الرجل الذى آمن حيث قال : ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [3] .

ويوم التناد هو يوم القيامة حيث ينادى بعضهم بعضاً فى هذا اليوم للإستغاثة من هول العذاب قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [4] أو طلب الماء والرزق الحسن قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [5] .

وقال تعالى فى حق بنى إسرائيل : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [6] .

وقال تعالى فى حقهم أيضاً : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [7] .

---

(١) طه الآية : ١٥
(٢) طه الآية : ٥٥ .
(٣) غافر الآية : ٣٢ / ٣٣ .
(٤) غافر الآية : ٤٧ / ٤٨ .
(٥) الأعراف الآيات : ٥٠ / ٥١ .
(٦) البقرة الآية : ١٢٣ .
(٧) البقرة الآية : ٤٨ .

وسيدنا عيسى عليه السلام نطق بالبعث وهو فى المهد قال تعالى ﴿ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (١) .

وقال للذين ينكرون البعث : وأما من جهة قيامه الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ليس الله إله أموات ، بل إله أحياء فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه (٢) .

وأما بالنسبة لدعوة المصطفى ﷺ فقد حفلت بالحديث عن يوم القيامة وما فيه من بعث وحساب ليجزى الله الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد فيها الكثير والكثير عن يوم القيامة ، يوم يفصل الله عز وجل بين عباده المؤمنين وغيرهم من الكافرين ، قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣) .

وقال عز وجل : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (٤) .

وقال أيضاً : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٥) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون ﴾ (٦) .

---

(١) مريم الآية : ٣٣ .
(٢) إنجيل متى إصحاح ٢٢ عدد ٣١ ـ ٣٣
(٣) البقرة الآية : ٢٥ .
(٤) البقرة الآية ٢٨١ .
(٥) آل عمران الآية : ١٥ .
(٦) الأعراف الآية : ٣٦ .

وقال أيضاً : ﴿ إنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [1] .

وهكذا نجد أن الدعوات جميعها إلتقت على إثبات يوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب بالنسبة للمؤمنين والعاصين وجنة ونار وبعث وحساب بين يدى الله سبحانه وتعالى ، حتى يعرف الإنسان أنه مسئول عن عمله وسوف يحاسب عليه :

قال تعالى :﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ [2] .

وقال أيضاً : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ * وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ [3] .

---

(١) محمد الآية : ١٢ .

(٢) المؤمنون الآية : ١١٥ .

(٣) النجم الآية : ٣٩ ــ ٤١ .



خصائص الدعوة الإسلامية

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : الربانيـــة

المبحث الثانى : العمـــوم

المبحث الثالث : الشـــمول

المبحث الرابع : الختــــام

الفصل الثالث

خصائص الدعوة الإسلامية

من المعلوم أن الدعوة الإسلامية لها خصائص تميزت بها عن الدعوات السابقة ، حيث أن الإسلام جاء بعقيدة ورسالة ، عقيدة دينية كاملة جامعة شاملة تنظر فى الإنسان ، والكون والحياة ، ورسالة إنسانية تبحث فى كل ما يصادف الإنسان وما يعترضه من مشاكل سوآء كانت سياسية أو إقتصادية أو إجتماعية أو خلقية ، رسالة تضع لكل مشكلة حلاً دقيقاً حكيماً يناسبها .

وهذه الخصائص نوضحها كما يلى :

مبحث أول الربانية : ـ

مبحث ثانى : العموم .

مبحث ثالث : الشمول .

مبحث رابع : الختام .

المبحث الأول

الربانية

من خصائص الدعوة الإسلامية أنها دعوة ربانية مصدرها القرآن الكريم كتاب رب العالمين ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ومصدرها أيضاً السنة النبوية المشرفة ، التى أثنى الله على صاحبها ﷺ فقال ﴿ مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ (1) .

فالدعوة الإسلامية بمصدريها القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ ، دعوة ربانية ، أى أنها من عند الله تعالى .

والله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق فى ذاته وصفاته وأفعاله ويستحيل فى حقه خلاف ذلك ، فلا بد أن يظهر أثر هذا الكمال فى ما يشرعه من أحكام ومناهج وقواعد ، وبالتالى لابد أن يكون كاملاً ، وهذا بخلاف ما يصنعه الإنسان ويشرعه فإنه لا يخلو من النقص والهوى والجهل والجور ، لأن هذه المعانى لاصقة بالبشر ... وبالتالى تظهر هذه النقائص فى القوانين والشرائع الى يصنعونها (2) .

من ذلك مثلاً تحريم الخمر : فإذا نظرنا إلى العرب ، نجد أنهم كانوا مولعين بشربها حتى الثمالة بمعنى أن الواحد منهم لا يستطيع أن يفارقها لحظة واحدة والإسلام لم يحرمها دفعة واحدة ، بل تدرج فى تحريمها حتى يسهل على الناس البعد عنها فقال فى بداية التحريم : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ

---

(1) النجم : الآيات ٣ ، ٤ ، ٥ .

(2) أصول الدعوة صـ ٤٥ باختصار .

الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[1].

ولما دخل أحدهم فى الصلاة وكان سكراناً وخلط فى قراءته نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [2] .

ثم جاء الأمر بالتحريم القاطع وذلك عند ما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً فنزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُون ﴾ [3].

هنا قال سيدنا عمر رضى الله عنه : إنتهينا إنتهينا يارب عند سماع هذا النبأ ، وكذلك فعل المسلمون فور سماعهم ، فقاموا إلى الكؤوس فكسروها وإلى الآنية فأراقوها ، حتى إمتلأت شوارع المدينة من الخمر المراقة والكؤوس المكسرة وكأن شيئاً لم يكن ، وكأنهم لا يعرفون الخمر قبل ذلك لأن الأمر لم يحتج إلا إلى مناد طاف فى شوارع المدينة وقال : إن الخمر قد حرمت فمن كانت عنده كؤوس أو آنية فليكسرها ، فاستجاب الناس لأمر ربهم وامتنعوا عن شرب الخمر .

ولو وازنا هذا النصر المبين فى محاربة الخمر والقضاء عليها فى البيئة

---

(١) البقرة الآية : ٢١٩ .

(٢) النساء الآية : ٤٣ .

(٣) المائدة : ٩٠ / ٩١ .

الإسلامية ، بالإخفاق الذريع الذى منيت به الولايات المتحدة الأمريكية حين أرادت يوماً أن تحارب الخمر بالقوانين والأساطيل ، لعرفنا أن البشر لا يصلحهم إلا تشريع السماء الذى يعتمد على الضمير والإيمان قبل الإعتماد على القوة والسلطان [1] لأن القانون لم يكن له سلطان على النفوس يحملها على إحترامه وطاعته ومن ثم فشل وألغى . أما كلمة ﴿ فَاجْتَنِبُوه ﴾ التى جاء بها الإسلام فى جزيرة العرب فقد أثرت أعظم التأثير وطبقت فعلاً وأريقت الخمور من قبل أصحابها وامتنعوا عنها ، لا بقوة شرطى ولا بقوة جندى ولا رقيب ، ولكن بقوة الإيمان وطاعة المسلمين لشرائع الإسلام وإحترامهم لها [2] .

من هنا يظهر الفرق واضحاً بين ما يشرعه الله ، وبين ما يشرعه البشر، إن ما يشرعه الله يحظى بالاحترام والتقديس والرضا والقبول والطاعة من قبل المؤمنين به ، أما ما يشرعه البشر من قوانين وشرائع فإنها لا تحظى بالإحترام والتقديس والقبول ، حيث تتدخل الأهواء والعصبية والعنصرية من قبل المشرعين وواضعى القوانين .

إن رسالة الإسلام عبارة عن عقيدة وشريعة منزلة من عند الله تعالى لإرشاد الناس وهدايتهم ، وليست من صنع البشر ، بل هى وحى من السماء نزلت على رسول الله ﷺ لنمتثل لها ونتبع تعاليمها ومبادئها ، التى توجهنا فى حياتنا وتحدد سلوكنا وإتجاهاتنا فى تفكيرنا وسعينا .

فالعقيدة ربانية مستفادة من القرآن الكريم الذى أرسى دعائمها ، ووضح معالمها ، ومن صحيح السنة المبينة للقرآن الكريم . ليست هذه العقيدة من وضع مجمع من المجامع ، ولا من إضافة هيئة من الهيئات ،

(١) الخصائص العامة للإسلام صـ ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) أصول الدعوة صـ ٤٨ .

ولا من إملاء بابا من البابوات ، ليس لأحد من الصحابة رضوان الله عليهم : ولا من أمة الإسلام وفقهائه الكبار ، أن يغير ويبدل فى عقيدة الإسلام بالزيادة أو النقض أو التحوير ، كما فعل بولس فى العقيدة النصرانية ، وليس لمجمع ولا جماعة أياً كانت مكانتها أن تضيف شيئاً إلى العقيدة الإسلامية ، أو تحذف منها شيئاً ، على غرار ما فعلت المجامع المسيحية كمجمع نيقيه ٣٢٥ م أو مجمع القسطنطينية الأول ٣٨١ م . حيث أجمعوا فى الأول على ألوهية المسيح وفى الثانى على ألوهية الروح القدس . أما العقيدة الإسلامية فلا تتلقى إلا من الوحى الإلهى [١] .

والشريعة أيضاً ربانية وهى : العبادات والمعاملات والأخلاق .

فالعبادات هى ما تعبد الله به عباده ،من صلاة ، وزكاة ، وصيام وحج، فالصلاة : هى الصلة الحقيقية بين العبد وخالقه ، يستمد القلب منها قوة هائلة تجعله يحس بالإطمئنان الكامل فى هذه الحياة ، كما تحس فيها الروح بالصلة الدائمة بينها وبين خالقها قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ [٢] .

والزكاة : عبادة يؤديها المسلم رغبة فى رضا الله سبحانه وتعالى ، الذى أنعم عليه من فضله ، كما أنها طهارة للإنسان وتزكية قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ... ﴾ [٣] .

والصوم : صلة وثيقة بين العبد وربه ، بعيدة عن الرياء والنفاق ولهذا جاء فى الحديث القدسى : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » .

---

(١) الخصائص العامة للإسلام صـ ٣٧ ، ٣٨ بتصرف .

(٢) البقرة الآية : ١١٠ .

(٣) التوبة الآية : ١٠٣

وقد بين القرآن الكريم الغرض من الصوم فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [1] والتقوى مراقبة الله تعالى فى كل عمل يعمله الإنسان ، وبالتقوى يصبح الإنسان ربانياً .

والحج : موسم عبادة تصفو فيه الأرواح وهى تستشعر قربها من الله تعالى فى بيته الحرام ، ففى هذه البقاع المقدسة يطمئن المسلم إلى الله تعالى إطمئناناً كاملاً ويتجه إليه إتجاهاً خالصاً يعظم حرماته فيكون فى ذلك الخير العميم قال تعالى : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ﴾ [2] .

وفى جانب المعاملات وضع الإسلام النظم والقوانين ، التى تربط المسلم بربه وتجعله يراقبه فى كل لحظة من لحظات حياته ، فوضع النظام الإجتماعى الذى تبنى عليه الأسرة وتحدد فيه الحقوق والواجبات بين جميع أفرادها من نكاح وطلاق وإرث ونفقه ، ووضع النظام السياسى ، الذى يتناول شئون الحكم والرئاسة فى الإسلام ، واختيار الحاكم ومركز رئيس الدولة وسلطاته ، وأصول الحكم ، كذلك وضع النظام الإدارى الذى يتناول الوظائف العامة فى الدولة ومدى سلطة الموظفين ومسئولياتهم كذلك وضع الإسلام النظام الاقتصادى والنظام القضائى ونظام المعاهدات والعقوبات ونظام الحرب والدفاع وكل هذه الأنظمة وثيقة الصلة بالمنهج الربانى ، لأن الله تعالى هو المشرع لهذه القوانين والنظم أى أنها ربانية .

والأخلاق الإسلامية آداب ربانية : بمعنى أن الوحى الإلهى هو الذى وضع أصولها ، وحدد أساسياتها ، التى لابد منها لبيان معالم الشخصية

---

(١) البقرة الآية : ١٨٣ .

(٢) الحج الآية : ٢٨ .

الإسلامية حتى تبدو متكاملة متماسكة متميزة فى مخبرها ومظهرها ، عالمة بوجهتها وطريقها ، إذا التبست على غيرها المسالك ، واختلطت الدروب[1].

ولقد عنى القرآن الكريم بذكر الأخلاق ، التى يجب على المسلم أن يتحلى بها حتى يسعد فى حياته الدنيا ويفوز فى الدار الآخرة بالنعيم المقيم.

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [2] .

وقوله عز وجل : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾ [3] .

وقوله جل فى علاه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا

(١) الخصائص العامة للإسلام صـ ٤٠ .
(٢) المؤمنون الآيات : ١ / ١١ .
(٣) النساء الآية : ٣٦ .

أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

كما عنيت السنة النبوية الشريفة بجانب الأخلاق ، ويكفى أن الله تعالى أثنى على صاحبها ﷺ فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) ، وقال ﷺ عن نفسه : : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »(٣).

ومن أمثلة ذلك ما جاء فى فضيلة الصدق والنهى عن الكذب . عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً .

وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً (٤) متفق عليه .

وما جاء فى فضيلة حسنى الخلق والنهى عن الأخلاق الذميمة . عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « ما من شئ أثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذى (٥) رواه الترمذى .

وقال : حديث حسن صحيح :

وما جاء فى ذم الكبر والمتكبرين ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر (٦) .

---

(١) الحجرا الآيات : ١١ / ١٢ .

(٢) القلم الآية : ٤ .

(٣) موطأ الإمام مالك جـ ٤ صـ ١٩٢ ما جاء فى حسن الخلق .

(٤) رياض الصالحين صـ ٤٤ .

(٥) رياض الصالحين صـ ٢٨٠ . (٦) رياض الصالحين صـ ٢٧٦ .

وما جاء فى فضيلة التواضع وخفض الجناح ، قال رسول الله ﷺ :« إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » [1] .

مما سبق يتضح لنا أن الدعوة الإسلامية ، دعوة ربانية فى مصدرها وتشريعها وأخلاقها وكان من ثمراتها :

١ ـ العصمة من التناقض والاختلاف الذى تعانيه المناهج والأنظمة البشرية .

٢ ـ اشتمال الإسلام على العدل المطلق ،وبراءته من التحيز والجور واتباع الهوى ، مما لا يسلم منه بشر كائناً من كان .

س٣ ـ المنهج الربانى له قدسية واحترام لا يظفر بهما أى نظام أو منهج من صنع البشر .

٤ ـ تحرر الإنسان من العبودية ، من عبودية الإنسان للإنسان إلى عبودية الإنسان لرب الإنسان [2] .

وكان أهدافها : خلق الإنسان الصالح ، الذى يخشى الله تعالى ويتجه إليه فى كل عمل يقوم به ، أياً كان نوع هذا العمل ، بحيث يكون هدفه ابتغاء مرضاة الله تعالى وتحقيق المنهج الربانى ، الذى أوضحه الله تعالى فى كتابه وسنة رسوله ﷺ وترك ما عداه من آلهة وأرباب لا تزيده إلا حيرة وشكاً واضطراباً وتمزقاً وشتاتاً ، ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [3] .

---

(١) رياض الصالحين صـ ٢٧٣ .

(٢) الخصائص العامة للإسلام من صـ : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥١ .

(٣) آل عمران الآية : ١٠١ .

المبحث الثانى

خاصية العموم

تميزت الدعوة الإسلامية عن الدعوات السابقة بخاصية العموم ، وذلك لأنها دعوة عالمية جاءت للناس عامة ، لم تأت لجنس خاص أو بيئة معينة من الناس ، ولم تتقيد بزمان أو مكان معين ، بل جاءت للإنسانية جمعاء ، وفى هذا يقول عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

ولو استعرضنا الأديان المعروفة والمشهورة ، لتبين لنا من أول وهلة أنها أديان لا تحمل صفة العالمية ، ويظهر ذلك واضحاً ، ولو لاحظنا على سبيل المثال الأسماء التى عرفت بها تلك الأديان ، فالنصرانية نسبة إلى قرية الناصرة ، وهى تسمية توحى بالإنحصار فى الإقليمية ، واليهودية نسبة إلى يهودآ ، وهو تحديد بشخص معنى ، وكذلك البوذية ـ نسبة إلى بوذا ـ والمانوية ـ نسبة إلى ومانى ـ والزرادشتية ـ نسبة إلى زرادشت وغيرها من الأديان الأخرى .

أما الإسلام ، فهو عالمى فى تسميته ، ومبادئه . وأحكامه ، وتشريعاته ، فهو لم يتخذ إسماً خاصاً بأحد ، ولم ينسب إلى فئة معينة ، أو قبيلة خاصة فيقول الله تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ (٢) .

---

(١) الأعراف الآية : ١٥٨ .

(٢) ال عمران الآية : ١٩ .

ويقـــــول : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾(1) . فهو دين التسليم لله ، وهى صفة لا تخص مجموعة دون أخرى من الناس ، بل هى عامة عند الجميع ، فيقول الله تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(2) .

وهكذا نرى من النظرة الأول فى الأديان ، نظرة الإقتصار على مجرد النسبة ، إن تسمية الإسلام توحى بأنه دين عام للمخلوقات كلها ، وللناس كافة (3) .

وإذا كان الإسلام هو دين الله الكامل ، فهو دين الإنسانية كلها ، أبيضها وأسودها فبينما يحكى القرآن عن الرسالات السابقة أنها كانت لقوم كل نبى خاصة ، نجده بالنسبة للإسلام بنص فى صراحة قاطعة أنها دين الله للناس جميعاً .

قال تعالى فى شأن الرسالات السابقة على الإسلام { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ (4) ﴿ إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾(5) ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (6) ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ (7) ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ (8) ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ (9) .

---

(1) آل عمران الآية : ٦٧ . (2) آل عمران الآية : ٨٣ .
(3) الإسلام كما ينبغى أن نعرفه د / محمد شامه ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .
(4) الأعراف الآية : ٥٩ . (5) الأعراف الآية : ٦٥ .
(6) الأعراف الآية : ٧٣ . (7) الأعراف الآية : ٨٠ .
(8) الأعراف الآية : ٨٥ . (9) الأعراف الآية : ١٠٣ .

وقال تعالى فى شأن عيسى عليه السلام : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [1] ، وقال فى شأن رسالة سيدنا محمد ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [2] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [3] ﴿ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [4] ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [5] وهكذا نجد أن عموم الدعوة وعالميتها جاء ذكره فى القرآن الكريم فى الايات المكية والمدنية على السواء .

ويقول الرسول ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » [6] .

وإذا كان الإسلام دعوة إلى الكافة وإلى العالم أجمع ، ورسوله محمد ﷺ أرسله الله تعالى إلى الناس أجمعين ، فإنه لانبى بعده فهو خاتم النبيين ورسالته أختتمت بها رسالات السماء ، قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [7] .

وعلى ذلك فالإسلام هو دين جميع الشعوب والأجيال ، دين الجيل الذى بعث فيه الرسول ﷺ ، ودين الأجيال من بعده حتى يوم الدين ، لأنه دين الله سبحانه وتعالى ، وأنه لن يقبل من البشر ديناً غيره قال عز وجل : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [8].

---

(١) آل عمران الآية : ٤٩ .
(٢) الأنبياء الآية : ١٠٧ .
(٣) سبأ الآية : ٢٨ .
(٤) القلم الآية : ٥٢ .
(٥) التكوير الآية : ٢٧ .
(٦) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٥٥ .
(٧) الأحزاب الآية : ٤٠ .
(٨) آل عمران الآية : ٨٥ .

وأيضاً من الآيات التى نزلت تدل على عموم الدعوة الإسلامية وعالميتها قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١).

وقوله عز وجل : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

ومن الأحاديث الدالة على عموم الدعوة ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال : « والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » (٣) .

وفى الصحيح أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « بعثت إلى الأسود والأحمر قال مجاهد : يعنى الجن والانس وقال غيره يعنى العرب والعجم والكل صحيح » (٤) .

وإنما خص فى الحديث الأول اليهودى والنصرانى وإن كان الحكم عاماً يتناول غيرهما ، لأن اليهود والنصارى لهم كتاب سماوى فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً سماوياً فغيرهم ممن لا كتاب لهم أولى ، فكل من علم بمبعثه ﷺ سواء كان موجوداً فى زمنه أو وجد بعده إلى يوم القيامة وجب عليهم الإيمان به ، والدخول فى طاعته ﷺ فإذا مات ولم يؤمن به ، وبقى متمسكاً بدينه وشريعته التى نسخت بمبعثه ﷺ ، أو بقى بلا دين قد أوجب على نفسه النار ، لأنه لم يدخل فى الدين الصحيح الذى ارتضاه الله للعالمين .

(١) الفرقان الآية ١ .
(٢) يس الآية : ٦٩ / ٧٠ .
(٣) صحيح مسلم جـ ١ ص ٧٥
(٤) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥٣٩ .

وإنما كانت شريعة الإسلام ناسخة لباقى الشرائع لصلاحيتها لكل زمان ومكان ولتأييدها بمعجزة باقية مستمرة إلى أن تؤذن الدنيا بالزوال وهى معجزة القرآن الكريم .

قال ابن حزم : نسخ عز وجل بملته كل ملة وألزم أهل الأرض جنهم وإنسهم إتباع شريعته التى بعثه بها ، ولا يقبل من أحد سواها ، وأنه عليه السلام خاتم النبيين لا نبى بعده برهان ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (١) .

وعالمية (٢) الإسلام مقررة ومسلمة بما وضع الله فيه من خصائص ، حيث يرتبط بأمل تندفع إليه الفطرة الانسانية ، ذلك هو تسليم الأمر لله فى إخلاص وطاعة وبذلك يشبع قوة الوجدان عند الإنسان ، ويكمل الإرادة ويطرد اليأس والقنوط ، ويجعل الانسان يتعلق برجاء فى القوة الغيبية التى يحس بها ويستشعرها .

وأمل الإنسان فى السلام والتسليم هو الذى جعل رسالات الله السابقة تتسمى بالإسلام ، جذباً للناس ، وإشارة للغاية التى يجب أن ينتهى إليها سائر البشر .

فسيدنا نوح عليه السلام يقول : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣) .

وسيدنا إبراهيم عليه السلام يقول : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٤) .

---

(١) المحلى لابن حزم . سورة الأحزاب الآية ٤٠ .
(٢) دراسات فى الدعوة الإسلامية د / أحمد غلوش ص ٦٧ ، ٦٨ .
(٣) آل عمران : ٦٧ .   (٤) يونس : ٧٢ .

وسيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يقولان : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾[1] .

وسيدنا إبراهيم ويعقوب عليهما السلام يوصيان أولادهما ويقولان : ﴿ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون ﴾ [2] .

وسيدنا يوسف عليه السلام يقول : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [3] .

وسيدنا سليمان عليه السلام يرسل إلى بلقيس قائلا : ﴿ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِين ﴾ [4] .

وعندما أسلمت قالت ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين ﴾ [5] .

والحواريون قالوا : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [6] .

والتسمية السابقة تتفق مع مفهوم الإسلام فى اللغة ، إذ الأصل اللغوى لمادة الإسلام تحتمل معان ثلاثة :

١ ـ الإنقياد والمتابعة ، ففى صحيح مسلم : « إن الله أعاننى عليه حتى أسلم فلا يأمرنى إلا بخير » [7] أى أنقاد لى وكف عن وسوستى .

٢ ـ السلامة : قال الأزهرى : المسلم من دخل باب السلامة .

٣ ـ الأخلاص لله فى العبادة .

---

(١) البقرة الآية : ١٢٨ (٢) البقرة الآية ١٣٢ .
(٣) يوسف الآية : ١٠١ (٤) النمل الآية : ٣١ .
(٥) النمل الآية : ٤٤ . (٦) آل عمران الآية : ٥٢ .
(٧) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٢٧ .

قال ابن الأنبارى . المسلم : معناه المخلص لله فى عبادته [١] .

بعد هذا البيان الناصع لعموم الدعوة الإسلامية وعالميتها ، نجد من يعارض هذه العالمية ويقول : إن الدعوة خاصة بالعرب فقط وليست عالمية .

يقول القسيس موير : أن فكرة عالمية الدعوة قد جاءت فيما بعد ، وهذه الفكرة ــ على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التى تؤيدها ــ لم تخطر ببال محمد - ﷺ - نفسه ، وعلى فرض أنه فكر فيها ، فقد كانت فكرته غامضة ، إذ أن عالمه الذى يفكر فيه إنما هو بلاد العرب .

كما أن هذا الدين الجديد لم يهيأ إلا لها كما أن محمداً - ﷺ - لم يوجه دعوته - منذ بعث إلى أن مات - إلا للعرب دون غيرهم .

وهكذا نرى أن عالمية الإسلام غرست بين تعاليم الإسلام ، ولكنها إذا كانت قد أختمرت ونمت بعد ذلك ، فإنما يرجع هذا إلى الظروف والأحوال أكثر منه إلى الخطط والمناهج [٢] .

هذا ما أدعا القسيس على الدعوة الإسلامية وصاحبها ، وأنها دعوة خاصة جاءت للعرب ولم تتعداهم إلى غيرهم ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على تعصبه لدينه وحقده على الإسلام ودعوته ، وهو قلب للحقائق وتزييف للتاريخ ، وإذا كانت الدعوة خاصة بالعرب كما يدعى فلماذا أرسل ﷺ الكتب والرسل إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام والدخول فى دعوته ، إن التاريخ يؤيد ما نقول ، حيث أرسل ﷺ كتاباً إلى هرقل عظيم الروم يدعوه إلى الإسلام هذا نصه .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٢ ص ٦٢٨ .

(٢) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة للشيخ محمد الغزالى ص ١٢٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الإريسيين : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

فإن ادعى هذا القس أن الدعوة كانت لعظيم الروم وهى دعوة فردية نقول له : إن الدعوة للملك دعوة للشعب كله بوصفه ممثلاً للشعب الذى يحكمه ويرعاه ، ودولة الروم كانت لها مستعمرات كبيرة ومتعددة ، ولذلك قال الرسول ﷺ « أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، مرة بإسلامك ومرة بإسلام قومك ، وإن أبيت الإسلام وأعرضت عنه فإن عليك إثم الرعية والأتباع لأنهم اتبعوك ، فدعوة الملك تعتبر دعوة للإمبراطورية كلها .

كذلك بعث الرسول ﷺ عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى عظيم فارس ومعه كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً ، أسلم تسلم ، فإن أبيت فإنما عليك إثم المجوس [2] .

كذلك أرسل النبى ﷺ حاطب بن أبى بلتعة برسالة إلى المقوقس عظيم القبط هذا نصها : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإنى أدعوك

---

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٩١ والآية ٦٤ سورة آل عمران .
(٢) تاريخ الأمم الإسلامية جـ ١ ص ١٤٦ .

بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم القبط ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [1].

كما بعث ﷺ عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه إلى النجاشى ملك الحبشة برسالة هذا نصها : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة ، أسلم أنت فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، الملك القدوس ، السلام ، المؤمن المهيمن . وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده ونفخه . وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فإنى رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمى جعفراً ونفراً معه من المسلمين ، فإذا جاءوك فأقرهم ، ودع التجبر ، فإنى أدعوك وجنودك إلى الله ، وقد بلغت ونصحت فاقبل نصحى ، والسلام على من اتبع الهدى[2].

وأيضاً أرسل النبى ﷺ عمرو بن العاص برسالة إلى جيفر وعبد إبنى الجلندى يدعوهما فيها إلى الإسلام هذا نصها : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى ، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنى أدعوكما بدعاية الإسلام ، أسلما تسلما ، فإنى رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٢ص ٣٧١ .

(٢) السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

زائل عنكما وخيلى تحل بساحتكما وتظهر نبوتى على ملككما [1] .

من الرسائل السابقة يظهر لنا بوضوح أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية جاءت للبشرية جمعاء ولم تختص بقوم دون قوم أو بيئة دون أخرى ، بل كانت عامة للإنسانية من مشرقها إلى مغربها ، من شمالها إلى جنوبها فكل من سمع بها فعليه أن يدخل فى دين الله عز وجل .

يقول توماس أرنولد [2] : « ويؤيد دعوى عموم الرسالة ، والحق فى المطالبة بأن يستجيب لها جميع الناس ، أن الإسلام كان الدين السماوى الذى اختاره الله من قديم للجنس البشرى كلية ثم أوحى به إليهم من جديد على لسان محمد خاتم النبيين ، كما أوحى به من قبل على لسان غيره من الرسل قال تعالى : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ [3] .

وقـــال : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [4] ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [5] ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [6] . ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [7] .

فهذه شهادة مستشرق يثبت فيها عموم الدعوة الإسلامية وعالميتها ، والفضل ما شهدت به الأعداء ، إنها شهادة رجل منصف لم يتعصب كما

---

(١) زاد المعاد لابن القيم جـ ٣ ص ٦٢ .

(٢) أنظر كتاب مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة للشيخ محمد الغزالى ص ١٢٣ وما بعدها بتصرف .

(٣) الأحقاف الآية : ٩ .

(٤) النحل الآية ك ١٢٣ .

(٥) الأنعام الآية : ١٦١ .

(٦) آل عمران الآية : ٩٥ .

(٧) الحج الآية : ٧٨ .

تعصب الأخرون من المستشرقين ، الذين أعماهم الحقد والكراهية ضد الإسلام ودعوته ، واشتروا الضلالة بالهدى كبرت كلمة تخرج من أفواههم .

إن الدعوة الإسلامية منذ اللحظة الأولى ، لجميع العالمين ، إنس وجن ، أبيض وأسود ، أحمر وأصفر ، حر وعبد ، قاص ودان ، غنى وفقير ، حاكم ومحكوم ، إذ كانت هذه الرسالة غير محدودة بعصر ولا جيل فهى كذلك غير محدودة بمكان ولا بأمة ، ولا بشعب ولا بطبقة ، إنها الرسالة الشاملة ، التى تخاطب كل الأمم ، وكل الأجناس ، وكل الشعوب ، وكل الطبقات[(١)].

وصدق الله إذ يقول : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [(٢)] .

ونقول للمعارضين : إذا كانت الدعوة الإسلامية خاصة بالعرب دون غيرهم ، فلماذا دخل فى الإسلام بلال الحبشى ، وصهيب الرومى ، وسليمان الفارسى ؟

إن الأول من الحبشة ، والثانى من الروم ، والثالث من فارس ، ولو كانت الدعوة خاصة كما ادعى هؤلاء لما دخل هؤلاء فى دين الإسلام أما وقد أسلموا ودخلوا فى الدين الانسانى فهذا دليل على عموم الدعوة الإسلامية وعالميتها ، وأن ادعاءهم على خصوصية الدعوة دعوى ليس لها دليل من الصحة ، وأن النصوص والآثار التى ذكرناها كلها تؤيد عموم الدعوة ، وأنها جاءت للعالمين ممن عاصر الدعوة ومن يأتى بعد ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) الخصائص العامة للإسلام د / يوسف القرضاوى ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) التوبة الآية : ٣٣ .

المبحث الثالث

٢ ـ خاصية الشمول :

من الخصائص التى تميزت بها الدعوة الإسلامية عن غيرها من الدعوات السابقة خاصية الشمول ، فالإسلام دين شامل لجميع شئون الحياة ، وكل تصرفات الإنسان .

إنه شمول يستوعب الزمن كله ، ويستوعب الحياة كلها ، ويستوعب كيان الإنسان كله .

لقد عبر الشهيد حسن البناعن أبعاد هذا الشمول فى رسالة الإسلام فقال وأجاد : إنها الرسالة التى امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن ، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم ، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة ، إنها رسالة لكل الأزمنة والأجيال ، ليست رسالة موقوتة بعصر معين أو زمن مخصوص ، وينتهى أثرها بانتهائه ، كما كان الشأن فى رسالات الأنبياء السابقين على محمد ﷺ .

فقد كان كل نبى يبعث لمرحلة زمنية محدودة ، حتى إذا ما انقضت بعث الله نبياً آخر ، أما محمد ﷺ فهو خاتم النبيين ، ورسالته هى رسالة الخلود التى قدر الله بقاءها إلى أن تقوم الساعة ، فهى تتضمن هداية الله الأخيرة للبشرية [١] .

والدعوة الإسلامية فى شمولها عايشت الإنسان وهو فى بطن أمة ، ثم طفلا بعد ولادته ، فشاباً يافعاً وكبيراً فى شيخوخته ، قال عز وجل مخاطباً الإنسان فى كل زمان ومكان : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا

(١) أنظر الخصائص العامة للإسلام د / يوسف القرضاوى ص ٩٩ .

خلقناكم مّن تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ [١] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون ﴾ [٢] .

وسارت مع الإنسان عند وفاته من الغسل والتكفين والصلاة عليه والدفن والدعاء له وتنفيذ وصيته وقضاء دينه كما سارت معه إلى ما بعد الوفاة عند توزيع ثروته على ورثته كما صرحت بذلك سورة النساء [٣] .

كما أنها دعوة لا تفرق بين الذكر والأنثى ولا الأبيض والأسود أو الأحمر والأصفر فالمقياس فى نظرها هو التقوى مصداق ذلك قول الله تعالى:﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [٤] .

وقال الرسول ﷺ : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى » .

فهى دعوة شملت الجميع ، الذكر والأنثى ، والأبيض ، والأسود ، والأحمر والأصفر ، والسيد والعبد ، والغنى والفقير ، القوى والضعيف ،

---

(١) الحج الآية : ٥
(٢) غافر الآية : ٦٧ .
(٣) الايتان : ١١ / ١٢
(٤) الحجرات : ١٣ .

الحاكم والمحكوم ، لا خيرية لأحد على أحد إلا بتقواه الله تعالى ، فأعادت للإنسان كرامته وحررته من الإستعباد والذل والهوان ونظمت حياة الناس جميعاً على أساس المساواة الكاملة ، وجعلت العدل هو القانون الذى يجب أن يسود ، فلا ظلم ولا طغيان ، وأشاعت الحب بين أفراد المجتمع ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١).

وشرعت للأسرة مافيه حياتها ، وللأمة ما فيه أمنها ، وللدولة ما فيه نظامها بما يكفل الأمن والطمأنينة للجميع ، فلا يخاف الإنسان على نفسه أو ماله أو عرضه ، ووضعت الحدود لمن يخرج على الشريعة ويقترف الآثام ، وجعلت الناس أمام القضآء سواء ، وقررت الفضائل والأخلاق ، وربطت الجميع برباط الحب والإخاء والتعاون على البر والتقوى قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢).

وجعلت كل هذا عبادة من الإنسان لله رب العالمين ، الذى يحاسب الجميع على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

ويمكننا أن نبين شمول الدعوة الإسلامية كما يلى :ـ

١ ـ أحكام العقيدة الإسلامية ، وهى تتعلق بأمور العقيدة كالإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر (٣) .

قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ (٤) .

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٨ . (٢) المائدة الآية : ٢ .
(٣) أصول الدعوة ص ٥٠ . (٤) البقرة الآية : ٢٨٥ .

فالإيمان لا يتحقق إلا إذا شمل : ـ

ـ الإيمان بالله تعالى من حيث وجوده ، ووحدانيته ، واستحقاقه للعبادة.

ـ الإيمان بالملائكة كما أخبر عنهم القرآن الكريم .

ـ الإيمان باليوم الآخر وما يتبع ذلك من الإيمان بالثواب والعقاب .

ـ الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالى على بعض رسله .

ـ الإيمان بالرسل جميعاً وعدم التفريق بينهم .

والإخلاص بأى واحد من الأمور السابقة يدخل الإنسان فى دائرة الكفر قال تعالى ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾(1) .

٢ ـ أحكام الأخلاق ، وهى المتعلقة بما يجب أن يتحلى به المسلم ، وما يجب أن يتخلى عنه كوجوب الصدق وحرمة الكذب (2) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (3) .

وقال عز وجل : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيراً ﴾ (4) .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (5) .

وقال ﷺ : « إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن

(١) النساء الآية : ١٣٦ .
(٢) أصول الدعوة ص ٥٠ .
(٣) التوبة الآية : ١١٩ .
(٤) الإسراء الآية : ٨٠ .
(٥) غافر الآية : ٢٨ .

الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »[1] متفق عليه .

٣ ـ أحكام تتعلق بتنظيم علاقة الإنسان بخالقه ، كالصلاة والصيام وغيرها[2] .

ففى الصلاة قال الله تعالى : ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾[3] .

وفى الزكاة قال عز وجل : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[4] وفى الصيام قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[5] .

وفى الحج قال : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[6] ، فالعبادة فى الإسلام تستوعب الكيان البشرى كله ، فالمسلم لا يعبد الله بلسانه فقط ، أو ببدنه فحسب ، أو بقلبه لا غير ، أو بعقله مجرداً، أو بحواسه وحدها ، بلى يعبد الله بهذه كلها : بلسانه ذاكراً داعياً تالياً، وببدنه مصلياً صائماً مجاهداً ، وبقلبه خائفاً راجياً محباً متوكلاً ، وبعقله متفكراً متأملاً ، وبحواسه كلها مستعملاً لها فى طاعته سبحانه ، كما أنها تتسع للحياة كلها ، فلا تقتصر على الشعائر التعبدية المعروفة من

(١) رياض الصالحين ص ٤٤ .
(٢) أصول الدعوة ص ٥٠
(٣) النساء الآية : ١٠٣ .
(٤) التوبة الآية : ١٠٣ .
(٥) البقرة الآية : ١٨٣ .
(٦) آل عمران الآية : ٩٧ .

صلاة وزكاة وصيام وحج ، بل تشمل كل حركة وكل عمل ترتقى به الحياة ويسعد به الناس [1] .

٤ ـ أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم وهذه على أنواع :

(أ) أحكام الأسرة من نكاح وطلاق وإث ونفقة وتسمى فى الاصطلاح الحديث بأحكام الأسرة أو قانون الأحوال الشخصية .

(ب) أحكام المجتمع فى علاقاته المدنية والتجارية ، وما يتصل بتبادل الأموال والمنافع ، من البيوع والإجارات والقروض والمداينات والرهن والحوالة والكفالة والضمان ، وهذا يسمى فى عصرنا الحاضر القوانين المدنية والتجارية .

(جـ) أحكام تتصل بالجرائم وعقوباتها المقدرة شرعاً كالحدود والقصاص، وهذا ما يسمى فى عصرنا الحاضر التشريع الجنائى .

(د) أحكام تتعلق بالقضاء والدعوى وأصول الحكم والشهادة واليمين والبينات وهو ما يسى بقانون المرافعات .

(هـ) أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى فى السلم والحرب وهو ما يسمى بالقانون الدولى .

(و) أحكام تتعلق بنظام الحكم وقواعده ، وكيفية اختيار رئيس الدولة ، وشكل الحكومة رعلاقات الأفراد بها ، وحقوقهم إزاء ها وهو ما يسمى بالقانون الدستورى .

(ز) أحكام تتعلق بموارد الدولة الإسلامية ومصارفها ، وتنظيم العلاقات المالية بين الأفراد والدولة ، وبين الأغنيآء والفقراء وهو ما يسمى

---

(١) الخصائص العامة للإسلام ص ١٠٩ .

بالقانون المالى .

ومن هنا لا توجد ناحية من نواحى الحياة إلا دخل فيها التشريع الإسلامى آمراً أو ناهياً أو مخبراً (١) .

إن وجود الأحكام السابقة فى الدعوة الإسلامية ، دليل أكيد على شمولها لـ[illegible] الحياة الإنسانية ، إذ تناولت حياة الفرد فى كل مجالات نشاطه وتصرفاته ، ووضعت التشريعات التى تنظم ذلك جنائياً ومدنياً وسياسياً واجتماعياً ، فلم تترك جانباً من هذه الجوانب إلا وضعت له نظاماً وما قيل عن الفرد يقال أيضاً عن الجماعة .

والدعوة الإسلامية فى شمولها تختلف مع جميع القوانين الوضعية ، لأن شمولها كامل تام بكل معنى الكلمة ، فما من حدث ولا عمل يصدر عن الإنسان ، ولا علاقة تقوم بينه وبين غيره ، إلا وللشريعة حكم فيها ، فأمور العقيدة والأخلاق والعبادات تدخل فى نطاق شمول الشريعة ، ولا تدخل فى نطاق تنظيم القوانين الوضعية (٢) .

ويكفى الإسلام ـ كدين شامل ـ فخراً أن أطول آية نزلت فى القرآن الكريم هى آية الدين ، وهى تتحدث عن شأن من الشئون المدنية آلا وهو كتابة الدين .

قال تعالى .﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا

(١) أنظر أصول الدعوة د / عبد الكريم زيدان ص ٥٠ ، الخصائص العامة للرسلام د / يوسف القرضاوى ص ١١٥ .

(٢) أصول الدعوة ٥١ .

شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

والدعوة الإسلامية وهى تضم كل هذه الجوانب ، التى تأخذ بيد الإنسان فى دنياه ، من عقيدة وعبادة وسلوك ، تعتبر فريدة بين الدعوات السابقة ، لأنها دعوات مرحلية تعقبها أخرى تواجه نقصها ، وتجدد باليها .

أما الدعوة الإسلامية فهى دعوة شاملة ، وهذا الشمول أستوجب تعدداً فى أسلوب التبليغ للناس ، وعرضه عليهم ، وإقناعهم به فالدعوة إلى العقيدة تحتاج إلى أسلوب يختلف عن الدعوة إلى الترغيب فى البذل والعطاء أو الدعوة إلى الجهاد وبذل النفس .

وقد نجح القرآن فى دعوته لكل هذه الجوانب ووصل مع النفس الإنسانية فى كل مادعاها إليه :

ففى جانب العقيدة قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

(١) البقرة الآية : ٢٨٢ .
(٢) البقرة الآية : ٢١ / ٢٢ .

وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [1] .

وفى جانب البذل والعطاء قال سبحانه وتعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2] .

وفى جانب الدعوة إلى الجهاد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [3] .

وفى جانب بذل النفس قال عز من قائل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [4] .

إن سر بقاء هذا الدين وصلاحيته لقيادة البشرية فى كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، هو قيام عقيدته على العقل قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [5] ، وأحكامه على العدل .

---

(١) الحج الآيتان : ٧٣ / ٧٤ .

(٢) البقرة الآية : ٢٦١ .(٣) الصف الآية : ١١

(٤) التوبة الآية : ١١١ .   (٥) آل عمران الآية : ١٩٠ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [1] ، وتوفيقه بين مطالب الروح والجسد .

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [2] ، وجمعه بين سعادة الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [3] وقيام سياسته على الشورى .

قال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[4] وتكاليفه على اليسر .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [5] ومجتمعه على الأخوة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [6] وسلوكه على الرحمة قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [7] .

---

(١) النحل الآية : ٩٠

(٢) الأعراف الآية : ٣٢ .

(٣) النحل الآية : ٩٧

(٤) الشورى الآية : ٣٨ (٥) البقرة الآية : ١٨٥ .

(٦) الحجرات الآية : ١٠

(٧) آل عمران الآية : ١٥٩ .

المبحث الرابع

الختام

من المعلوم يقيناً أن الدعوة الإسلامية خاتمة الدعوات ، فالإسلام خاتم الأديان وسيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين يؤيد ما نقول قول الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (١) وقوله عز وجل : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٢) وقوله جل فى علاه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾(٣) وقوله سبحانه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤) .

وهذا فى شأن الرسالة الخاتمة ، التى ختم الله بها الرسالات فلا رسالة بعدها .

أما فى شأن الرسول الخاتم ﷺ فقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (٥) .

وأخرج الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » (٦) .

والدعوة الإسلامية خاتمة الدعوات أيضاً ، لأنها جمعت فى طياتها

---

(١) المائدة الآية : ٣
(٢) المائدة الآية : ٤٨ .
(٣) الفتح الآية : ٢٨ .
(٤) آل عمران الآية : ٨٥ .
(٥) الأحزاب الآية ٤٠ .
(٦) صحيح الإمام مسلم جـ ٢ ص ٣١٥ .

دعوات الرسل والأنبياء السابقين ، وزادت عليها بالتشريع الكامل الأبدى قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (١) .

وعلى ذلك فالإسلام دعوة أحتوت كل الدعوات السابقة ، وهيمنت عليها فهو بذلك مصدق لما سبق ، مكمل بما أتى ، مهيمن بحقيقته على كل ما مضى » (٢) .

وإذا نظرنا إلى الرسل السابقين نجد أنهم بشروا بسيدنا محمد ﷺ فى هذا دليل على أن دعوتهم ليست الخاتمة ، وأنها لفترة خاصة من الزمن ، ولقوم معينين .

وقد جاء ذلك صريحاً فى القرآن على لسان سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٣) .

والرسول ﷺ من أسمائه أحمد ، فقد روى الإمام البخارى عن محمد ابن جبير بن مطعم عن أبيه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول إن لى أسماء : أنا محمد ، و أنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب » أى الذى ليس بعده نبى .

وأهل الكتاب من اليهود والنصارى يعرفون الرسول ﷺ معرفتهم

---

(١) الشورى الآية : ١٣ .
(٢) دراسات فى الدعوة الإسلامية د / أحمد غلوش ص ٦٤ .
(٣) الصف الآية : ٦ .

لأبنائهم قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) ومكتوب عندهم فى التوراة والإنجيل .

قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ (٢) .

ففى التوراة جاء ما يشير على بعثة النبى ﷺ : لأنه هكذا قال رب الجنود هى مرة بعد قليل ، فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة وأزلزل كل الأمم ، ويأتى مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجداً (٣) .

وجاء فى أنجيل يوحنا : « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » (٤) .

وهذا دليل من التوراة والإنجيل على البشارة برسول الله ﷺ ، وأنه الرسول الذى ختم الله به الرسل ، وبدعوته كل الرسالات ، فلا نبى بعده ولا رسالة بعد رسالته .

والأديان السابقة على الإسلام كانت شرائعها متناسبة مع نمو العقل ومتدرجة مع تطور الإجتماع ، وذلك أن البشرية فى مسار حياتها أشبه بالطفل فى شتى مراحل حياته ، لكل منها ما يناسبها من الغذاء ، وما تتحمله من التوجيه وهذه هى سنة التدرج فى تشريع السماء إنه يقدم

---

(١) البقرة الآية : ١٤٦

(٢) الأعراف الآية : ١٥٦ .

(٣) سفر حجى صح ٢ عدد ٦، ٧ .

(٤) يوحنا : صح ١٤ عدد ١٥ ـ ١٨ .

للبشرية فى كل حقبة ما يناسبها ، ولذلك كانت شرائع الأنبياء من قبل شرائع موقوتة غير دائمة .

والدليل على أن البشرية لم تبلغ الرشد بعد فى الأديان السابقة ، المعجزات المادية التى كانت تقوم بين يدى الرسالات السماوية ، ولهذا لم تخاطب من الله تعالى خطاباً يتجه إلى عقولها إتجاهاً مباشراً ، بل كان الخطاب مصحوباً بالخوارق المادية ، التى تشبه وسائل الإيضاح التى تستخدم فى تعليم الصغار القراءة والكتابة .

فلما وصلت البشرية فى النضج العقلى والوعى الاجتماعى إلى درجة عالية ، كان التشريع الكامل لكل بيئة وجماعة ، والخالد إلى قيام الساعة .

لقد كان الرسل عليهم السلام جميعاً دعاة صلاح وإصلاح ، ومشاعل هداية وإرشاد وكان كل منهم يكمل البناء الذى تركه سلفه ، إلى أن استكمل ذلك البناء الشامخ بوضع آخر لبنة فيه ببعثة سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، فكان بذلك خاتماً لرسالات السماء إلى الأرض ، وكانت شريعته متكاملة وافية فيها كل مناهج الحياة المستقيمة ، وعناصرها التى تكفل لها البقاء ما بقيت السماء والأرض ، فليس بعد رسالته رسالة ، وليس بعد تشريعه تشريع ، فبرسالة سيدنامحمد ﷺ إنقضى زمن النبوات ، وانتهى عصر الرسالات .

يقول الإمام محمد عبده : لم يدع الإسلام أصلاً من أصول الفضائل إلا أتى عليه ، ولا أماً من أمهات الصالحات إلا أحياها ولا قاعدة من قواعد النظام إلا قررها ، فاستجمع للإنسان عند بلوغ رشده حرية الفكر وإستقلال العقل ، وما به صلاح السجايا وإستقامة الطبع وما فيه إنهاض العزائم إلى العمل وسوقها فى سبل السعى [١] .

---

(١) رسالة التوحيد ص ١٦٤ .

والدعوة الإسلامية أمرت بالنظر والتدبر والتفكر ووجهت الإنسان إلى الآيات والبراهين الكثيرة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [2] كما أن هناك آيات ذيلت بقوله ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [3] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [4]. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [5] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [6].

والدعوة الإسلامية عابت على المقلدين ، الذين كانوا يقولون : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [7] ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [8] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ [9] .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن الدعوة الإسلامية خاتمة الدعوات وذلك لأن شريعتها صالحة لكل زمان ومكان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وندلل على ذلك بما يلي :

١ - مبدأ الحرية قررته الشريعة ولم تجعل قيوداً على أحد ، فهناك حرية

---

(١) البقرة الآية : ١٦٤ .
(٢) يونس الآية : ١٠١ .
(٣) النحل الآية ٦٥ .
(٤) النحل الآية ٦٧ .
(٥) النحل الآية : ٦٩ .
(٦) النحل الآية : ٧٩ .
(٧ . ٨) الزخرف الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .
(٩) البقرة الآية : ١٧٠ .

الإعتقاد قال تعالى ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مؤمنين ﴾ [2] .

وحرية التفكير : قال تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [3] .

وحرية القول : قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [4] .

٢ ـ مبدأ العدل قررته الشريعة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

قال تعالى ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [5] .

وقال تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ [6] .

٣ ـ مبدأ المساواة قررته الشريعة أيضاً فلا فرق بين الجميع إلا بالتقوى والعمل الصالح قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [7] ويقول ﷺ : « الناس سواسية كأسنان المشط الواحد لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

هذه هى المبادئ الثلاثة التى تقوم على أساسها القوانين الوضعية الحديثة ، عرفتها الشريعة الإسلامية قبل القوانين بأكثر من أحد عشر قرناً

(١) البقرة الآية : ٢٥٦ .
(٢) يونس الآية : ٩٩ .
(٣) يونس الآية : ١٠١
(٤) آل عمران : ١٠٤ .
(٥) النساء الآية : ٥٨
(٦) النحل الآية : ٩٠ .
(٧) الحجرات الآية : ١٣ .

من الزمان ، فكيف تصلح هذه القوانين للعصر الحاضر ، ولا تصلح الشريعة وهى تقوم على نفس المبادئ [1] .

وهناك مبادئ كثيرة قررتها الشريعة الإسلامية كمبدأ الشورى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُم ﴾ [2] ومبدأ تحريم الخمر ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ [3] ومبدأ التعاون ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [4] ومبدأ تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [5] .

فهى دعوة تعايش الإنسان وتقدم له الحلول العملية لمعاشه ونشاطه فى أى زمان ومكان .

---

(١) الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه للشهيد عبد القادر عوده ص ٥٢ .
(٢) الشورى الآية ٣٨ .	(٣) المائدة الآية : ٩٠ .
(٤) المائدة الآية ٢ .	(٥) الأعراف الآية : ٣٣ .



تبليغ الدعوة الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : أهميـــة الدعـــوة

المبحث الثانى : وجوب تبليغ الدعوة

المبحث الثالث : أنـــواع الدعـــوة

الفصل الرابع

تبليغ الدعوة الإسلامية

المبحث الأول

أهمية الدعوة

الدعوة إلى الله تعالى أهمية كبيرة ، إذا هى حياة الأديان ، وبها يعرف الحق من الباطل ، كما أنها وظيفة الأنبياء والمرسلين والمصلحين ، ولو نظرنا إلى الأديان ،والملل والمذاهب نجد أنها قامت بالدعوة إليها من قبل أعوان وأتباع يدعون لها ويؤيدونها وينصرونها ، ومن هنا تأتى أهمية الدعوة إلى الله تعالى . « حيث أن العقول البشرية وحدها لا تستطيع أن تدرك مصالحها الحقيقية التى تكفل لها السعادة فى الدنيا والآخرة ، كما أنها لا تهتدى إلى تمييز الخير من الشر ، والمعروف من المنكر ، وليس من طبيعتها الوقوف على حقائق الأمور مهما وصلت إلى الغاية القصوى من الإدراك ، فقد تميل عن الحق إلى الباطل ، وتنحرف عن الصلاح إلى الفساد ، ويخفى عليها وجه المصلحة ، وكثيراً ما يبدوا لها الشر فى لباس الخير فتقع فيه ، وكثيراً ما ظهر لها الخير فى صورة الشر فأعرضت عنه ، ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1].

من أجل ذلك أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى الناس ليخرجوهم من ظلمات الجهل إلى نور الحق واليقين ومن الوهم إلى الحقيقة ويدعونهم إلى ما فيه الخير والسعادة ويحذرونهم مما فيه الشر والشقاوة كل ذلك حتى لا يكون لأحد من الناس حجة على الله عز وجل

---

(١) أنظر هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص ١٨ والآية ٢١٦ من سورة البقرة .

قال تعالى : ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [1] . وقال عز وجل : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولا ﴾ [2] .

وجاء مسك الختام سيدنا محمد ﷺ ، فبلغ رسالة ربه وأدى الأمانة ، ونصح الأمة وكشف الغمة ومحا الظلمة وجاهد فى الله حق جهاده حتى نزل عليه قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [3] .

وجاء الصحابة رضوان الله عليهم بعده فحملوا الرسالة وبلغوها إلى الإنسانية جمعاء وانتشر الإسلام بفضلهم شرقاً وغرباً ، وأصبحت له القوة والعزة والمناعة وعلى العكس من ذلك فيوم تخلى المسلمون عن مصادر عزهم ذلوا وحادوا عن رشدهم فضلوا ، وألغوا عقولهم فهانوا وعزفوا عن الرقى الروحى فَحُرِمُوا الخير كله والسبب فى ذلك هو تطلعهم إلى زخارف الحياة الدنيا وتعلقهم بأسباب النعيم الزائل وتهافتهم على حطام الدنيا الفانى فكان من نتيجة ذلك إنهيار فى الأخلاق وتميع فى السلوك ، ولا حياء يمنع النساء من التردى فى الأوحال فبأسم الفن تقام دور اللهو والفجور وتكشف المرأة عن عورتها دون حياء أو خجل ، تخلف فى الصناعة والإنتاج وإهمال فى الزرع والحصاد .

---

(١) النساء الآية : ١٦٥ .
(٢) الإسراء الآية : ١٥ .
(٣) المائدة الآية : ٣ .

ومن هنا تأتى أهمية الدعوة فى حياتنا ، والسكوت عنها يؤدى إلى أن تأخذ المنكرات طريقها إلى النفوس فتتمكن منها وبالتالى يؤدى هذا إلى الدمار ، وقد حذرنا الله تعالى من ذلك فقال : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ (١) .

ولهذا أمر رسوله ﷺ والمؤمنين من بعده فقال : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٣) .

« وإذا كان الوعظ وإرشاد المسلمين الذين ابتعدوا عن الطريق المستقيم أمراً ضرورياً لا مفر منه ، فإن غير المسلمين فى أشد حاجة إلى الدعوة إلى الله تعالى ، ذلك أن المدنية الحديثة على قدر ما وصلت إليه من التقدم والعلم ، وبما حققته من المتع وأسباب الرفاهية للإنسان فإن المناهج البشرية قد عجزت عن تحقيق إنسانية الإنسان ، أى انتصار فضائله وأخلاقه على نزواته وشهواته (٤) .

وذلك من منطق أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية جاءت للبشرية جمعاء ولم تختص ببيئة معينة كما كانت الدعوات السابقة عليها ، ولم تتحدد بزمان أو مكان معين ، بل جاءت للناس كافة ولهذا قال المولى عز وجل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) الأبيض والأسود ، والأحمر والأصفر ، والعرب والعجم ، والأنس والجن .

---

(١) الإسراء الآية : ١٦

(٢) الذاريات الآية : ٥٥ .

(٣) الغاشية الآية : ٢١ .

(٤) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للأستاذ محمد الراوى ص ٣١ .

(٥) سبأ الآية : ٢٨ .

المبحث الثانى

وجوب تبليغ الدعوة

مما تقدم يتبين لنا أهمية الدعوة وضرورة تبليغها للناس ، وذلك لا يكون إلا بإعداد الدعاة المخلصين من العلماء المتخصصين فى الدعوة الإسلامية عقيدة وشريعة وأخلاقاً من وحى القرآن الكريم والسنة النبوية .

والقرآن الكريم وهو كتاب الدعوة ومصدرها يأمر بتبليغ الدعوة إلى الناس كافة بحكم أن الإسلام دين عالمى جاء للناس عامة .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (١) فهذا أمر بتبليغ الدعوة من الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ وقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ (٣) وقال : ﴿ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٤) وقال تعالي : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥) والدعوة إلى الخير تعنى الدعوة إلى الإسلام وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ (٦) .

والإنذار هو تبليغ الدعوة عن طريق الترهيب ، كما أن التبشير تبليغ

---

(١) المائدة الآية : ٦٧ .

(٢) النحل الآية : ١٢٥ .

(٣) الشورى الآية : ١٥

(٤) القصص الآية : ٨٧ .

(٥) آل عمران الآية : ١٠٤

(٦) المدثر الآية : ١ / ٢ .

للدعوة بطريق الترغيب وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [(1)] هذه الآيات قاطعة الدلالة على وجوب تبليغ الدعوة .

أما السنة النبوية ، فقد دلت أحاديث كثيرة على وجوب تبليغ الدعوة إلى الله تعالى نذكر منها :

« والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » [(2)] .

« ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه » [(3)] .

«جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم » [(4)] .

وإذا نظرنا إلى الرسول ﷺ نجده كان حريصاً على تبليغ الدعوة إلى الله تعالى سوآء فى مكة أو المدينة ، ففى مكة عرض ﷺ دعوته على القاصى والدانى من أبنائها ، وكان يركز دعوته فى البداية على المقربين إليه كزوجه خديجة رضى الله عنها ، ثم أصحابه أبوبكر وعثمان وغيرهم رضى الله عنهم ، ولقد تحمل ﷺ فى سبيل تبيلغ الدعوة كثيراً من الأذى والسخرية والاستهزاء ، حيث كذبه كفار مكة ، واتهموه بالسحر والجنون والكهانة ،

---

(١) يوسف الآية : ١٠٨ .

(١) رياض الصالحين : ٥١

(٣) صحيح البخارى جـ ١ ص ٣٧ كتاب العلم باب : ليبلغ الشاهد الغائب .

(٤) نيل الأوطار جـ ٧ ص ٢٣٩ .

كما أغروه بالمال والسلطان كي يترك دعوته ، ولكنه صبر وتحمل كل ذلك حتى كانت الهجرة إلى المدينة المنورة [1] .

كما أن الرسول ﷺ عرض نفسه على القبائل القادمة للحج ، وذهب إلى الناس في منازلهم ، ومشى إلى أسواقهم ، يدعوهم إلى الله تعالى ، وطلب منهم أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه ، ولهم الجنة ، فلم يجد أحداً ينصره ولا يجيبه ، كما أنه كان يطوف على القبائل في منازلهم ، ويقول لهم « أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ، فإذا متم كنتم ملوكاً في الجنة » وأبو لهب ـ لعنه الله ـ يتعقبه فيقول للناس : لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب ، فترده القبائل أقبح رد ، ويقولون : أسرتك وقبيلتك أعلم بك حيث لم يتبعوك [2] .

وهكذا كان الرسول ﷺ في مكة لم يفتر عن التبليغ ، ولم يكف عن الدعوة إلى الله تعالى ، فلما وصل المدينة واستقر بها بدأ يدعو الملوك والحكام والرؤساء إلى دين الله تعالى .

يقول ابن القيم : إن الرسول ﷺ بعث ستة نفر في يوم واحد من المحرم سنة سبع : بعثهم إلى النجاشي وقيصر ، وكسرى والمقوقس ، والحارث بن أبي شمر ، ملك البلقاء ، وهودة بن علي حاكم اليمامة ، كما بعث إلى حاكم عمان والبحرين وإلى غيرهم ممن ذكرهم المؤرخون [3] .

مما سبق يتبين لنا أن الرسول ﷺ كان يدعو بنفسه ، وبرسله وكتبه التي

---

(١) راجع في هذا سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٨٩ وما بعدها .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٤٢٢ وما بعدها .

(٣) زاد المعاد ص ٤٥ ، ٤٦ .

أرسلها إلى الملوك والرؤساء والحكام ، حتى بلغ رسالة ربه أحسن تبليغ ، وكان قدوة لمن جاء بعد ، من الصحابة والتابعين فى تبليغ الدعوة حيث قال تعلى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (١) وبمقتضى هذه الأسوة من المؤمنين تجاه الرسول ﷺ يكون من الحق عليهم أن يقتدوا به فى هديه ودعائه إلى الإيمان ،وإعلان ما أعلنه ، واتباعه فى كل ما اتجه إليه من الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله ﷺ .

وعلى الدعاة إلى الله أن يقتدوا بالسلف الصالح فى تبليغ الدعوة ، لا يفترون ولا يكسلون ، بل يكون شعارهم العمل الدائب الجاد فى سبيل الدعوة إلى الله وتبليغها للناس ، ودعوتهم إلى الخير ، وتنفيرهم من الشر وتبيين الرشد من الغى ، لأن السكوت على المنكر يؤدى إلى انحراف المجتمع والبعد به عن جادة الصواب ، ووجود الدعاة إلى الله وقيامهم بواجب الدعوة ، هو صمام الأمن الذى يحفظ المجتمع من الانحراف والفساد ويعرفه طريق الخير والرشاد .

وإذا نظرنا إلى هذا العصر نجد أن أهل الضلال يملكون من وسائل الدعاية ما لا يملكه غيرهم ، وبهذه الوسائل يشوهون حقائق الإسلام ويرمونه بصفات هو برئ منها .

يقول الشيخ محمد الخضر حسين : ولا تنس أن المضلين المخادعين فى هذا العصر قد تهيأ لهم من وسائل الدعاية مالم يتهيأ لغيرهم فمن نوادى تفتح وصحف تنشر ، وجمعيات تعقد ، وأموال تنفق ، وجاه يبذل ، وهناك طائفة لم تفسق عن جحود وتمرد ، وإنما أوتيت من قبل الجهل وعدم صفاء البصيرة فوضعت بجانب حقائق الإسلام ما يتبرأ منه الإسلام (٢) .

---

(١) الأحزاب الآية : ٢١ .

(٢) الدعوة إلى الاصلاح ص ٩ .

هذا يؤكد ضرورة تبليغ الدعوة للناس ، وأنها من أفضل الواجبات ، والذى تخلص إليه أن القيام بتبليغ الدعوة والعمل على نشرها بين الناس وتوضيح أحكامها ، أمر ضرورى لا بد من الأخذ به وتنفيذه ولا ينافى وجوب تبليغ الدعوة ما يدعيه البعض ويقول :

أن الإنسان ملكف بهداية نفسه فقط ولا يضره بعد ذلك ضلال الآخرين ويستشهد بقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [1] .

وهذه دعوى باطلة أريد بها الكيد للإسلام والرد عليها سهل ميسور فقد روى الإمام أحمد بن حنبل والترمذى ، وأبو يعلى وغيرهم من حديث قيس بن حازم قال : قام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ وإنكم تضعونها على غير موضعها وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه » [2] والآية صريحة فمعناها إذا فعلتم ما وجب عليكم ولم تقصروا فيه فلا يضركم تقصير غيركم ومن الواجب علينا القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو تبليغ الدعوة إلى الله تعالى .

والمراد من هذه الدعوى الباطلة هو صرف الدعاة عن هذا المجال والاستخفاف بهم والسخرية منهم ، حتى يخلو الجو لهم فى نشر أفكارهم الهدامة وبث سمومهم القاتلة واثارة الشبهات حول الإسلام ، وعلى الدعاة أن لا ييأسوا من هذا الفعل فلقد سبقهم الأنبيآء والمرسلون ، فقد استهزأ بهم قومهم وسخروا منهم ، انظر إلى سيدنا نوح عليه السلام ، الذى قال الله عز

(١) المائدة الآية : ١٠٥ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٠٩ سنن أبى داود جـ ٢ ص ٤٣٦ باختلاف

وجل فى شـأنه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (١) .

وقال أيضاً : ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ (٢) .

هذا وقد حذرنا الرسول ﷺ من التفريط فى تبليغ الدعوة والتقاعس عنها ، وضرب لذلك المثل عبرة وعظة لمن يعتبر ومن يتعظ .

روى أبو داود بسنده عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض » ثم قال : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُون * كَانُوا لايَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ..﴾ ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدى الظالم ولتأطرنه (٣) على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم » (٤) .

---

(١) هود الآيات : ٢٥ / ٢٧ .
(٢) هود الآية : ٣٨ .
(٣) لتأطرنه : أى لتردنه على الحق .
(٤) سنن أبى داود جـ ٢ ص ٤٣٦ .

وروى الترمذى بسنده عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن [(١)] الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم [(٢)] .

فهذه الإنذارات المؤكدة بنزول العذاب وتسلط الظالم وعدم الاستجابة لدعاء الصالحين وعدم المغفرة لهم وخذلانهم - جزاء تركهم الأمر بالمعروف والنّى عن المنكر تدل على غضب الله وسخطه على تارك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وقد لعن الله عز وجل فى كتابه الحكيم كاتم العلم فقال عز من قائل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [(٣)] .

إذن نستطيع أن نؤكد بعد هذه الأدلة الواضحة ، أن الدعوة وتبليغها أمر ضرورى وهام ، بل وحيوى فى هذا العصر ، الذى كثرت فيه التيارات الفكرية والمذاهب الهدامة والآراء الباطلة ، التى تطعن فى الإسلام وتشكك فى مصادره وتلفق الأباطيل حوله من قبل المستشرقين الذين يكنون للإسلام كل العداء ، وهذه الافتراءات التى يختلقها أعداء الإسلام ضده تجعل مهمة التبليغ ضرورية وتحتاج إلى الكثير من الجهد والبذل ، ومن هنا يجب بل يتحتم على الدعاة من المسلمين أن يقفوا على هذه الافتراءات وتلك المزاعم ، ويظهرون بطلانها وزيفها وخطورتها على الإسلام وأبنائه ويحذرون الناس من الأخذ بها .

---

(١) ليقر بن الله .

(٢) رياض الصالحين ص ١٠٧ .

(٣) البقرة الآيات : ١٥٩ / ١٦٠ .

المبحث الثالث

أنواع الدعوة

تنقسم الدعوة الإسلامية إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول :

دعوة الأمة الإسلامية جميع الأمم إلى الإسلام ، وأن يشاركوهم فيماهم عليه من الهدى ودين الحق ، وهذا مطلوب من الأمة الإسلامية بحكم جعلها أمةً وسطاً وخير أمة أخرجت للناس وشهداء عليهم .

قال تعالى :﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[١] أى جعلناكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل والوسط هو الخيار والأجود كما يقال قريش أوسط العرب نسباً وداراً أى خيرها وكان رسول الله ﷺ وسطاً فى قومه ، أى أشرفهم نسباً ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب [٢] .

وقال عز وجل فى حق الأمة الإسلامية : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[٣] .

فهذا إخبار من الله تعالى عن هذه الأمة بأنهم خير الأمم ، فالواجب دعوة الناس إلى الإسلام ، فإن هم أجابوا فالواجب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر إن فلاح الأمة ، وخيريتها على جميع الأمم ، يرتكزان على ثلاثة أمور رئيسية ، تشتمل على جميع أنواع الفلاح والخيرية وهى :

---

(١) أنظر هداية المرشدين للشيخ على محفوظ صـ ١٧ والآية ١٤٣ من سورة البقرة .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ صـ ١٨٩ .
(٣) آل عمران : ١١٠ .

١ - الأمر بالمعروف ، والمعروف هو كل ماتسكن إليه النفس ويطمئن إليه المجتمع ، ويقود إلى السعادة .

٢ -النهى عند المنكر ، والمنكر هو كل مايؤدى إلى شر أو ضرر ، للفرد ، أو للمجتمع أوللأمة .

٣ - الإيمان بالله ، وهو الأساس لكل علم ، وعمل ، وخلق أمر به الله وهو الجامع لكل معروف يجب الأمر به ، ولكل منكر يجب النهى عنه ، مباشرة أو عن طريق اجتهاد المجتهدين المخلصين المتخصصين ، الذين يستطيعون أن يستنبطوا من كتاب الله ، وسنة رسول الله ، مايصلح كل أمور الحياة ، ويعالج كل انحراف فى كل اتجاه ، ويحقق العزة والسعادة والأمن والاستقراروالسلام .

ولكن من الذى يأمر وينهى ويدعو إلى الخير والفلاح ؟

لقد أوجب الله ذلك على الدعاة ، المتخصصين فى الدعوة إلى الله ، فأمر سبحانه المؤمنين عامة بتقوى الله ، تحقيقا للعزة والاعتصام بحبل الله تأكيدا للوحدة وعدم التفرق ، حتى لاتفشل الأمة ، ثم ذكر سبحانه بنعم الله قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[١] .

ثم أوجب سبحانه أن تكون أمتنا خير أمة لأن دعوتهم دائما إلى الخير والدعاة إلى الله مهمتهم العمل على تحقيق الخيرية ، والفلاح لجميع الأمة ، وهم إن أدوا واجبهم هم المفلحون ، وإن أفلحوا أفلحت الأمة كلها بهم ، وبمن وراءهم بقدر إخلاصهم وفلاحهم قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢] .

---

(١) آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣.

(٢) آل عمران ١٠٤ .وانظر كتاب الفلسفة الحديثة فى الميزان للدكتور/ محمد فتح الله بدران ص ٣٦٥: ٣٦٦

وقد وجه الإسلام دعوته لكل البشر بلا استثناء ، فالكل مدعو إليها ومن تخلف لحقه العذاب ،ولامفر منه ، قال تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[1] ، وذلك بحكم أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، وأنها فرضت على الناس جميعا .

وقال عزوجل : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾[2]، وقال الحق تبارك وتعالى :﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾[3] .

ومن هنا كانت دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام وهم اليهود والنصارى لأنهم أصحاب كتاب سماوى قال تعالى :﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[4] .ويقول الرسول ﷺ : «والذي نفس محمد بيده ، لايسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولانصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار »

وكذلك دعوة من ليس لهم كتاب سماوى كمشركى العرب ووثنى الفرس .

النوع الثانى :

دعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير ، وتآمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر ، ويقوم بهذا النوع كالذى قبله خواص الأمة العارفون بأمور الدين وأسرار التشريع ، وهم المشار إليهم بقوله تعالى :﴿ فَلَوْلا نَفَرَ

---

(١) سبأ : ٢٨
(٢) الفرقان : ١
(٣) الأعراف : ١٥٨
(٤) آل عمران : ٦٣

من كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ .[1] وهذا يكون من العلماء والوعاظ والمرشدين فى بيوت الله تعالى ودروس العلم والأندية وهذه الدعوة تكون ببيان طريق الخير ، وتطبيق ذلك على أحوال الناس ، وضرب الأمثال المؤثرة فى النفوس التى يأخذ كل سامع منها عن قدر حاله ومستواه .

يقول الإمام الشوكانى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ هلا نفر جماعة بغرض التفقه فى الدين ، وإنذار من لم يتفقه ، فجمع بين القصدين الصالحين والمطلبين الصحيحين ، وهما تعلم العلم وتعليمه ، فمن كان غرضه بطلب العلم غير هذين ، فهو طالب لغرض دنيوى لا لغرض دينى[2] .

النوع الثالث :

الدعوة الجزئية وتكون بين الأفراد بعضهم مع بعض ، ويستوى فى ذلك الخاصة والعامة بالدلالة على الخير والترغيب فيه ، والنهى عن الشر والتحذير منه كل بما يعرفه من أمور الدين ، فإذا رأى مسلم أخاه على منكر هو يعلمه تصدى لنصحه وإرشاده وبيان ما يأمر به الدين الحنيف وما ينهى عنه عملا بقول الرسول ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبة وذلك أضعف الإيمان »[3] رواه الإمام مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما .

---

(١) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص ١٧ والآية ١٢٢ من سورة التوبة

(٢) فتح التقدير للشوكانى جـ ٢ صـ ٤١٦

(٣) رياض الصالحين صـ ١٠٣

وكل ذلك يكون برفق ولين فذلك من التواصي بالحق والصبر الذى جعله الله عزوجل آية الإيمان الصحيح ، وسبباً للنجاة من الخسران المبين .

قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (١) أى أن المسلم يوصى غيره بالحق والصبر كما أنه فى نفس الوقت يقبل الوصية من غيره بذلك أيضاً .

ولكل نوع من الأنواع الثلاثة اختصاص لا يستطيع القيام به إلامن أعد له إعداداً يتناسب وما يحمل من عبء قد يبلغ فى بعض الأحيان أقصى غايات الصعوبة والشدة ، ولا يقدر له النجاح إلا حيث تتكامل له العدة والزاد من العلم والمعرفة ويتزود بأمضى أسلحة العلم ، ليتغلب على ما يلاقيه من شدائد وعقبات ، وكل هذا لا بد فيه من التخطيط الدقيق السليم الذى يشمل جميع مصالح الحياة ومصلحة المجتمع والأخذ بيد الجميع إلى الصراط المستقيم المؤدى إلى الفلاح والنجاح والنصر قال تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٢)

---

(١) سورة العصر ١-٣ وأنظر هداية المرشدين صـ ١٧ ، ١٨

(٢) سورة محمد : ٧





وسائل تبليغ الدعوة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : القدوة الحسنة

المبحث الثانى : التبليغ بالقول

المبحث الثالث : أنواع القول

الفصل الخامس

وسائل تبليغ الدعوة

الدعوة إلي الله تعالى تحتاج إلى وسائل متعددة تتناسب مع المدعوين فى كل زمان ومكان «ومن هنا فالواجب على الدعاة فى تبليغ الدعوة أن يتبعوا كل وسيلة توصلها إلى قلوب الناس ، وتحقق الغاية المطلوبه منها . من هذه الوسائل ..

المبحث الأول

القدوة الحسنة

والقدوة الحسنة وسيلة من أنجح الوسائل فى الدعوة إلى الله تعالى ، فاذا كان الداعية إلى الله تعالى قدوة حسنة فيما يدعو إليه فإنه يؤثر فى الناس بعمله وشخيصته يقول الشيخ محمد الغزالى : إن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان ، وخلقه الفاضل هو السحر الذى يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب ، ومن ثم فان الداعية الموفق الناجح هو الذى يهدى إلى الحق بعمله ، وإن لم ينطق بكلمة لأنه مثل حى متحرك للمبادىء التى يعتنقها [1] .

وعلى العكس من ذلك فان إنحراف المؤمن وسوء خلقه من أهم الوسائل التى تصد الناس عن الإسلام وتبعدهم عن طريقه المستقيم ، لأن الناس ينظرون إلى الإسلام من خلال من يدعو إليه فان كان قدوة حسنة فى نفسه عملا وقولا فان كلامه ينفذ إلى القلوب كالسحر ، لأنه بمثابة الطبيب الذى يشخص الداء ويصرف الدواء المناسب والرسول ﷺ هو القدوة الحسنة للدعاة

---

(١) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة ص ٢٩٧

فى عصرنا الحاضر .وقد أمرنا الله بالاقتداء به فى أقواله وأفعاله وأحواله قال تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[1] . فالرسول ﷺ فى تبليغه الدعوة كان لايهدأ ولايستريح ولايهنأله عيش ولا يطيب له نوم حتى يرى الناس جميعا قد استجابوا لدعوة الإسلام ودخلوا فى دين الله أفواجا ، وكانت الآيات تنزل عليه من قبل الله تعالى تخفف من همه وحزنه قال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾ [2] وقال عزوجل ، ﴿ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ [3] وقل عز من قائل : ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [4] ومع كل هذا كان الرسول ﷺ مضرب المثل فى صموده وثباته وصبره وإحتماله ومثابرته وجهاده . والرسول ﷺ فى ثباته على المبدأ كان لا يخشى فى الله لومة لا ئم وخير دليل على ذلك موقفه من عمه أبى طالب عندما جاءه وقال له : ياابن أخى ، إن قومك قد جاءونى وطلبوا منى أشياء فابق على وعلى نفسك ، ولاتحملنى من الأمر مالا أطيق ، فظن رسول الله ﷺ أن عمه خاذله ومسلمه ، فقال رسول الله ﷺ : ياعم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ، ثم قام عليه الصلاة والسلام واستعبر باكياً ، فلما رأى عمه عزمه الصادق ، وثباته الراسخ فى المضى فى طريق الدعوة غير مكترث بأحد ولا عابىء بإنسان ناداه وقال له : أذهب ياابن أخى فقل ماأحببت، فوالله لا أسلمك لشىء أبداً[5]

---

(١) الأحزاب : ٢١ (٢) الكهف ٦
(٣) فاطر ٨ (٤) القصص ٥٥
(٥) السيرة النبويه لا بن هشام جـ ١ صـ ٢٦٦

وإذا كان الرسول ﷺ على ماذكرنا من تبليغه الدعوةوعدم التهاون فى أمرها وثباته على الحق وشجاعته وصبره وإحتماله، فمن الطبيعى أن تتأسى النفوس به وأن يجد الدعاة إلى الله تعالى فى شخصية الرسول ، ﷺ القدوة الكاملة ، والمثل الأعلى فى كل ما يرتبط بحياتهم الدينية والدنيوية الإجتماعية . وللدعاة إلى الله تعالى القدوة الحسنة فى صحابة رسول الله ، ﷺ ورضى الله عنهم أجمعين ، فهم الذين قال الله فيهم ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢)

وقال فيهم الرسول ﷺ :« أصحابى كالنجوم بأيهم أقتديتم اهتديتم »

وقال فيهم الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً، وأحسنها حالا ، إختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم فى آثارهم ، فأنهم كانوا على الهدى المستقيم » (٤) .

فصحابة رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم كانوا القدوة الصالحة فى العبادة والأخلاق والشجاعة والثبات على الحق ، والعزم والتعاطف والجهاد ونيل الشهادة فى سبيل الله عزوجل ، والدعاة إلى الله تعالى يترسمون خطاهم ويستقون من معين فضائلهم ، ويستضيئون بنورهم ، وينهجون فى

(١) الأحزاب : ٢٣ (٢) الفتح : ٢٩

(٣) رواه الإمام البيهقى .

(٤) راجع مقدمه كتاب تربية الأولاد فى الإسلام للأستاذ عبد الله علوان .

التربية نهجهم ، ويسيرون فى بناء المجد سيرهم ، لأنهم خير القرون هدياً ، وأفضل العصور قدوة .

وبهذه القدوة الحسنة إنتشر الإسلام شرقاً وغرباً ودخل الناس فى دين الله أفواجاً بفضل ما تميز به الصحابة رضوان الله عليهم من قدوة طيبة وأخلاق حسنة وصدق وأمانة وحسن معاملة .

ومن هنا فإن القدوة الحسنة من أكبر العوامل فى التأثير على القلوب والنفوس ومن أعظم الأسباب فى نشر الإسلام فى البلاد البعيدة ، وفى هداية البشرية إلى الصراط المستقيم ، فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يفهموا هذه الحقيقة ، وأن يعطوا لغيرهم القدوة الحسنة ، والأخلاق الفاضلة ، والمعاملة الطيبة ، ليكونوا دائماً أقمار هداية لمن يهتدى بهم ، وشموس إصلاح للأبدان الفاسدة ، ودعاة حق وخير فى عالم تنكب طريق الحق والخير وسار فى طريق الضلال والشر ،

والتاريخ يسطر بكل الافتخار والإعجاب أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان فى المحيط الهندى ، وإلى التيبت وإلى سواحل الصين وإلى الفلبين ، وجزر أندونيسيا ، وشبه جزيرة الملايو .. ووصل إلى أواسط أفريقيا فى السنغال ، ونيجيريا ، والصومال ، وتنزانيا ، ومدغشقر وزنجبار وغيرها من البلاد ، بواسطة تجار مسلمين ، ودعاة صادقين أعطوا الصورة الصادقة عن الإسلام فى سلوكهم وأمانتهم ، وصدقهم ووفائهم .

ثم أعقب ذلك الكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، فدخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وآمنوا بالدين الجديد عن إقتناع وإيمان ورغبة ولولا أنهم تميزوا بأخلاقهم ، وأعطوا القدوة بين أولئك الأقوام بصدقهم وأمانتهم وعرفوا لدى الغرباء بلطفهم وحسن معاملتهم .

لما اعتنق الملايين من البشر هذا الإسلام ولما دخلوا فى هديه ورحمته[1]

---

(١) راجع كتاب تربية الأولاد فى الإسلام عبد الله علوان جـ ٢صـ ٦٥٢

المبحث الثانى

التبليغ بالقول

القول هو الأصل فى تبليغ الدعوة إلى الله تعالى ، فالقرآن الكريم هو قول رب العالمين نزل به الروح الأمين على محمد ﷺ ليكون به التبليغ .

قال تبارك وتعالى :﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (١) وكان تبليغ رسول الله ﷺ لرسالة ربه للناس بالقول قال تعالى مخاطباً رسوله وآمراً له أن يقول للناس : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ (٢) .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٣) فلايجوز للداعى أن يغفل مكانة القول فى تبليغ الدعوة،ولا أثر الكلمة الطيبة فى النفوس فالقول إذن هوالوسيلة الأصيلة فى إيصال الحق للناس(٤)

وإذا نظرنا إلى رسل الله تعالى عليهم السلام فى تبليغ دعوتهم إلى أقوامهم نجد أنها كانت بالقول البين الواضح فسيدنا نوح عليه السلام قال الله فى حقه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥)

---

(١) النحل : ٦

(٢) يونس : ١٠٨

(٣) الأعراف : ١٥٨

(٤) أنظر : أصول الدعوة .د / عبد الكريم زيدان صـ ٤٥٢

(٥) الأعراف :٥٩

وسيدنا هو د عليه السلام قال الله فى حقه : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

وسيدنا صالح عليه السلام قال الله فى حقه : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٢)

وسيدنا لوط عليه السلام قال الله فى حقه : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣)

وسيدنا شعيب عليه السلام قال الله فى حقه : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٤)

وسيدنا موسى عليه السلام قال الله فى حقه : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥) وقال أيضا فى حقه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ (٦)

وسيدنا عيسى عليه السلام قال الله فى حقه : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم ﴾ (٧)

وسيدنا محمد ﷺ قال الله فى حقه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٨) وقال أيضا : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (٩) .

ما يشترط فى القول :

يشترط فى القول شروطاً حتى يكون وسيلة من وسائل تبليغ الدعوة من هذه الشروط :

---

(١) الأعراف : ٦٥
(٢) الأعراف :٧٣
(٣) الأعراف : ٨٠
(٤)الأعراف :٨٥
(٥) الأعراف : ١٠٤
(٦) الصف : ٥
(٧) الصف :٦
(٨) الأعراف : ١٥٨
(٩) الكهف : ٢٩

١- أن يكون القول واضحاً بيناً لاغموض فيه ولا إبهام ، مفهوماً عند السامع لأن الغرض من الكلام إيصال المعانى المطلوبة إلى من يكلمه الداعى فيجب أن يكون الكلام واضحاً غاية الوضوح ، والرسول ﷺ وهوالقدوة الحسنة للدعاة كان قوله واضحاً بيناً يفهمه كل من يسمعه . فعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : « كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً - أى بيناً ظاهراً - يفهمه كل من يسمعه ، [1] ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [2] فالبيان للمدعوين وليس للداعى .

٢- أن يكون الكلام خالياً من الألفاظ المستحدثة التى تحتمل حقاً وباطلاوخطأ وصواباً ، وعلى الداعى أن يستعمل الألفاظ الشرعية المستعملة فى القرآن والسنة وعند علماء المسلمين ، لأن هذه الألفاظ تكون محددة المعنى واضحة المفهوم خالية من أى معنى باطل قد يعلق فى ذهن المدعو ، وقد أشار القرآن إلى ضرورة هذا النهج فى الكلام قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [3] ، [4]

فقد جاء فى تفسير ابن كثير فى تفسير قولة تعالى :« لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا » .

قال الحسن :« لاتقولوا راعنا » قال :الراعن من القول السخرى منه نهاهم الله أن يسخروا من قول رسول الله ﷺ ، وما يدعوهم إليه من الإسلام[5]

---

(١) رياض الصالحين صـ ٣٠٧
(٢) إبراهيم : ٤
(٣)رياض الصالحين صـ ٣٠٧
(٤) إبراهيم : ٤ (٥) البقرة : ١٠٤
(٤) انظر . أصول الدعوة .د / عبد الكريم زيدان صـ ٤٥٣ بتصرف
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ١ صـ١٤٩

ما يشترط فى القائل :

هناك شروط لا بد من توافرها فى القائل حتى تؤتى دعوته ثمرتها المرجوة منها :

١- يجب على الداعى أن يتأنى فى كلامه فلا يسرع بل يتمهل حتى يستوعب السامع كلامه ويفهمه ، فعن أنس رضى اللّه عنه« أن النبى ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم منه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً » [1] رواه الإمام البخارى رضى اللّه عنه .

٢- أن يبتعد الداعى عن التكلف والتعاظم فى نطقه. فعن ابن مسعود رضى اللّه عن النبى ﷺ قال : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثاً »[2] المتنطعون المتعمقون المشددون فى غير موضع التشديد . وعن جابر رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون [3] والمتشدقون [4] والمتفيهقون » قالوا : يارسول اللّه قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال :« المتكبرون » [5]

رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

٣- أن يبتعد الداعى عن الا ستعلاء على المدعو واحتقاره وتحديه وإظهار فضله عليه ، وإنما عليه أن يكلمه بروح الناصح المخلص المتواضع الذى يدل غيره على ما ينفعه ويعرفه به .

---

(١) رياض الصالحين صـ ٣٠٧

(٢) رياض الصالحين صـ ٨٢

(٣) الثرثار هو كثير الكلام تكلفاً

(٤) المتشدق : المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بمل ء فيه تعظيما لكلامه

(٥) رياض الصالحين صـ ٢٨١

٤- أن يتلطف الداعى بالقول ، فيستعمل فى كلامه وخطابه مايثير رغبة المدعو إلى السماع ويقمع فيه نوازع الجهل والنفور وخير دليل على ذلك ما حكاه القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم : ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ (١) فسيدنا إبراهيم عليه السلام ذكر لأبيه رابطة الأبوة التى من شأنها أن تجعل الابن حريصاً على مصلحة الأب ، وتجعل الأب جديراً بأن يصغى إلى خطاب إبنه (٢) .

وفى سنة الرسول ﷺ مايدل على ذلك أيضا .يقول ابن هشام فى سيرته «أن النبى ﷺ أتى كلباً فى منازلهم ، إلى بطن منهم يقال لهم : بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول لهم : يابنى عبد الله ، إن الله عزوجل قد أحسن إسم أبيكم ، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم (٣) . أى أحسن إسم أبيكم فاقبلوا دعوته التى جئتكم بها .

---

(١) مريم :٤٢

(٢) أصول الدعوة صـ ٤٥٤، ٤٥٥ بتصرف

(٣) السيرة النبوية لابن هشام صـ ٤٢٤ قسم أول

المبحث الثالث
أنواع القول

ينقسم القول باعتباره الأصل فى تبليغ الدعوة إلى الله تعالى إلى أنواع :

(أ) الخطبة :

تعتبر الخطبة وسيلة هامة من وسائل التبليغ بالقول فما معناها فى اللغة وفى الاصطلاح ؟

معناها فى اللغة :

يقول صاحب مختار الصحاح : خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً ، وخطب على المنبر خطبة بضم الخاء وخطابة ، وخطب المرأة فى النكاح خطبة بكسر الخاء يخطب بضم الطاء فيهما ،وخطب من باب ظرف :صار خطيبا(١)

وخاطبه مخاطبة وخطاباً وهو الكلام بين متكلم وسامع ومنه اشتقاق الخطبة بضم الخاء وكسرها فيقال فى الموعظة : خطب اليوم خطبة بضم الخاء فهو خطيب والجمع الخطب وخطب المرأة من القوم إذا طلب أن يتزوج منهم ، والأسم الخطبة بكسر الخاء فهو خاطب ، وعلى هذا فيقال من الخطبة بالضم خاطب وخطيب ومن الخطبة بالكسر خاطب فقط (٢) .

أما فى الاصطلاح فهى : صفة راسخة فى نفس المتكلم ، يقتدر بها على التصرف فى فنون القول : لمحاولة التأثير فى نفوس السامعين ، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم ، واقناعهم ، فالخطابة مرماها التأثير فى نفس السامع ، ومخاطبة وجدانه ، وإثارة إحساسه للأمر الذى يراد منه ، ليذعن للحكم ، إذعاناً ويسلم به تسليماً (٣) أوهى : حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك (٤) . وعرفها آخر بقوله : فن مشافهة الجمهور واقناعه واستمالته (٥) . وهذا كله يستدعى من الخطيب أن

---

(١) مختار الصحاح للرازى مادة خطب

(٢) المصباح المنير ، المفردات فى غريب القرآن للأصفها نى مادة خطب أيضا

(٣) الخطابة للشيخ محمد أبو زهرة صـ ١٩ (٤) فن الخطابة للشيخ على محفوظ صـ ١٣

(٥) فن الخطابة / أحمد الحوفى صـ٧

يكون عنده المقدرة على الكلام وهذا لا يكون إلا بالتحضير والإبتكار المبنى على التفكير السليم والتنسيق المبنى على الترتيب والتعبر على توضيح الأفكار لسامعيه .

أهميتها والغاية منها :

للخطابة أهمية كبيرة وغاية ذات شأن خطير ، وهى إرشاد الناس إلى الحقائق وحملهم على ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة ، والخطابة معدودة من وسائل السيادة والزعامة ، وكانوا يعدونها شرطاً للإمارة ، فهى تكمل الإنسان وترفعه إلى ذرى المجد والشرف ؛حيث أن الخطيب يرشد السامع إلى مايحتاج إليه من أمور دينه ودنياه ، ويقيم له مراسيم لتقويم عيشه ، والاستعداد إلى ميعاده ، وحسبها شرفاً أنها وظيفة قادة الأمم من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن على شاكلتهم من العلماء العاملين ، وعظماء الملوك ، وكبار الساسة وفوائدها عظيمة ، فهى التى تعرف صاحبها كيف يمتلك القلوب ، ويستميل النفوس ، ويحرك العواطف ، ويهيج الخواطر نحو ما يريد ... وهى التى ترفع الحق وتخفض الباطل ، وتقيم العدل ، وترد المظالم ، وهى التى تهدى الضال إلى سواء السبيل وتفض النزاع وتقطع الخصومات بين المتخاصمين [١].

الخطابة والدعوة الإسلامية :

الدعوة الإسلامية لابد لها من دعاة يدعون الناس إليها ويردون على خصومها بالحجة والبرهان والمنطق القويم وعرضها على المستمعين المضللين أو المنحرفين عرضاًحسناً تستمال به الوجدان وتقتنع به العقول والقلوب ولن يكون ذلك إلا إذا وجدت الألسنة القوالة القادرة على الاقناع بالحجة والموعظة الحسنة ، وكانت الدعوة الإسلامية من أعظم البواعث على انطلاق الألسنة من عقالها فأثارت الخطابة من مكمنها وأغرت وفتحت العقول بأحكامها فتفنن خطباء الإسلام فيها واختلبوا الإلباب بسحر بيانها [٢] .

(١) انظر فن الخطابة للشيخ على محفوظ ص ١٥ ، ١٦ بتصرف .

(٢) الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق د/ عبد الغفار عزيز صـ ١٧

وإذا نظرنا إلى الدعوة الإسلامية نجد أنها جاءت فى قوم اشتهروا بالبلاغة والفصاحة وقوة البيان ، قوم القول صناعتهم ، والبلاغة جل عنايتهم ، فكان لابد من مقابلة القول بأبلغ منه ، والكلام بأروع منه فكانت الخطابة الأداة الأولى للدعوة الإسلامية ، وكانت السلاح المتين فى الرد على الخصوم ومقارعة الحجة بالحجة .

إن الدعوة الإسلامية كما أحدثت انقلاباً لامثيل له فى المجتمع البشرى قد أحدثت فى مجال الخطابة انقلاباً خطيراً ، فنبتت على حواشيها خطابة دينية فى صورها المختلفة وأخرى فى السياسة والحكم والحرب والإجتماع وجدل الأحزاب والطوائف كأقوى وأروع ماتكون الخطابة [1] .

ولو نظرنا إلى الرسول ﷺ وهو إمام الدعاة والخطباء نجد أنه كان يأتى الناس فى مجامعهم ومجالسهم ومراسمهم ويدعوهم إلى الإسلام بأبلغ القول وأحسن الكلام ولننظر إلى خطبته الموجزة عندما نزل عليه قول الله تعالى:﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [2] فجمع النبى ﷺ عشيرته وقال لهم إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ماغررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله اليكم خاصة وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا ، بالسوء سوءاً ، وأنما لجنة أبداً ، أو لنار أبداً [3] .

وكذلك فعل الرسول ﷺ مع رسله ، الذين كان يرسلهم إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام ، فكان يرسل اليهم من اشتهر بالخطابة والبلاغة وعرف بالفصاحة وقوة الإقناع .

والخلفاء الراشدون نهجوا منهج الرسول ﷺ فى الخطابة ، فبلغت الخطابة فى عهدهم عنفوان شبابها ، فالقرآن الكريم بما اشتمل عليه من أساليب رائعة أعانهم على الخوض فيها .

---

(١) الخطابة فى صدر الإسلام د/ محمد طاهر درويش جـ ١ صـ ١٨١

(٢) الشعراء : ٢١٤

(٣) الخطابة للشيخ محمد زهرة صـ ٢٥٣

عوامل تطورها :

من العوامل التى أدت إلى تطور الخطبة وازدهارها فى الإسلام مايلى :

١- ظهور رسالة النبى ﷺ التى أخرجت العالم من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى ، فإن الدعوة إلى الدين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقمع الفتن وردع البدع ،وتحميس الجند كل ذلك من أغراض الخطابة وكان لها من آى القرآن الكريم وحججه معين لا ينضب ومدد لاينفذ (١)

٢- اقتباسها من القرآن الكريم :

يقول الجاحظ : كانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن الكريم فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع (٢) . ويقول أيضا : إن الخطبة إذالم توشح بآيات من القرآن الكريم سميت شوهاء (٣)

٣- الصراع المستمر بين الدعاة إلى الله تعالى وبين الكافرين والمشركين فكل منهم يريد جذب الآخرين نحو دعوته وذلك عن طريق الإقناع وهذا فى حد ذاته يعتمد إعتماداً كبيراً على الخطابة .

٤- بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه حدثت الفتنة بين المسلمين ومن هذه الفتنة نشأت الأحزاب والفرق وأخذ كل حزب يؤيد وجهة نظره ، فلم يجد سوى الخطابة وسيلة يصل بها إلى غرضه .

فالخطبة على هذا الأساس وسيلة جيدة من وسائل التبليغ إلى الله تعالى وعلى الخطباء فى عصرنا الحاضر أن يكونوا على مستوى المسئولية

---

(١) تاريخ الأدب العربى للأستاذ أحمد حسن الزيات صـ ٤٥ .

(٢) البيان والتبين جـ ١ صـ ١١٧

(٣) المرجع السابق جـ ٢ صـ ٦

فى خطبهم وأن يقتدوا برسول الله ﷺ وبصحابته رضوان الله عليهم فى تبليغ الدعوة إلى الله تعالى .

(ب) الدرس :

يعتبر الدرس وسيلة من وسائل التبليغ ولا يقل أهمية عن الخطبة ، بل إن الدرس أصعب بكثير من الخطبة ، وذلك لأن الخطبة تكون فى موضوع معين لا تتعداه والخطيب لايعنيه من الآية أو الحديث إلا ما يتصل بغرضه فى الخطبة ، أما المدرس فقد يستطرد فى موضوعه بسبب الأسئلة التى توجه اليه من الحاضرين ، والدرس عادة يكون فى المسجد بغرض شرح آية من كتاب الله تعالى ، أو حديث من أحاديث الرسول ﷺ والمفروض فى الداعية أن يكون على صلة وثيقة بالأحداث التى تجرى حوله فى المجتمع الذى يعيش فيه ، وأن يستخلص من الآية أو الحديث أو القصة مايحتاج اليه جمهور المستمعين ، ومن هنا فإن فائدة الدرس عظيمة حيث يستطيع الحاضر أن يسأل المدرس ويستفسر عن كل مايجول بخاطره .

وعلى المدرس أن يتحلى بطلاقة الوجه وخفة الظل والمرح ، حتى لايمله الناس ويهجروه ، يتحلى بالحلم والصبر حتى يكون قدوة حسنة للناس ، وأن يتجنب فى دروسه كل ما يثير الجدل والمناقشة ، وأن يتخلل درسه ما يروح عن النفس ويذهب الملل والسآمة فى الحدود التى لاتخرجه عن الوقار والهيبة

(جـ) المحاضرة

من وسائل تبليغ الدعوة إلى الله تعالى بالقول ، وسيلة المحاضرة وهى عبارة عن معلومات منسقة يعالج بها المحاضر موضوعا معينا من الموضوعات من غير أن يلجأ إلى الانفعال والإثارة ، وقد يلقيها المحاضر

بنفسه أو من ينوب عنه ، وفى المحاضرة تسمح بالمناقشات والإجابة على الأسئلة التى توجه إليه من المستعمين .

والمحاضرة الناجحة ما كانت تهدف إلى هدف معين ومحدد وتجلى هذا الهدف وتبينه البيان الشافى المقنع ويجب على المحاضر أن يكون دقيقاً فى كلامه لا يلقى القول جزافاً ، ولايكثر من العبارات العاطفية ، لأن مجالها الأصلى الخطبة وليس المحاضرة ، وأن يشرك السامعين معه فى الوصول إلى مايريده [1] .

فالمحاضر الناجح يختار موضوع المحاضرة مما يعرض له من مشاكل الحياة التى يعيش فيها ، ثم بعد ذلك يدرسه دراسةعميقة مدعمافى هذه الدراسة بالحجج والبراهين والأدلة الواضحة ، ثم يختار له النصوص التى تؤيده من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، والأحداث التاريخية الصحيحة . والواقع الذى يعيش فيه الناس ، ومن هنا فالواجب على المحاضر أن يكون هدفه من المحاضرة إحياء المشاعر الإسلامية فى قلوب الناس ومراقبة الله تعالى فى الأقوال والأفعال ومحاسبة النفس على كل صغيرة وكبيرة .

ولكى تؤتى المحاضرة ثمارها المرجوة منها يجب أن تتوفر فيها الشروط الآتيــــة :

١- يجب أن يكون الموضوع متناولا للمشكلات التى يعانى منها الناس فى المجتمع الذى يعيشون فيه ، وتقدم حلولا لها على ضوء الإسلام .

---

(١) أصول الدعوة د/ عبد الكريم زيدان صـ ٤٥٩

٢- أن يكون فى الموضوع مقارنات بين النظم الإسلامية وغيرها من النظم القائمة على أن يبرز فيها محاسن النظم الإسلامية .

٣- أن تشتمل على ما يظهر فضل الإسلام على غيره وحرصه على تحقيق الخير للناس أجمعين .

٤- إظهار الحضارة التى وضع أساسها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإبراز القواعد الإنسانية السامية التى قامت عليها تلك الحضارة ، التى سعدت بها البشرية فترة من الزمان .

٥- أن يكون الموضوع مشتملاً على مسائل يجب أن يعرفها المسلمون لتوضيح النظم الإسلامية المختلفة ، وإظهار أن فى تطبيقها سعادة لهم (١)

(د) الكتابة :

تعتبر الكتابة وسيلة من وسائل التبليغ بالقول ، وهى وسيلة جيدة إن أحسن القيام بها ، ويجب أن تكون الكتابة بأسلوب سهل ممتع يفهمه عامة الناس وخاصتهم بحيث تتناوله الأفكار الإسلامية الصحيحة .

والكتابة إما أن تكون كتابة رسائل إلى من يريد الداعى دعوتهم الى الإسلام ونبذ ما يخالفه ، وإما أن تكون بتأليف الكتب والأبحاث والمقالات فى المجلات وغيرها وكلها وسيلة جيدة للدعوة الى الله تعالى (٢) .

وإذا نظرنا إلى الرسول ﷺ نجد أنه أمر بكتابة الرسائل إلى رؤساء جميع الدول المحيطه بالجزيرة العربية فكتب إلى كسرى ملك الفرس وإلى قيصر ملك الروم . وإلى النجاشى ملك الحبشة والى عظيم القبط فى مصر .

---

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة د/ محمد السيد الوكيل صـ ٢٥ ، ٢٦

(٢) أصول الدعوة د/ عبد الكريم زيدان صـ ٤٦٣

وعلى سبيل المثال نذكر الرسالة التالية ، التى أرسلها رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد :

فإنى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [1] .

وكذلك فعل علماء الإسلام عندما كانوا يبعثون برسائلهم الى الحكام يحثونهم فيها على التمسك بأوامر الشرع الحنيف وإقامة العدل بين الرعية .
ومن ذلك كتب الحسن البصرى الى عمر بن العزيز رضى الله عنهما :

« إعلم ياأمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل . وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف والإمام العادل ياأمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر الى الله ويريهم ، وينقاد الى الله ويقودهم ، فلا تكن ياأمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد إئتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال ، فأفقر أهله وبدد ماله ، وأعلم ياأمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها ؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى حـ ١ صـ ٣٢ ، ٣٣ والآية ٦٤ آل عمران .

قتلهم من يقتص لهم ؟ ..فأنزل كتابى إليك كمداوى حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له فى ذلك من العافية والصحه [1]

وتأليف الكتب فى معانى الإسلام وكتابة الأبحاث والمقالات والرسائل من الوسائل المفيدة جداً فى الدعوة الى الله تعالى خاصة إذا ترجمت الى لغات من يراد تعريفهم بالإسلام ودعوتهم إليه فيمكن بهذه الوسيلة العظيمة تبليغ الإسلام الى ملايين الناس الذين لايعرفون اللغة العربية ولم يصلهم عن الإسلام أى شىء فالواجب كتابة هذه الأشياء بأسلوب بسيط مفهوم واضح يدركه أقل الناس قدرة على فهم الخطاب ، وأن تكون خالية من مسائل الخلافات ، وأن تكون مختصرة من غير إخلال بالمعنى [2] .

(هـ) ضرب الأمثال :

ضرب الأمثال له خطره بين فنون القول وقدرته على التأثير فى المخاطب يقول الإمام السيوطى رحمه الله : ضرب الأمثال يستفاد منه أمور كثيرة منها تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس فإن الأمثال تصور المعانى بصورة الأشخاص لأنها أثبت فى الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالمشاهد ومن هنا فإن ضرب الأمثال يعتبر وسيلة من وسائل الاقناع حيث أن المورد للمثل إنما هو فى الحقيقة يقيس الأمر الذى يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه ، وإذا نظرنا الى كتاب الله تعالى نجد أنه ضرب الأمثال فى أسلوب معجز من ذلك قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا

---

(١) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص ٤٠١ ، ٤٠٢ بتصرف شديد

(٢) أنظر أصول الدعوة د / عبد الكريم زيدان ص ٤٦٤ بتصرف.

يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [1]

فالقرآن الكريم يبين للمشركين تفاهة ما يعبدونه من دون الله وعجزهم المخزى فلا يعبر عن ذلك بوصفهم بالعجز والتفاهة ، بل بصوره أدق تصوير فى هذا المثل السائر ،و من ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [2] .

فالقرآن الكريم يريد أن يبين عاقبة المؤمنين والكافرين ومصير المقرين بنعم الله تعالى المؤدين لحقها ، وأولئك الجاحدين لأفضاله المتعالين بما فى أيديهم من أموال ، فصورها فى صورة هذا المثل الرائع .

والقرآن الكريم زاخر بهذا النوع من ضرب الأمثال لقدرته على التأثير فى نفس المخاطب .

ويعتبر ضرب الأمثال عدة للداعية الى الله تعالى فى الوصول الى القلوب وتغيير النفوس من الشر الى الخير .

(و) الجدل :

النفس البشرية متعددة الجوانب من وجدان وعقل وإرادة ، والتعامل معها لا بد أن يتجه إلى كل منافذ التأثير فيها ، كى نصل إلى تغيير ما بها من عقائد فاسدة ، ليحل مكانها الإيمان بالدعوة ومبادئها ، والقرآن الكريم فى دعوته يلاحظ الطبيعة البشرية ، ولا يترك باباً يمكن أن ينفذ منه ليحقق هدفه ، ومن هنا اتجاه بدعوته إلى العقل والمنطق ينفى الشبهة ويسوق الدليل .

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ٢ ص ١٣١ .

(٢) الحج : ٧٣ .

وقضية الوحدانية الخالصة التى دعا إليها الاسلام وجاءت بها الرسل الكرام ، قد واجهت إنكاراً شديداً من المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، الذين اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ، وحرفوا الكلم عن مواضعه وقد جادلهم القرآن الكريم وفند دعاواهم الباطلة من ذلك : وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾[1] والآيات الكريمة تسوق الدليل على وحدانية الله تعالى فى أسلوب بليغ يعرض علينا مشاهد متتابعة تعتمد على حكاية الحوار والجدل بين إبراهيم عليه السلام وقومه وفى مقدمتهمْ أبيه ، وهو حوار وجدل ينتهى بأن الاشراك بالله تعالى إلغاء للعقل والمنطق وجرى وراء تقليد أعمى لايفيد

(١) الأنبياء : ٥١ - ٧٠

شيئا ، بل يطمس البصائر عن التفكير السليم ويحجر العقول عن الإهتداء إلى رب العالمين .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى :﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [(١)] .

ومن المعلوم أن التوحيد الخالص هو دين الله تعالى ودعوته إلى الناس جميعا ، التى جاء بها كل رسول إلى قومه ، ولكن هذا التوحيد الخالص أدخلت عليه التحريفات نتيجة لدخول كثير من الوثنيين فى النصرانية ، فقد أو لوا فيها حتى انتهى بهم الأمر أخيراً إلى الاعتقاد بالتثليث ، وردا على هذا التحريف من النصارى تأتى الآيات الكريمة لتبين وجه الحق ، وتجادل هؤلاء وتدحض مفترياتهم ومزاعمهم الباطلة بأدلة مفحمة ، وبلاغة معجزة .

(ز) - القسم :

يعتبرالقسم وسيلة من وسائل التبليغ بالقول ، وله خصائص تمنحه القدرة على التأثير وتجعل المتكلم يختاره ليستعين به إذا كان المقام يقتضيه فالقسم يقوم بدور التهيئة النفسية للمخاطب وإثارة انتباهه لما سيخبر به ،

---

(١) المائدة : ٧٢ ـ ٧٧ .

فيستقبل القسم مستجمعاً حواسه مركزاً فكره وإنتباهه إليه ، وذلك لأن الإنسان إذا حلف على شيء كان ذلك دالاً على أهميته وأنه مما تجب العناية والإقبال عليه وقد روى عن بعض الأعراب أنه : لما سمع قوله تعالى :﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ (١) صرخ وقال : من الذى أغضب الجليل حتى حلف (٢) ؟

ولأهمية القسم فى التبليغ والتأثير جاء ذكره فى القرآن الكريم ، تارة يقسم المولى عز وجل بذاته فيقسم بالرب ويضيفه إلى بعض مخلوقاته فيقول :﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ (٣) .

وقد يضيفه إلى الرسول ﷺ مثل قوله تعالى :﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ (٤) . كما أنه تعالى : يقسم بمخلوته لما فيها من الحث على التفكير فى خالقها وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (٥) .

(د) وسائل الإعلام :

وسائل الإعلام بكافة أنواعها وسيلة عظيمة من وسائل التبليغ ، إذا أحسن

---

(١) الذاريات : ٢٢ ـ ٢٣

(٢) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ١٣٣

(٣) الذاريات : ٢٣

(٤) مريم : ٦٨

(٥) الشمس : ١ ـ ٨

استغلالها ، فالصحف اليومية ، والمجلات الأسبوعية أو الشهرية والنشرات الدورية ، والإذاعة والتليفزيون كل هذه وسائل هامة ومفيدة فى نشر الدعوة وتبليغها للناس ، لأننا نلاحظ أن كل ما يبث عن طريقها يتقبله الناس ويفهمونه ، فهناك القصة ، ولها أثرها الواضح فى نفس السامع والقارىء ، وهناك التمثيليات الهادفة التى تبعث فى النفس الطموح ، وتثير فيها حب الجهاد فى سبيل الله ، وتدعو إلى الفضائل والأخلاق الحميدة ، وفى تاريخنا مادة دسمة تغذى هذه الموضوعات ، وهناك الحوار المثير ، الذى يحفز النفوس إلى الاستزادة من الخير ويدفعها إلى معرفة الحق ، وهناك المقالات التى تتغلغل فى النفس البشرية وتحرك بين جوانبها عزة المؤمنين ، بفضل ما تحمله بين طياتها من خير ورشد وهداية (١) .

ومما لا شك فيه إن هذه الوسائل المذكورة إن استخدمت استخداماً حسناً فى نشر الخير ، ونشر العلم وإرساء العقيدة الإسلامية ، وتدعيم الأخلاق الفاضلة ، وربط الجيل المسلم بأمجاده الاسلامية وتاريخه العظيم ، وتوجيه الأمة إلى مايصلحها فى أمور الدين والدنيا ، وتربية الأبناء تربية إسلامية كانت وسيلة فعالة وهامة فى نشر الدعوة إلى الله تعالى ، حيث أن هذه الوسائل لها سلاح ذو حدين تستعمل للخير ، وتستعمل للشر وما دامت هذه الوسائل لها خطرها فى التبليغ فمن الواجب على الأمة الإسلامية أن توجهها الوجهة الصحيحة ، وجهة يكون أساسها البناء لاالهدم ، العمار لاالخراب ، الحث على الفضيلة والنهى عن الرذيلة ، التمسك بالمثل والأخلاق الفاضلة والآداب والتقاليد التى نعتز بها ورفض كل ماهو مستورد وغريب عنا ، ومن هنا يتحتم على الأمة الاسلامية أن تدرب وتمرن رجالا عندهم

(١) انظر أسلوب الدعوة وآداب الدعاة د / محمد السيد الوكيل ص ٢١ ، ٢٢ بتصرف

الكفاءة والموهبة لاستعمال هذه الوسائل ،كي يستغلوها ضد أعداء الإسلام ، الذين يطعنون فيه ويشككون فى عقيدته وشريعته ويرمونه بالوهن والضعف وأنه لا يصلح أن يساير هذا العصر وعلى الذين يقومون بهذا الدور أن يدرسوا ميول الناس واستعداداتهم ورغباتهم وأن يعرفوا الأساليب التى تؤثر فى النفوس وتجذب الناس إلى ما يدعونهم إليه ، وبهذا نستطيع أن نتحكم فى قلوب الناس وعقولهم فنملأها بالحق بدل الباطل ، ونغذيها بالفضائل بدل الرذائل ، فيتوجهون إلى الخير والصلاح ويبتعدون عن الشر والفساد .

(ط) - القصص الدينى :

يعتبر القصص الدينى بما يحمل من توجيه وتعليم وتربية ووعظ وارشاد للناس وسيلة هامة من وسائل تبليغ الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ دينه إلى الناس كافة ، يقول الأستاذ محمد قطب : والإسلام يدرك مااللقصة من تأثير ساحر على القلوب فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم [(١)] والقصص الدينى بأسلوبه الساحر له دوره العظيم فى الدعوة إلى الله من خلال القرآن الكريم فعرف المسلم بأمور دينه وغرس فيه الأخلاق الفاضلة ، ورغبه فى حسن الخلق وحسن السلوك محافظة على القيم وتمسكاً بالمبادىء التى يرغب فيها الإسلام لتكوين المجتمع المسلم فى ظل أوامر الله والبعد عن نواهيه .

ولهذا أمتاز القصص الدينى بسمو غاياته ، وشرف مقصده ، وعلو مراميه حيث اشتمل على فصول فى الأخلاق مما يهذب النفوس ، ويجمل الطباع ، وينشر الحكمة والأداب ، وطرق فى التربية والتهذيب شتى ، تساق أحياناً مساق الحوار ، وطوراً مسلك الحكمة والإعتبار ، وتارة مذهب

---

(١) منهج التربية فى الأسلام صـ ٢٣٧ ، ٢٣٨

التخويف والإنذار كما حوى كثيراً من تاريخ الرسل مع أقوامهم ، والشعوب وحكامهم ، وشرح أخبار قوم هدوا ، فمكن الله لهم فى الأرض . وأقوام ضلوا ، فساءت حالهم ، وخربت ديارهم ، ووقع عليهم العذاب والنكال ، يضرب بسيرهم المثل ، ويدعو الناس إلى العظة والتدبر ، كل هذا قصه الله فى قول بين ، أسلوب حكيم ، لفظ رائع ، وافتنان عجيب ، ليدل الناس على الخلق الكريم ويدعوهم إلى الإيمان الصحيح ، ويرشدهم إلى العلم النافع ، بأحسن بيان ، وأقوم سبيل (١) .

ولنأخذ مثلاً من قصة مريم عليها السلام وحملها بالمسيح كما حكاه القرآن الكريم حيث قال تعالى :﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾إلى قوله تعالى :﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (٢)

والغرض الذى سيقت له القصة هو بيان الحق فى شأن عيسى عليه السلام وولادته من غير أب ، ونفى ما نسجه النصارى حوله من دعاوى زائفة ، رتبوا عليها إدعاد الألوهية لعيسى أوأنه ابن الإله إلى أخر ماقالوه من تحريف وتزييف وأباطيل ليس لها أساس من الصحة .

وقد أختار القرآن الكريم فى هذا المقام من المشاهد ما يفى بهذا الغرض، معقباً عليه بتقرير الهدف من القصة فى قوله تعالى :﴿ ذَلِكَ عِيسَى

---

(١) قصص القرآن للأستاذ محمد أحمد جاد المولى ورفاقه من القدمة
(٢) سورة مريم :١٦- ٣٤

ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (٣) .

والقرآن الكريم فى قصصه يسوق توجيهاته وقد تهيأت لها القلوب ، وأصبحت النفوس كأنها أوعية مفتوحة يصب فيها مايريد ، فتتقبله راضية مطمئنة ، فتصيب توجيهاته موطن الداء وهذه الأشياء جعلت من القصص الدينى خير وسيلة لإبلاغ الدعوة والإقتناع بها لقدرته على التأثير والإفادة والتعببر عن كل أهدافه .

٤- الجهاد فى سبيل الله تعالى :

يعتبر الجهاد فى سبيل الله تعالى وسيلة من وسائل التبليغ إلى الله ونشر الدعوة وإزالة الحواجز المادية التى تقف أمام الدعوة الإسلامية ، فقد شرع الله عز وجل الجهاد من أجل إعلاء كلمته وحماية الدعوة والدفاع عنها ضد كل من يقف فى طريقها ، حتى تصل إلى الناس ويدخلوا فى دين الله عن طواعية واختيار ويقتضينا المقام أن نلقى نظرة على مفهوم الجهاد ومكانته فى الإسلام ، ثم حكم الإسلام فيه ، وأسباب مشروعية القتال فى الإسلام وأثره فى أمن الأمة وسلامتها ثم بيان مايلحق الأمة من أضرار عندما تترك الجهاد .

مفهوم الجهاد فى الإسلام :

الجهاد مصدر جاهد يجاهد مجاهد وجهاداً كقاتل ، وهو لغة : المشقة وبذل مافى الوسع ، وجاهدت العدو إذا قاتلته فهى صيغة مشاركة من الجهد وهو الطاقة والمشقة أى ببذل كل واحد جهده وطاقته فى دفع صاحبه .

---

(١) مريم : ٣٤

والجهاد شرعا : -استفراغ الوسع أى الطاقه فى مدافعة الأعداء وقتالهم ، وهى كلمة إسلامية تستعمل بمعنى الحرب عند بقية الأمم [(١)] .

والجهاد فى الإسلام ليس مقصوراً على القتال فقط ، وإن كانت هذه صورة من صوره العديدة ، بل يعتبر من أعلاها منزلة عند الله تعالى قال عزوجل :﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[(٢)]

ولكن الجهاد فى الإسلام مفهومه أوسع من ذلك ، لأنه يشمل فوق ماتقدم حماية الدعوة ونشرها وتبليغها للناس كماأمر الله تعالى ، كما يشمل أيضاً الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فكل إنسان يجد فى نفسه القدرة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو يجاهد فى سبيل الله .

ولن يوجد نظام قديم أو حديث دينى أو مدنى عنى بشأن الجهاد واستنفار الأمة وحشدها كلها صفاً واحداً للدفاع بكل ماأوتيت من قوة عن الحق كما يوجد ذلك فى الإسلام قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [(١)] .

منزلة الجهاد فى الإسلام :

الجهاد فريضة محكمة ، وشريعة ماضية إلى يوم القيامة ، وقدثبتت فريضته بالقرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة والإجماع .

---

(١)مختار الصحاح للرازى ص ١٠١ ، المصباح المنير ص ١٣٢ ، المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ـ فصل الجهاد وطريق النصر للأستاذ عبد الله غوشة ص ١٨٥

(٢) التوبة : ٢٠ ـ ٢٢

(٣) الأنفال : ٦٠

أما القرآن الكريم فنقرأ قول الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(١)] .

أما السنة النبوية المشرفة فقوله ﷺ : «الجهاد ماض إلى يوم القيامة »

أى فرضا باقيا لاعلاء كلمه الله تعالى واعزاز دينه ونشر دعوته والدفاع عنها .

أما الإجماع : فقد أجمعت الأمة الإسلامية على فرضية الجهاد ، إلا أنه أحيانا يكون فرض كفاية ، وأحيانا يكون فرض عين .

حكم الجهاد فى سبيل الله :

الأصل فى الجهاد أنه فرض على الكفاية ، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين [(٢)] .

وفى العصر الحاضر أصبح القتال فناً ودراسة ، ويحتاج لياقة ومهارة وتمريناً، من خلال مدارس ومعاهد وكليات وأكاديميات فتحت لهذا الغرض والجندى فى ميدان القتال كما يحتاج إلى الفن والدراسة واللياقة والمهارة والتمرين ، فانه يحتاج أيضا إلى جبهة متكاملة تقوم بواجبها خير قيام من خلفه ، فالزراعة لابد لها من زارعين ، وكذلك الصناعة لا بد لها من عمال وصانعين ، والتعليم لابد له من أساتذة ومدرسين ، وهناك جوانب أخرى كالبناء والتعمير وكل هذه أدوات لازمه لرقى الامة وتقدمها وإمداد

---

(١) البقرة : ٢١٦

(٢) فتح القدير للشوكاني جـ ٤ ص ٢٨١

المجاهدين بما يحتاجون إليه ، ومن هنا فلا يمكن أن يكون الجهاد فرض ، عين لأن الناس لو خرجوا كلهم إلى الجهاد ، فلن يكون هناك زراع يزروعون الأرض ، ولا صناع يمدون الجيش بما يحتاج إليه من أسلحة وذخائر ، وبذلك تفقد الأمة قوة الإنتاج ، ولا تجد من يقدم للجنود حاجاتهم .

متى يكون فرض عين ؟

يصير الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة إذا هاجم العدو أرض الإسلام ، فعلى كل قادر حينئذ أن يقوم بالدور الذى يسند إليه .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : يكون الجهاد فرض عين إذا دخل العدو أرض الإسلام ، فالأكثرون من العلماء على أن الجهاد فى هذه الحال يكون فرض عين على المسلمين ، ولا يثبطن المؤمنين بعد الديار عن الإقليم الذى نزل فيه العدو ، فإن الواجب على القاصى والدانى أن يحمل السيف مادام يقدر على حمله ،لايتخلف تاجر ولازارع ، لأن دخول العدو يؤدى إلى الخراب العاجل ، ولا يصح لمؤمن أن يترك الديار الإسلامية تحترق ، وهو مشغول بزراعة وتجارة ، لافرق بين قريب وبعيد [١] .

وبناء علي ماتقدم فإن الله تعالى أو جب على الأمة الإسلامية أن تعد العدة لرد أى عدوان يقع عليها من جانب الأعداء ، لتكون شديدة الشوكة قوية البأس مرهوبة الجانب ، فقال تعالى :﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [٢] .

وقال عزوجل :﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [٣] .

---

(١) المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية فصل الجهاد للشيخ / محمد أبن زهرة صـ ٧٤،٧٥ بتصرف

(٢) الأنفال : ٦٠ .

(٣) الصف : ٤

وفى هذا المعنى يقول الرسول ﷺ :« لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها »[1] .

ويقول صلوات الله عليه :«من جهز غازياً فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً فى سبيل الله بخير فقد غزا »[2].

مما سبق يتبين لنا حكم الجهاد فى سبيل الله وعظم أجره عند الله تعالى ؛إذا داهم العدو أرض الإسلام فالأمة الإسلامية كلها مطالبة برد هذا العدوان والوقوف أمامه بكل ماأوتيت من قوة لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر الدعوة الإسلامية وقد أجزل الله ثواب المجاهدين الذين يبذلون أرواحهم فى سبيل الله فقال عزوجل :﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [3].

أسباب مشروعية الجهاد فى الإسلام :

إن الباحث فى تاريخ الإسلام يجد أن للجهاد فى سبيل الله تعالى دوافع كثيرة من أهمها :

١-الدفاع عن العقيدة والنفس والأهل والمال والوطن يقول الله عزوجل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ

(١) صحيح الإمام مسلم جـ ٢ ص ١٤٨
(٢)صحيح الإمام مسلم جـ ٢ص ١٥٢
(٣) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠

الْمُعْتَدِينَ ﴾[١] .

ويقول عز من قائل : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[٢] .

ويقول : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ .[٣]

وروى أبو داود والترمذى عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول :« من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهوشهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد »[٤] .

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال ، يارسول الله : أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى قال : « فلا تعطه مالك » قال : أرأيت إن قاتلنى ؟ قال : « قاتله » قال : أرأيت إن قتلنى ؟ قال :« فأنت شهيد »قال: أرأيت إن قتلته؟ قال :« هو فى النار »[٥]

٢ - إزاحة طواغيت الكفر والظلم من طريق الدعوة وحمايتها حتى تبلغ إلى الناس جميعاً ويتحدد موقفهم منها تحديداً واضحاً ، وحتى يستطيع الفرد العادى أن ينظر فيها وأن يعقد ما يشاء مجرداً من الخوف والإرهاب قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٦] فلابدأن تزول من طريق الدعوة كل عقبة تمنع من إبلاغها للناس ولابد أن يعرف موقف كل فرد وكل

---

(١) البقرة ١٩٠.
(٢) للبقرة ١٩٤
(٣) الحج ٣٩، ٤٠.
(٤) رياض الصالحين ٤٩٣
(٥) رياض الصالحين ٤٩٣
(٦) سبأ ٢٨

أمة بعد هذا البلاغ سواء كانوا من أهل الذمة أو المعاهدين أو الأعداء المحاربين ومن تخشى خيانتهم ، فإما العدول عن موقفهم تجاه الدعوة وإما الحرب حتى لايكونوا عقبة فى طريق الدعوة ومصدر تهديد وخيانة لأهلها قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (١) وروى الإمامان البخارى ومسلم عن عمر رضى الله عنهما قال :قال رسول الله ﷺ :« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموالصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» (٢) .

٣- تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين الذين يحاول الكفار فتنتهم عن دينهم ، قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) وقال عزوجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (٤) .

٤- الأخذ على يد العابثين ، الذين يشوهون حقائق الإسلام ، وينفرون الناس منه ، وتأديب ناكثى العهد من المعاهدين أو الفئة الباغية على جماعة المؤمنين ، التى تتمرد على أمر الله تعالى وتأبى حكم الإسلام قال تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ (٥) .

٥- حماية الضعفاء من العجزة والنساء والأطفال ودفع الظلم عنهم ،

---

(١) الأنفال ٥٨

(٢) أبو داود جـ ٢ صـ٤١، ٤٢

(٣)البقرة ١٩٣

(٤) البقرة ٢١٧

(٥)التوبة : ١٢

قال تعالى :﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (١) .

٦- إقامة المجتمع الإسلامى الصحيح ، الذى ينشد السلام ويبغض الحرب والقتال لما فيهما من دمار وتشريد للبشرية وتخريب وإبادة كما يحدث فى عهدنا الحاضر من الحروب التى دمرت كل شىء حتى أكلت الأخضر واليابس .

أثر الجهادفى أمن الأمة وسلامتها :

يعتبر الجهاد من الاسلام ذروة سنامه وقبته التى تحوطه وترعاه ، لأن الأمم تحيا وتسعد وتسود وتعتز مادام الجهاد قائماً فيها ، وإذا ضعف الجهاد فى الأمة أصابها الوهن والمذلة وطمع فيها الأعداء وماترك قوم الجهاد إلاخذلهم اللّه وسلط عليهم من يسومهم الخسف والهوان .

والواقع أن الجهاد ضرورى لبقاء المسلمين أمة مرهوبة الجانب بعيدة عن أطماع الطامعين والحاقدين من الكافرين والمنافقين ، كما أن الجهاد بنفسه دليل قاطع على إيمان المسلم ومبادرته إلي ما يحبه اللّه تعالى وإيثاره مرضاته وما عنده (٢) . قال تعالى :-﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٤)

ما يلحق الأمة من أضرار عندما نترك الجهاد :

حث القرآن الكريم على الجهاد فى كثير من آياته ، وبين فضله وثوابة وحذر من القعود والتخلف عن الجهاد ، وتوعد من ترك الجهاد بغير عذر

---

(١) النساء : ٧٥

(٢) أصول الدعوة د/ عبد الكريم زيدان صـ ٢٦٣

(٣) البقرة : ١٩١

(٤) الأنفال : ٣٩

بالعذاب الأليم قال تعالى : ﴿ إلاَّ تَنفرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أليمًا ويَسْتَبْدلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ولا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] ومن هنا فإن التخلف عن الجهاد مع القدرة عليه يعتبر خروج على المبدأ الإسلامى ، حيث أن الله أمر بالجهاد وحذر من التخلف ، وقدوصف الله المتخلفين عن الجهاد بأنهم لا إيمان لهم حيث قال : ﴿ لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾[2] وما ترك قوم الجهاد فى سبيل الله إلا سلط الله عليهم ذلا لاينزعه حتى يعودوا إلى أمر الله .

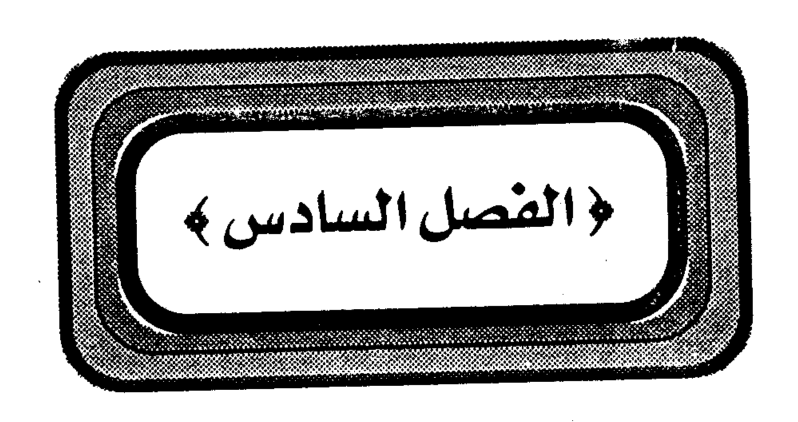
وقد ورد فى السنة الشريفة تحذير شديد على ترك الجهاد والتخلف عن المجاهدين فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق »[3] .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « ماترك قوم الجهاد إلاعمهم الله بالعذاب »[4] رواه الطبرانى .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول ﷺ. « إذا تبايعتم بالعينه (بكسر العين . نوع من المعاملات الربوية) وأخذتم أذناب البقر (أى شغلتم بماشيتكم وارتبطتم بأموالكم) ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لاينزع حتى ترجعوا إلى دينكم »[5]

فالمقصود من الجهاد الاسلامى هو إعلاء كلمة الله تعالى حتى تكون هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وحماية للدعوة الاسلامية وتبليغها للناس عامة .

(١) التوبة٣٩
(٢)التوبة ٤٤،٤٥
(٣) صحيح مسلم جـ٢ : ١٦٨
(٤) الترغيب جـ٢ : ٤٥٤
(٥) الترغيب جـ٢ : ٤٥٢



نماذج للدعاة إلى الله

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : مصعب بن عمير رضي الله عنه

المبحث الثاني : سعد بن معاذ رضي الله عنه

المبحث الثالث : معاذ بن جبل رضي الله عنه

الفصل السادس

نماذج للدعاة إلى الله تعالى

إن التاريخ الإسلامى زاخر بصور البطولة ، حافل بالسيرة العطرة ، ملىء بمن سطروا صحائف العزة والكرامة ، والفخار والمجد ، غزير بمن ملأوا سمع الدنيا بأعمالهم المجيدة ، وشغلوا الناس بأخلاقهم الطاهرة ،وحياتهم المملوءة كفاحاً وجهاداً ونضالاً ، وبسلوكهم الإسلامى الرفيع الذى اكتسبوه من مثلهم الأعلى وقدرتهم العظمى ، رسول الله ﷺ ، المثل الأعلى فى البطولة . بطولة الجهاد والفكر والخلق ، وصدق الله تعالى حيث قال :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١)

وسأختار بعضا من الشخصيات التى كان لها دور فعال فى إعلاء كلمة الله تعالى ، وضربوا بسهم وافر فى إعزاز دينه ، وكانت حياتهم جهاداً فى جهاد ، حتى أستشهدوا فى سبيل الدعوة التى أعتنقوها ، والمبدأ الذى تمسكوا به ، وتركوا لنا ذكرى بطولات نادرة وشجاعة باهرة

---

(١)الأحزاب : ٢١

المبحث الأول

مصعب بن عمير رضى الله عنه

يعتبرمضعب بن عمير رضى الله عنه من الدعاة المخلصين ، الذين أفنوا حياتهم فى سبيل الدعوةإلى الله تعالى بصدق وإخلاص وعزيمة :

نسبه ونشأته:

الصحابى الجليل مصعب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف بن عبد الدار ابن قصى ويكنى أبا محمد ، وأمه خناس بنت مالك [1] ، فهو قرشى الأصل من أسرة لها مكانتها فى الجاهلية فأبوه عمير بن عبد مناف ، كان فى الذروة من قومة جاهاً ومالاً ، وشرفاً وخلقاً ، وأمه خناس كانت ، كثيرة المال ، تتمتع بشخصية قوية ، وكانت مرهوبة الجانب ، رعت أولادها أحسن الرعاية ،وكستهم أجمل الثياب وأرقها ، وكان والداه يدللانه ، وينفقان عليه من المال والبذل والعناية ماجعله فى عداد أمراء النعمة والرفاهية ، وكانا يحبانه حباً جماً فله عندهما المكانة الممتازة والمنزلة الرفيعة .

ففى ظل حياة الترف والنعيم والعطر والدلال عاش حياته الأولى لأبوين شريفين يحيطانه بكل أسباب النعيم ، المال والجاه فكان له فيها ما أراد لذلك كان لايرى إلا متعطرا متجملا ، ضاحكا مقبلا على الحياة ، فشب فى النعمة وغذى بها ، وتقلب فى الترف وكانت أمه تحبه أعظم الحب ، وتخاف عليه أشد الخوف ، إذا غاب سألت عنه . وإذا حضر تلهفت عليه فكانت حريصة عليه أشد الحرص .

---

(١) طبقات ابن سعد جـ٣ صـ٨١ ، الإصابه جـ١ صـ ١٠١ ، أسد الغابة جـ ٤ صـ ٣٦٨ وصفة الصفوة جـ ١ صـ ١٥٢

يقول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه :« كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة ، وأجود حالة مع أبوية » [1] .

وقد اشتهر رضى الله عنه بأنه من أحسن فتيان مكة شباباً وجمالاً وعطراً .

يروى ابن سعد فى لباقته : كان مصعب بن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً وسبيباً ... وكان أعطر أهل مكة ، يلبس الحضرمى من النعال ، فكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول : « مارأيت بمكة أحداً أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من معصب بن عمير » [2] .

وكان أهل مكة إذا رأوه أشاروا إليه وقالوا : ذلك معصب بن عمير ، ليس مثله أحد فى الترف والنعمة ، يستدلون عليه بما يفوح بين يديه من رائحة طيبة ذكية

لقد كان أعطر أهل مكة وأجملهم يفيض تيهاودلالا وشبابا ، يمر بين أحياء مكة فترمقه عيون حسانها ، ويسترعى منظره ساكنيها .

إسلام مصعب رضى الله عنه :

كان الشباب فى مكة مولعين بحياة الصيد والقنص ، والحياة المرحة اللاهية وكان الشيوخ يألفون مجالس المال والأعمال ، أما مصعب بن عمير فكانت غايته الحياة الهادئه القائمة على حسن العشرة وصفو الحديث .

وتمر الأيام وتنقضى الليالى سراعاً فيها هى عليه من مفاتن على مصعب ابن عمير ، فلايرى فيها ألماً ، ولايجد مشقة ، ولا يصادف نصباً ،

---

(١) الإصابة فى تميز الصاحبة جـ ٣ صـ ٣٢١

(٢)الطبقات جـ٣ صـ ٨٢

حتى كان ذات يوم متوجهاً إلى المسجد ، فقابلته طائفتان من رفاقة ، من شباب مكة ، فدعته الطائفة الأولى إلى مشاركتها فى الصيد والقنص ، فأبى وامتنع لأنه كان ينفر من سفك دماء الحيوان ويكرهه ، فلقد كان مرهف الإحساس ، ودعته الطائفة الثانية إلى اللهو والمرح والشباب ، فى حانة رومى بمكة يبيع نبيذ الشام ، فرفض لأنه لا يرضى لنفسه أن يفقد عقله بين الكئوس والأقداح ، وبالتالى تضيع منه كرامته وحلمه وأكمل مصعب طريقه سائراً تجاه المسجد .

وعندما اقترب من المسجد سمع حواراً يدور بين شيوخ قريش وزعمائهايختصمون فى شأن الرسول ﷺ ، الذى جاء بأمر جديد يخالف ماهم عليه ، وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم ، وكلهم مبغض له وغاضب عليه ، فهو يثير الضعفاء على الأقوياء ويؤلب الفقراء على الأغنياء ، ويغير ما ألفوه من دين وعقيدة ، ويجمع حوله أنواعاً من الناس ،بعضهم عبيد بؤساء والآخرون أحرار مستضعفون ، فلابد من أن يصلوا إلى رأى فيه يوقفونه به عند حد ، حتى لا تحدث فى مكة ثورة تقلب الأوضاع التى نشأوا عليها ، وتوارثوها أباً عن جد .

وبعد ما سمع مصعب بن عمير حديث قريش عن الرسول ﷺ توجه إلى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وعندما وصل لم يطل به التردد والانتظار ، بل دق الباب ، فلما فتح له دخل وسلم ثم اتخذ مجلسه بين الجالسين .

وكان أمراً غريباً على المسلمين أن يقدم عليهم مصعب بن عمير ، فهو لم يسلم بعد ، والدعوة مازالت سراً ، ولكن هذه الغرابة زالت بعد أن رأوا فى هذا القادم إنصاتاً وتمعناً ، واستفساراً عما يجيش بصدره من خواطر ، وخيراً وجدوه يعلن إسلامه ، ويرجو أن يبقى هذا الأمر سراً حفاظاً على

والديه الذين كانا يعدانه ليصبح علماً من أعلام دار الندوة ، وحاكماً من حكماء مكة .

وظل مصعب بن عمير يتردد على رسول الله ﷺ ، فى دار الأرقم ابن أبى الأرقم سراً خوفاً من أمه وقومه ، ولكن عثمان بن طلحة العبدرى رآه يصلى كما يفعل الرسول ﷺ ، فأخبر أمه بذلك وذكر لها أن إبنها قد صبأ واتبع دين محمد [١] .

لقد التحق مصعب بمدرسة الإسلام الأولى فى دار الأرقم بن أبى الأرقم تلميذاً عند محمد بن عبد الله ﷺ ، لقد دخلها فتى قريش المعطر ليعرف حقيقة الدعوة التى تبين لمريديها أن هناك نعيما دائما يعلو على كل نعيم دنيوى أعده الله للمؤمنين به .

وعندما علمت أمه بالخبر من عثمان بن طلحة طار صوابها ، واسودت الدنيا أمام عينها ، ولكنها انتظرت حتى جاء مصعب وسألته عن حقيقة هذا الخبر ، فقال لها نعم إن ما سمعتيه هو الحقيقة ، وأن دين محمد هو الدين الحق ، وعليك أن تتبعيه لأنه الدين الصحيح ، الذى فيه النجاة من عذاب يوم القيامة .

وهنا يشترك الوالد مع الأم فى إقناع مصعب بالعدول عن الإسلام والدخول فى دين آبائه وأجداده وهدداه بالحبس وحرمانه من المال والترف والنعيم ، ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع لصلابته وقوة إيمانه الذى لا يتزعزع ، فما كان من الوالدين إلا أن أمرا بحبس مصعب وشددا عليه الحراسة عساه ينسى محمداً ودينه ،ولكن الفتى يصمد أمام هذا التهديد ولا يرضى بالإسلام بديلا ،فتشتد القسوة عليه ويزيد الاضطهاد ،

---

(١) الطبقات لإبن سعد جـ ٣ صـ٨٢

وهنا يستجيب لنداء الرسول ﷺ بالهجرة إلى أرض الحبشة حفاظا على النواة الإسلامية المؤمنة .

ثم ما لبث أن عاد من أرض الحبشة إلى مكة مع من رجع من المسلمين رجع رقيق الحال ، تبدو عليه أمارات الفقر وأقبل ذات يوم على الرسول الكريم ﷺ وهو جالس مع أصحابة فلما رآه الصحابة نكسوا رؤوسهم فأحسن الرسول ﷺ استقباله قائلا له : «الحمد لله مقلب الدنيا بأهلها لقد رأيت مصعباً وما بمكة فتى من قريش أنعم عند أبويه نعيما منه ،ثم أخرجه من ذلك الرغبة فى الخير وفى حب الله ورسوله [١] .

هكذا بدأ مصعب بن عمير رضى الله عنه صحيفة إيمانه ، فما أن دخل فى دين الله تعالى حتى حرم من مال أسرته الثرية وجاهها ، وفضل أن يذوق مرارة العيش مع إخوانه الجدد من الفقراء المسلمين . على حياة الترف والنعيم والمال الوفير ، التى كان يعيش فيها قبل إسلامه .

أول سفير فى الإسلام :

فى بيعة العقبة الأولى بايع الرسول ﷺ اثنى عشر رجلا من أهل المدينة على الاسلام ، منهم عشرة من الخزرج ، واثنان من الأوس ، وبعد رجوعهم إلى المدينة وجدوا أنفسهم غير قادرين على أن يقوموا بنشر الدعوة الإسلامية على الوجه الأكمل ، فأرسلوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام يطلبون منه أن يرسل إليهم من يقرئهم القرآن الكريم ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم فى الدين فاختار الرسول ﷺ لهذه المهمة الخطيرة مصعب بن عمير رضى الله عنه فكان يسمى المقرىء بالمدينة .مصعب :وكان منزله على أسعد بن زرارة [٢].

---

(١) الطبقات لإبن سعد جـ ٣ صـ٨٢

(٢) طبقات ابن سعد جـ ٣ صـ ٨٣ ، سيرة ابن هشام جـ ١ صـ ٤٣٤

وكانت مهمة مصعب بن عمير رضى الله عنه دقيقة للغاية ، فلو فشل فى هذه المهمة لما كان هناك هجرة إلى المدينة على الإطلاق .

ومما زاد فى خطورة ودقة مهمة مصعب بن عمير رضى الله عنه ما كان بين الأوس والخزرج من حروب وثارات ، وكثرة اليهود فى المدينة الذين كانت غايتهم عدم اجتماع كلمة الأوس والخزرج ، وعدم تسرب الإسلام إلى هذه الناحية حتى لايفقدوا نفوذهم فيها .

وعندما قدم مصعب بن عمير رضى الله عنه المدينة نزل على أسعد بن زراره وكان يأتى الأنصار فى دورهم وقبائلهم فيدعوهم إلى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن فيسلم الرجل والرجلان حتى ظهر الإسلام وفشا فى دور الأنصار كلها ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون (١) .

واستمر مصعب رضى الله عنه فى دعوته مفقهاً داعياً مرشداً ، حتى انتهى العام ، وخرج نفر من حاج الأوس والخزرج متجهين صوب مكة كى يبايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية فرافقهم مصعب فى رحلتهم .

يروى ابن سعد فى طبقاته : فقدم - أى مصعب رضى الله عنه - فجاء منزل رسول الله ﷺ أولا ، ولم يقرب منزله ، فجعل يخبر الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار وسرعتهم إلى الإسلام ،فسر رسول الله ﷺ بكل ماأخبره ، وبلغ أمه أنه قدم فأرسلت اليه : ياعاق أتقدم بلداً أنا فيه لاتبدأ بى ؟ فقال : ماكنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله ﷺ..

---

(١) قصص القرآن للأستاذ محمد أحمد جاد المولى ورفاقه من القدمة

فلما سلّم على رسول الله عليه الصلاة والسلام ،وأخبره بما أخبر .ذهب إلى أمه فقالت : إنك لعلى ماأنت عليه من الصبأة بعد ؟ قال أنا على دين رسول الله ﷺ وهو الإسلام الذى رضى الله لنفسه ولرسوله ، قالت ماشكرت مارثيتك مرة بأرض الحبشة ، ومرة بيثرب ، فقال : أفر بديى أن تفتنونى . ثم ناقشته فى أمره ، وناقشها فى أمر إسلامها ، فثبت كل منهما على عقيدته بعد أن اشتد بينهما الحوار [١] .

ولم تدم إقامة أمير الدعاة ،والمهاجر الدائم فى مكة طويلا فلم يلبث أن هاجر إلى المدينة ليكون فى صحبة الرسول ﷺ مجاهداً النفس والهوى فى سبيل المبدأ والعقيدة ، ويمهد الطريق للقائد العظيم ﷺ الذى لم يكن أحد يعلم أنه سيأتى بعد حين ، وكأن مصعباً بعمله هذا يفتتح الدعوة إلى الإسلام فى غير أوطان الإسلام ويعلم الدعاة فى كل عصر كيف تكون الجرأة والمغامرة والثقة بالنفس والتوكل على الله .

صفات مصعب بن عمير كداعية :

من العرض السابق نستطيع أن نستخلص الصفات التى تميز بها مصعب ابن عمير رضى الله عنه ، والتى جعلته أهلا للقيام بالدعوة إلى الله تعالى خارج مكة ، وكان موضع ثقة من رسول الله ﷺ .

١ – [illegible]

كل هذه صفات تدل على صدق إيمانه وإخلاصه لدعوته .

روى الترمذى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى مصعب بن عمير فبكى للذى كان فيه من النعمة ولما صار إليه[1]

وقد بينت قبل ذلك بقليل ان مصعب بن عمير كان فتى مكة شباباً وجمالا وتيها ، وكان أبواه يحبانه ، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمى من النعال ، وكان رسول الله ﷺ يقول : « مارأيت بمكة أحسن لمة ، ولا أرق حلة ولاأنعم نعمة من مصعب بن عمير » [2] .

إلا أن مصعب بن عمير رضى الله عنه ترك كل هذا النعيم والترف والجاه والسلطان اقتناعاً بحلاوة الإيمان ، التى ملكت كل كيانه ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن مصعباً كان وحيد أبويه ، وأن أمه عميت من شدة بكائها على مفارقة ابنها لدين قومه ، وإذا أضفنا ذلك إلى غنى والده وجاهه ، لعلمنا القدر الوافى الذى امتلأ به قلب مصعب حباً لله ولرسوله وكل هذا يفسر لنا السبب فى اختيار مصعب بن عمير رضى الله عنه للمواقف الصعبة ، فهو أول من أرسله رسول ﷺ إلى المدينة كداعية إلى دين الله عز وجل ، وهو دور مهم حيث أنه كان نائبا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وهناك صفات أخرى تميز بها مصعب بن عمير وجعلته أهلا للقيام بهذه المهمة الخطيرة :

- أن مصعب بن عمير كان متفرغاً من الشواغل ، غير مرتبط بأحد ،

---

(١)الإصابة فى تمييز الصحابة جـ ٣ صـ ٢٤١

(٢)أسد الغابة جـ ٣ صـ ٣٧٠

فساعده ذلك على ملازمة الرسول ﷺ وبذلك أخذ عنه الكثير من تعاليم الإسلام ، وحفظ عنه الكثير من القرآن ، فلما بعث مسلموا يثرب إلى النبى ﷺ : أن أبعث إلينا رجلا يفقهنا فى الدين ويعلمنا القرآن [1]، كان مصعب بن عمير أهلا للقيام بهذه المهمة، فأرسله النبى ﷺ إليهم .

والعلم هو سلاح الداعية الأول ، به يبلغ الدعوة ، ويدفع الشبه عنها ويزيل العوائق التى تقف فى طريقها .

-أن مصعب بن عمير كان عاملا بما يعلم ، لأن العلم وحده لا يكفى ، فالداعية إلى الله إن لم يكن نموذجاً لما يدعو إليه وقدوة طيبة فيه ، لايستجاب لدعوته ، ويعرض المدعوون عنه ، ولذلك عاب الله على من يقول ما لا يفعل بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [2] .

ومصعب بن عمير نموذجاً للداعية الحق ، فقد كان حافظاً للكثير من القرآن ، فقيهاً فى الدين ، وكان عاملاً بما يعلم ، مطبقاً لتعاليم الإسلام ومبادئه ملتزماً بأوامر القرآن ونواهيه ، وكان يدعو إلى الله عز وجل بعلمه وعمله فكانت أعماله صورة حية لما يدعو إليه ، لذلك أثمرت دعوته ، وأفادت وفادته ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً .

-أن مصعب بن عمير كان متصفاً بالإخلاص معروفاً به ، فأخلص لدينه حين أسلم ، وأخلص فى عبادته حين صلى وقرأ القرآن ، وأخلص فى هجرته حين ذهب إلى أرض الحبشة ، وأخلص فى صداقته للناس وإخوته للمسلمين ، وأخلص للنبى ﷺ فى أخذه منه وملازمته له ، وتفانيه فى تنفيذ أوامره .

والدعوة إلى الله تعالى لابد لنجاحها من وجود الاخلاص عند الدعاة بل الدعوة عموماً روحها الإخلاص .

---

(١) الطبقات جـ ٣ صـ ٨٣

(٢) الصف:٢،٣

يقول الشيخ محمد الغزالى :الإخلاص روح الدين ، ولباب العبادة وأساس أى داع إلى الله ...

والإخلاص فريضة على كل عابد ، فإذا اتصل الأمر بالدعوة فهو فريضة أوكد ، وعقيدة أوثق (١) ، ولقد كان مصعب مخلصاً فى كل شيء فصح اختياره ليكون داعى أهل المدينة ، فلم يطلب من الرسول الله ﷺ عليها جزاء ، ولا من أحد من أهل المدينة ، ولم يبتغ بها جاهاً أو شرفاً أو رياسة بل عاد من المدنية كما ذهب إليها متواضعاً متجرداً عن متاع الدنيا كان يقضى كل وقته فى تبليغ الدعوة إلى قبائل المدينة وعشائرها ويبذل كل ما يستطيع فى سبيل إنجاحها .

- أن مصعب بن عمير كان أمينا فى تبليغ دين الله لا يزيد ولا ينقص، ولا يقول عن الله إلا ما كان عالماً به متمكنا فيه ، ولا عن رسول الله ﷺ إلاما صح عنه وكان على دراية بروايته .

روى ابن عباس عن النبى ﷺ : من قال فى القرآن برأيه أو بما لايعلم فليتبوأ مقعده من النار » (٢) .

وروى الإمام مسلم عن المغيرة أن رسول الله ﷺ قال : إن كذباً علىّ ليس ككذب على أحد، ومن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار (٣).

والأمانة وجدت فى مصعب ، ولولا ذلك ما أختاره الرسول ﷺ : ليكون رسوله إلى أهل المدينة ، يبلغ عنه بأمره كل ما سمعه .

- إن مصعب بن عميرة كان على درجة كبيرة من الصلاح والتقوى تجعله أسوة حسنة وقدوة طيبة فى عبادة الله والخوف منه وحب المؤمنين

---

(١)مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة صـ ١٩١

(٢) تفسير ابن كثير حـ ١ صـ ٥

(٣) الترغيب والترهيب حـ ١ صـ٧٥

والتواضع لهم وكان إلى جانب ذلك زاهداً فى الدنيا ، مترفعا عن طلبها،غير طامع فى متاعها وزخرفها ، وسلك مسلكا فريداً فى الزهد ، وأصبح لا يرى إلا مرقع الثياب ، رث الهيئة ، لا يضع الطيب ، ولا يرغب فى معاشرة النساء ، بعد أن كان على أرفع حال من الرفاهية والنعيم قبل إسلامه روى أبو نعيم فى الحلية عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : نظر النبى ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه أهاب كبش قد تمنطق به ، فقال النبى ﷺ انظروا إلى هذا الرجل ، الذى قد نور الله قلبه ، لقد رأيته بين أبوين يقذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله إلى ماترون » (١) والدعوة إلى الله عز وجل تحتاج إلى أن يكون الداعية زاهدا ،فيما فى ايدى المدعوين حتى لا تكون دعوته مظنة سوء ، فيظن المدعوون انها وسيلة لنبل ما عندهم من مال ومتاع ، لذلك كان شعار الأنبياء عليهم السلام قبل رسولنا ﷺ :﴿ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ ﴾ (٢).

وكان شعار الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام : ﴿ لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (٣) .

وروى أن الرسول الله ﷺ قال لسائل سأله عن السبيل إلى محبة الله والناس ازهد فى الدنيا يحبك الله،وازهد فيما عند الناس يحبك الناس (٤).

هذه الصفات التى سبق بيانها ، تعتبر مؤهلات للداعية الناجح ، وتؤكد فى نفس الوقت أن النبى ﷺ ، اختار مصعباً ليكون أول داعية فى الإسلام خارج مكة وأول سفير فى الإسلام إلي المدينة ويهدى الله على يديه جل أهل المدينة ، وبذلك كان فاتحة خير كبير عليهم ، اكملته بعد ذلك هجرة المصطفى ﷺ إلى المدينة ، لتصبح أول عاصمة للدولة الإسلامية ، وأول مركز للمسلمين .

---

(١) حلية الأولياء جـ ١ صـ١٠٨

(٢) هود : ٥٠

(٣) الشورى : ٢٣

(٤) رياض الصالحين ٢١٨

وعلى الدعاة إلى الله تعالى فى كل عصر ، أن يأخذوا من مصعب أسوة حسنة وقدوة طيبة ، وليجعلوا منه نموذجاً صالحاً يجعلونه نصب أعينهم حتى تنجح دعوتهم ، وتؤتى ثمارها المرجوة منها ، وتحقق أغراضها فى مجتمعهم .

رحم الله مصعباً ، الذى ضرب من نفسه مثلا حياً فى البذل والتضحية والفداء ، والهجرة فى سبيل العقيدة ، والعلم والعمل به ، والإخلاص لله فى العمل ، والأمانة فى النقل والتبليغ والصبر على الأذى والمشاق فى سبيل الله ، واختيار أنسب الوسائل للدعوة إلى الله ، والزهد فى الدنيا رغبة فيما عند الله عز وجل .

منهجه فى الدعوة إلى الله تعالى :

منهج مصعب بن عمير رضى الله عنه فى الدعوة إلى الله عز وجل ، كان بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، مطبقاً قول الله سبحانه وتعالى :﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١)

وقد اتبع مصعب بن عمير هذا المنهج فى دعوته ، فنجح نجاحاً عظيما وأسلم على يديه سعد بن معاذ [illegible] بن حضير ، وبإسلامهما أسلم الكثيرون من بنى عبد الأشهل وغير [illegible]

روى ابن هشام [illegible] سيرة النبوية : أن سعد [illegible] زرارة خرج بمصعب بن عمير [illegible]

بن معاذ [illegible]

---

(١) النحل : [illegible]

فجلسا فى الحائط ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ ، وأسيد بني حضير ، يؤمئذ سيداً قومهما من بنى عبد الأشهل ، وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به - أى بمصعب - قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : لا أبالك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك ،هو ابن خالتى ، ولا أجد عليه مقدماً .

قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة ، قال لمصعب بن عمير : أسيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكلمة ، فيوقف عليهما متشما ..

فقال : ماجاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ماتكره ؟ :

قال : أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأعليه القرآن فقالا فيما يذكر عنهما : والله لعرفنافى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم فى إشراقه وتسهله ، ثم قال : ماأحسن هذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له! تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا .

قـال : أحلف بالله لقـد جـاءكم أسـيـد بغـيـر الوجـه الذى ذهب به من عندكم، فلمـا وقف على النادى قـال له سـعـد : مـافـعلت ؟ قـال : كلمت الرجلين ،فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما ، فقالا : نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بنى حارثه قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ، ليخفروك [١] .

قال : فقام سعد مغضباً مبادراً ، تخوفاً للذى ذكر له من بنى حارثة فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنبت شيئاً ، ثم خرج إليهما فلمـا رآهما سعـد مطمئنين ، عـرف سعـد أن أسيـداً إنما أراد منه أن يسـمع منهما ، فوقف عليهما متشتما ، ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة أما والله لولا مابينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى ، أتغشانا فى دارينا بما نكره وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير : أى مصعب ، جاءك والله سيد من وراءه من قومه ، إن يتبعك لايتخلف عنك منهم إثنان قال : فقال مصعب له : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهتـه عزلنا عنك ماتكره ؟ قـال سعد : أنصـفت ،ثم ركز الحربة وجلس ، فـعـرض عليـه الإسلام ، وقـرأ عليـه القـرآن ، قـالا فـعـرفنا والله فى وجـهـه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهله ، ثم قال لهمـا ، كيف تصنعـون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشـهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين ، قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشـهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربتة فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير قال : فلما رآه قومه مقبلا ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم

---

(١)الإخفار : نقض العهد والغدر .

قال يابنى عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا سيدنا وأفضلنا رأياً ، وأيمننا نقيبة ، قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله !

قالا : فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا أمرأة إلامسلماً ومسلمة ، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلاوفيها رجال ونساء مسلمون [١] .

والقصة فى حد ذاتهاتعطينا صورة واضحة عن مصعب بن عمير رضى الله عنه الداعية ، وعن أسلوبه الحسن المؤثر فى إبلاغ الدعوة إلى الناس . وبهذا المنهج الأخلاقى نجح مصعب بن عمير فى دعوته ، فلم يقابل الشدة من جانب أسيد بن حضير وسعد بن معاذ بشدة مثلها ولم يغضب منهما ، بل قابل ذلك بحكمة وهدوء ولين ورفق وهذا درس للدعاة فى كل زمان ومكان .

جهاد مصعب بن عمير رضى الله عنه :

١-حامل اللواء يوم بدر:

كانت غزوة بدر الكبرى فى شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وكان لواء رسول الله ﷺ فيهم مع مصعب بن عمير رضى الله عنه .

قال ابن اسحاق : ودفع - أى رسول الله ﷺ - اللواء إلى مصعب ابن عمير بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أبيض [٢] .

وقال ابن سعد : وعقد رسول الله ﷺ يومئذ الألوية ، وكان لواء رسول الله ﷺ يومئذ الأعظم لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ،ولواء الخزرج مع

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ صـ ٤٣-٤٥

(٢) سيرة بن هشام جـ ٢ ص ٢٥١

الحباب بن المنذر ،ولواء الأوس مع سعد بن معاذ [١] .

وقال فى موضع آخر : كان لواء رسول الله ﷺ الأعظم لواء المهاجرين يوم بدر مع مصعب بن عمير [٢] .

٣- حامل اللواء يوم أحد :

وفى شوال من السنة الثالثة للهجرة وقعت غزوة أحد ، وكان مصعب ابن عمير رضى الله عنه يحمل لواء المهاجرين ، والنبى ﷺ فى هذه الغزوة أيضاً .

قال ابن اسحاق يصف أحداث غزوة أحد : وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين ، ودفع اللواء لمصعب بن عمير أخى بنى عبد الدار [٣] .

وقال الشيخ محمد الخضرى بك : وعقد - أى الرسول ﷺ -الألوية ، فأعطى لواء المهاجرين لمصعب ابن عمير ، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر، ولواء الأوس لأسيد بن المنذر ولواء الأوس لأسيد ابن الحضير[٤].

وقال ابن سعد فى طبقاته : حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد ، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب حتى استشهد فى سبيل الله تعالى [٥].

ولما قتل رحمه الله تعالى حمل اللواء على بن أبى طالب كرم الله وجهه بأمر الرسول ﷺ .

قال أبن اسحاق : فلماقتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ، ﷺ اللواء الى على بن أبى طالب [٦].

وقداستشهد مصعب بن عمير فى غزوة أحد وعمره أربعون عاماً . ولما مات وقف النبى ﷺ وهو منجعف على وجهه وقال :﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ

---

(١)الطبقات الكبرى جـ٢ صـ ٨

(٢) الطبقات الكبرى جـ٢ صـ ٨٥

(٣)سيرة ابن هشام جـ ٣صـ٩

(٤) نور اليقين صـ٢٣٥

(٥) الطبقات الكبرى جـ ٣ صـ ٨٥

(٦)سيرة ابن هشام جـ ٣ صـ

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ (١) إن رسول اللّه يشهد عليكم ، أنتم شهداء عند اللّه يوم القيامة ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ائتوهم فزوروهم وسلموا عليهم فو الذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلاردوا عليه السلام(٢) .

قال خباب بن الأرث : هاجرنا مع رسول اللّه ﷺ فى سبيل اللّه ، نبتغى وجه اللّه ، فوجب أجرنا على اللّه ، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئا ، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد ولم يوجد له شىء يكفن فيه إلا نمرة ، فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه ،وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه ، فقال رسول اللّه ﷺ : أجعلوها مما يلى رأسه ، وأجعلوا على رجليه من الإذخر (٣) .

ثم يلقى الرسول ﷺ فى أسى نظرة على بردته التى كفن فيها ،وقد تذكر أيامه الماضية فى مكة ، فيقول : لقد رأيتك بمكة وما بها أرق حلة ولاأحسن لما منك ،ثم هاأنت ذا أشعث الرأس فى بردة (٤) .

هذا هو مصعب بن عمير رضى اللّه عنه الصحابى الجليل ، الذى نبذ النعمة والترف ، واحتمل العذاب والأذى ،واغترب الغربة بعد الغربة دفاعاً عن دينه وعن عقيدته .

هذا هو البطل الشهيد ، الذى ضرب أروع الأمثلة ، فيسبيل الدفاع عن اللّه تبارك وتعالى ، وعن رسول ﷺ فليكن للدعاة فيه نموذج صالح ، ومثل عال ، وأسوة حسنة وقدوة طيبة ، وعليهم أن يذكروا فى كل مرحلة من مراحل دعواتهم ما فعل مصعب بن عمير إزاء هذه المرحلة فلعلنا ننتفع بالقدوة بهم .

رحم اللّه مصعباً، وسلام عليه فى الخالدين ، وكافأه على جهاده خيراً وجعله مثلا للدعاة وللمسلمين .

---

(١) الأحزاب : ٢٣ (٢) الطبقات الكبرى جـ ٣ صـ ٨٢ أسد الغابة لابن الأثير جـ ٤ صـ ٣٧

(٣) الطبقات جـ٣ صـ٨٥ ، ٨٦ أسد الغابة جـ٤ صـ ٣٧٠ الإصابة جـ ٦ صـ ١٠١ والاذخر نبات من أعشاب الصحراء طيب الرائحة . (٤) الطبقات جـ ٣ صـ٨٦

المبحث الثانى

سعد بن معاذ رضى الله عنه

إن سعد بن معاذ رضى الله عنه هو أحد أولئك الأبطال ، الذى حفل بهم التاريخ فى فترات مختلفة ، وأبلوا فى سبيل الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ بلاء حسناً ، وجاهدوا لرفع كلمة الله عز وجل والذود عن دينه ، وقاتلوا من أجل الوطن ومن أجل العقيدة ، فضربوا بذلك المثل الأعلى ، والقدوة الحسنة للأجيال على مر العصور ، وهو أحد الأنصار السابقين إلى الإسلام وأكرم سيد لقومه ، وأنفسهم لعشيرته ، له مواقف رائعة فى الإسلام .

التعريف بسعد بن معاذ :

هو سعد بن معاذ النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل[1] ويكنى أبا عمرو ، وأمه كبشة بنت رافع بن معاوية بن الأبجر ، وهى من المبايعات ، ولد فى يثرب قبل البعثة بتسع عشرة سنة . ونشأ نشأة ممتازة عودته عمق التفكير ، والصرامة فى العمل ، والصدق التام .

اشترك فى صغره مع قومه فى حروبهم ضد الأوس .

إسلامه :

أرسل الرسول ﷺ مصعب بن عمير رضى الله عنه إلى المدينة ، يدعوا أهلها إلى الإسلام ، ويقرئهم القرآن ، ويعلمهم أمور دينهم ودنياهم ، ونزل مصعب بن عمير ضيفاً على أسعد بن زرارة ، الذى كان قبل مجىء مصعب

(١) الطبقات الكبرى جـ٣ صـ ٣٠٨ ، أسد الغابة جـ ٢ صـ ٢٩١

إلى المدينه ينشر الإسلام بين الناس .

وخرج أسعد بمصعب بن عمير فى أحد الأيام ديار بنى عبد الأشهل وديار بنى ظفر ، وجلسا يتحدثان إلى الناس ويبشران بالإسلام ، ويبلغان دعوة رسول الله ﷺ إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، منزه عن المشاركة والمصاحبة ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فاجتمع من حولهما الناس ، الذين أسلموا فى ذلك الوقت ، وكان ممن أسلم أسيد بن حضير ، وأحتال أسيد على سعد ، ليذهب إلى مصعب وأسعد ، ويستمع إلى كلامهما ، فذهب ودخل عليهما وأمارات الغضب بادية على وجهه ، والتفت إلى أسعد قائلا له : لولا مابينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى ، أتغشانا فى دارنا بما نكره ؟ فرد عليه مصعب : أو تقعد فتسمع ؟ فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهت عزلنا عنك ماتكره ؟ فاقتنع سعد بكلام مصعب وقال له أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس ، فعرض عليه مصعب الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فذهب الغضب عن وجهه ، وظهرت أمارات التفكير الجدى العميق فيما سمعه . يقول مصعب وأسعد : فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتهلله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين ؟ قالا : تغتسل وتطهر ثوبك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين ، فقام من فوره وعقل ما أرشده إليه ، ثم أخذ حربته واتجه قاصدا مكان قومه واجتماع عشيرته ، ومعه أسيد بن حضير ،وعند ما رآه قومه مقبلا عليهم قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وصل إليهم

قال : يابنى عبد الأشهل : كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا :سيدنا وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نقيبة ، فقال : فكلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله ، فما أمسى أحد فى ديار بنى عبد الأشهل من الرجال والنساء إلاوقد أعتنق الإسلام [١] .

ورسخ الإسلام فى نفس سعد بن معاذ رضى الله عنه وقلبه ، الذى أسرع بدون تردد إلي الدخول فى دين الله تبارك وتعالى ، دين الحق والهدى والفطرة ، وأسلمت الأوس باسلام سعد ،وصار للمسلمين قوة ، ولهم شوكة وهيبة ومنعة ، وأخذت الدعوة الإسلامية تنتشر إنتشاراً مذهلا بين الناس .

وعندما هاجر رسول الله،ﷺ وصحبه من مكة إلى المدينة ، كانت دور بنى عبد الأشهل ، قبيلة سعد بن معاذ مفتحة الأبواب للمهاجرين ، كما كانت أموالهم كلها تحت تصرفهم من غير من ولا أذى ولا حساب ﴿ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٢] .

ومن إسلام بنى عبد الأشهل يتضح لنا قيمة الداعية صاحب المنزلة الرفيعة ، لأن منزلته تدعو الناس إلى إحترامه ، وتوقيره ، وتقدير رأيه وقوله ، فعندما أسلم سعد بن معاذ وهومن هو أسلمت القبيلة كلها لأنهم يقدرون سعدا تقديراً عظيماً ويحترمون وأيه ويشهدون له بالفضل .

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ صـ ٤٤ ، ٤٥

(٢) الحشر : ٩

جهاده فى الإسلام :

شهد سعد بن معاذ رضى الله عنه [١] بدراً مع رسول الله ﷺ وكان معه لواء الأوس وله فيها مواقف عظيمة يسطرها التاريخ فخراً وإعزازا فعندما جاء الخبر لرسول الله ﷺ بمسير قريش لملاقاة المسلمين إستشار الناس ، فقام أبو بكر الصديق فقال فأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال فأحسن .

وكان ﷺ يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد الناس ،فقال سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يارسول الله ، قال أجل ، قال سعد : قد آمنا بك وصدقناك ، شهدنا أن ماجئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، ومانكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك للقاء الكفار [٢] .

وكان لهذه الكلمات من سعد بن معاذ رضى الله عنه أثرها الكبير عند رسول الله ، ﷺ فقال للمجاهدين : « سيروا وأبشروا والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم » [٣] ، وانتصر المسلمون فى بدر بسبب هذه الروح القوية التى انتشرت بين المسلمين .

وشهد سعد بن معاذ رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ أحداً وثبت معه حين ولى الناس [٤] . وقام بدوره فى حماية الرسول ﷺ فسعد بن معاذ

---

(١) الطبقات الكبرى جـ ٣صـ ٣٠٨
(٢) سيرة ابن هشام صـ ٦١٥
(٣) المرجع السابق ٦١٥
(٤) الطبقات الكبرى جـ ٣ صـ ٣٠٨

يعتبر من القلائل ، الذين ثبتوا حول الرسول ﷺ حينما كانت الدائرة على المسلمين .

وكان سعد يصول ويجول ويهجم على الأعداء هجوم الأسود الضارية مدافعاً عن الرسول ﷺ ، ويرد عنه ضربات المشركين ويسدد رماحه في صدورهم ، فضرب بذلك أعظم مثال في الفداء والبطولة والإيمان .

لقد كان سعد على رأس الصامدين في تلك الموقعة ، وكان موقفه المؤمن القوي الشجاع موقفا عظيماً ، كما كان موقفه يوم موقعة بدر موقفاً بطولياً مشرفاً .

موقفه يوم الخندق :

عندما حاصر الكفار المدينة وتآمروا مع اليهود ضد المسلمين ، بعث رسول ﷺ سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة مع نفر من الصحابة قائلا : إنطلقوا حتى تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم من الغدر والخيانة ونقض العهد ، وكان الموقف صعباً بالنسبة لرسول الله ﷺ والمسلمين فالكفار من الخارج واليهود من الداخل ، ولما رأى الرسول ﷺ ذلك أراد أن يرد غطفان عن المدينة وفاوضهم على ذلك في مقابل إعطا ئهم ثلث ثمار المدينة فوافقوا ، وقبل أن يوافق على الصلح استشار أصحابه فبعث إلى سعد بن معاذ وسعد ابن عبادة ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يارسول الله ، أهذا رأى تختاره ، أم وحى أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت

أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ : يارسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على للشرك بالله وعبادة الأوثان ، لانعبد الله ولانعرفه ، وهم لايطمعون أن يأكوا منها ثمرة إلا قرى ،أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ؟ والله مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم قال رسول الله ﷺ: فأنت وذالك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ،ثم قال : ليجهزوا علينا [1] .

هذه كلمة حق من سعد بن معاذ لا يقولها إلا رجل مؤمن عظيم شديد الثقة فى الله سبحانه وتعالى بأنه سوف ينصر الحق ويهزم الباطل مهما كثير أتباعه ، مخلص لدعوته ، التى آمن بها عن يقين وإخلاص ، واسع الأفق اكتسب من ملازمته للرسول ﷺ خبرة وصواباًوخيراً كثيراً .

ولئن كان مصعب بن عمير رضى الله عنه هو مقرىء المدينة وداعيتها ، فإن سعد بن معاذ رضى الله عنه هو الدعامة الأولى ، التى أعانت مصعباً وساعدت على إنتشار الإسلام فى يثرب .

حكمه فى بنى قريظة :

أصيب سعد بن معاذ رضى الله عنه يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة ، رماه فى الأكحل ، فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة فى المسجد ليعوده من قريب ، ولما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل ، فأتاه «جبريل عليه السلام »، وهو ينفض رأسه من الغبار فقال قد وضعت السلاح ، والله ما وضعنا ، أخرج إليهم وأشار إلى بنى قريظة فأتاهم رسول الله ﷺ ، فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة ، فلما أشتد حصارهم وأشتد البلاء عليهم قيل لهم أنزلوا على حكم رسول الله ﷺ

---

(١)سيرة ابن هشام صـ ٣:٢٢٣

فقالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ ، فقال لهم رسول الله ﷺ أنزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فنزلوا على حكم سعد ، فبعث رسول الله ﷺ ، إلى سعد فحمل على حمار ، فلما طلع على رسول الله ﷺ ، قال : قوموا إلى سعيدكم فقال : يا سعد أحكم فيهم قال : فإنى أحكم فيهم أن تقتل مقاتليهم ، وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم ، فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله (١) .

ولعل سعداً قد حكم بهذا الحكم على بنى قريظة . لأن الأحزاب لو كان قد قدر لها النجاح وإنتصرت على المسلمين لقتلتهم وأستأصلتهم ومثلت بهم فجزاهم سعد بما يتفق مع نيتهم وغدرهم وخيانتهم ، ونتيجة مؤامراتهم لوكان قد قدر لهم النجاح .

مناقب سعد رضى الله عنه :

عن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن جده قال : كنت أنا ممن حفر لسعد قبره بالبقيع ، وكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا فترة من تراب حتى إنتهينا إلى اللحد ، فطلع علينا رسول الله ﷺ وقد فرغنا من حفرته ووضعنا اللبن والماء عند القبر ، فوضعه الرسول ﷺ عند قبره ثم صلى عليه فلقد رأيت من الناس ما ملأ البقيع (٢) .

وعن أبى أسحاق عن البراء قال : أهدى للرسول ﷺ ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال الرسول ﷺ ، أتعجبون من هذا لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا (٣) .

---

(١)الطبقات الكبرى صـ ٣ ٣١٠ .

(٢)المرجع السابق جـ ٣ صـ ٣١٤

(٣)أسد الغابة جـ ٢ صـ ٢٩٨

وعن عاصم بن قتادة قال : نام رسول الله ﷺ فأتاه ملك أو قال جبريل عليه السلام ، حين أستيقظ فقال : من رجل من أمتك مات الليلة استبشر بموته أهل السماء ؟ قال :لا أعلم إلا أن سعداً أمسى دفنا ، ثم قال عليه الصلاة والسلام ما فعل سعد ؟ قالوا : يارسول الله قبض وجاءه قومه فاحتملوه إلى ديارهم ، فصلى رسول الله ﷺ الصبح ثم خرج ومعه الناس ، فبث الناس مشياً «أتعبهم » حتى إن شسوع أحذيتهم لتنقطع من أرجلهم وإن أرديتهم لتقع عن عواتقهم ، فقال رجل : يارسول الله قد بثتت الناس «أتعبتهم » فقال :إنى أخشى أن تسبقنا إليه الملائكة كما سبقتنا إلى حنظلة (١) .

وعن قتادة عن أنس قال : لما حملت جنازة سعد بن معاذ ، قال المنافقون : ما أخف جنازته وذلك لحكمه فى بنى قريظة ،فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : إن الملائكة كانت تحمله (٢) .

وقال سعد بن وقاص عن النبى ﷺ : لقد نزل من الملائكة فى جنازة سعد بن معاذ ألفا ما وطئوا الأرض من قبل (٣) .

وفاته رضى الله عنه :

فى غزوة الخندق أصابه سهم رماه به حبان بن العرقة ، وحمله الرسول ﷺ إلى خيمة فى المسجد ليعوده فيه وأخذ المسلمون يعالجونه من هذه الإصابة ولكن المنية وافته بعد أن حقق الله رجاءه فى بنى قريظة عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : لقد أهتز العرش لموت سعد (٤) .

وعن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ قال لأم سعد بن معاذ : ألا

(١)الطبقات الكبرى جـ ٣ صـ ٣١٠ ، ٣١١
(٢) المرجع السابق جـ ٣ صـ ٣١٣
(٣) الطبقات الكبرى جـ ٣ صـ ٣١٣
(٤) الطبقات ، لابن سعد جـ ٣ صـ ١٦

يرقأ دمعك ويذهب حزنك بأن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش [1] .

وعن الحسن قال . قال رسول الله ﷺ: لقد اهتز عرش الرحمن لوفاة سعد بن معاذ فرحاً به » [2] .

ولما مات سعد بن معاذ ندبته أمه قائلة :

ويل أم سعد سعداً براعة ونجدا

ويل أم سعد سعداً صرامة وجدا

فقال النبى ﷺ : « كل نادبة كاذبة إلا نادبة سعد » [3] .

وقد ودعه المسلمون إلى مثواه الأخير ، واشتركت الملائكة فى حمل جنازته .

لقد اشتشهد سعد بن معاذ رضى الله عنه ، وهو ابن سبع وثلاثين سنة بعد أن عاش حياة مليئة بالكفاح ، حافلة بالبطولة ، زاخرة بالتضحية ، فقد كان رضى الله عنه المخلصين للدعوة الإسلامية ، المجاهدين فى سبيلها من العاملين على نصرتها ، الصادقين فى العمل على نشرها ،واستشهد فى سبيلها، فكان له الجزاء الأوفى ، والدرجات العلا ، فى جنات الخلد ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، وأفادنا به ، وأعاننا على اقتفاء أثره الكريم ..

---

(١) الطبقات لابن سعد جـ ٣ ص ١٦

(٢)الطبقات لابن سعد ج ٣ صـ ٣١٦

(٣)الطبقات الكبرى جـ ٣ صـ ٣١٢

المبحث الثالث

معاذ بن جبل رضى الله عنه

يعتبر معاذ بن جبل رضى الله عنه من الأنصار السابقين إلى الإسلام ، لأنه كان من السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة الثانية مع رسول الله ﷺ .

نسبه ونشأته :

هو الصحابى الجليل معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى الخزرجى الأنصارى أدعته بنو سلمة ونسبته إليها ، وكذلك أدعته بنو أدى . يقول الكلبى : والصحيح أنه من بنى أدى .

ويقول ابن إسحاق : معاذ من الخزرج وإنما أدعته بنو سلمة لأنه كان أخا سهل بن محمد بن قيس لأمه (١) .

نشأ معاذ بن جبل رضى الله عنه فى يثرب وتربى بها ، وكان يتميز بالجمال الخلقى والأخلاقى يروى ابن سعد فى طبقاته : كان معاذ بن جبل رجلا طوالا أبيض ، حسن الثغر ، عظيم العينين ، مجموع الحاجبين ، جعداً قططاً (٢) وقال جابر بن عبد الله : كان معاذ بن جبل ، رحمه الله ، من أحسن الناس وجهاً ، وأحسنه خلقا وأسمحه كفا (٣) .

وإذا عرفنا أن معاذ بن جبل من قبيلة الخزرج ، التى كانت فى حرب مستمرة مع الأوس ، لاتهدأ ولا تستريح ، تبين لنا أن معاذ عاش على صوت السيوف والرماح وتربى عليها ، حيث شارك قبيلته فى هذه الحروب ، التى دارت رحاها فى يثرب .

---

(١)سيرة ابن هشام جـ ١ صـ ٣٦٤ ، الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ صـ ٤٢٤

(٢) الطبقات جـ ٣ صـ ٤٢٩

(٣)المرجع السابق جـ ٣ صـ ٤٢٧

إسلامه :

عندما وصل مصعب بن عمير رضى الله عنه إلى المدينة سفيراً من قبل الرسول ﷺ، لزمه معاذ بن جبل رضى الله عنه ، وأعلن إسلامه بين يديه ، وحفظ عنه كثيراً من القرآن الكريم وتعاليم الإسلام ، وعندما عزم أهل يثرب أن يخرجوا للبيعة الثانية صحبهم معاذ بن جبل رغم صغر سنه ، ومن يومها وهو يلازم العلم والدراسة ، حتى ظهر أثر ذلك عليه فيما بعد .

ولما هاجر الرسول ، ﷺ إلى المدينة آخى بينه وبين عبد الله بن مسعود للشبه بينهما فى الفقه والحفظ وقراءة القرآن الكريم ، وكان رضى الله عنه حرباً على الشرك والمشركين ، فهو الذى كسّر أصنام بنى سلمة هو وثعلبة بن غنيمة وعبد الله بن أنيس (١) .

معاذ بن جبل الداعية :

حينما أرسل الرسول ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن ، كى يقرئهم القرآن ويعلمهم أمور الدين الإسلامى ، أراد أن يختبر ذكاءه ويعرف منهجه فى دعوة الناس إلى الدين فقال له : بم تقضى إن عرض لك قضاء ؟

قال : قلت أقضى بما فى كتاب الله قال : فإن لم يكن فى كتاب الله ؟

قال : قلت أقضى بما قضى به الرسول ، قال : فإن لم يكن فيما قضى به الرسول ؟ قال قلت أجتهد رأيى ولا آلو ! قال : فضرب صدرى وقال : الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله (٢).

لقد استبشر الرسول ﷺ خيراً بنجاح الداعى فى مهمته ، التى كلف بها وهى نشر الدعوة الإسلامية فى اليمن .

---

(١) أنظر الطبقات الكبرى جـ ٣ صـ ٤٢٤

(٢) الطبقات جـ ٢ صـ١٠٧ ، ١٠٨ ، جامع بيان العلم جـ ٢ صـ ٦٩

إن معاذ بن جبل كان واسع الأفق كثير العلم ، ومن أجل هذا كان أحد أربعة أمر النبى ﷺ بأخذ القرآن الكريم منهم .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول ﷺ ، خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة [١] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل [٢] .

وهذه شهادة من الرسول ، ﷺ تشهد له بالتوفيق والسداد وأعظم بها من شهادة عندما تصدر من معلم الإنسانية جمعاء .

ويقول الرسول ﷺ ، فى حقه :«يأتى معاذ بن جبل يوم القيامة أمام العلماء برتوة . ويقول : معاذ بن جبل له نبذة بين يدى العلماء يوم القيامة » [٣] .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين فقال له فروة بن نوفل الأشجعى ، إنما قال الله « إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ، فقال ابن مسعود ومعاذ أيضا ، أتدرى ماالأمة وما القانت ؟ فقال فروة : الله ورسوله أعلم ! فقال ابن مسعود : الأمة الذى يعلم الناس الخير ، والقانت المطيع لله ولرسوله ، وكذلك كان معاذ ، كان يعلم الناس الخير ، وكان مطيعاً لله ولرسوله [٤] .

---

(١) أسد الغابة جـ ٤ صـ ٣٧٦ ، الطبقات جـ ٢ صـ ١١٠
(٢) الطبقات جـ ٢ صـ ١٠٧
(٣) المصدر السابق جـ ٢ صـ ١٠٧
(٤) الاستيعاب جـ ١ صـ ٢٣٦ ، الطبقات جـ٢ صـ ١٠٨

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :« من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل » وقال أيضا : « إن العلماء إذا حضروا يوم القيامة كان معاذ بن جبل بين أيديهم قذفة بحجر »[١] .

وهكذا نجد الصحابة رضى الله عنهم يشهدون لمعاذبن جبل بالعلم والفقه .

من مواقف معاذ بن جبل :

يعتبر معاذ بن جبل رضى الله عنه من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، فلقد شهد مع الرسول ﷺ بدراً وأحداً وبقية المشاهد كلها ،كما أنه أحد الذين باشروا الفتوى على عهد رسول الله ﷺ .

قال أبو خيثمة : كان الذين يفتون على عهد رسول الله ﷺ ، ثلاثة نفر من المهاجرين وثلاثة من الأنصار : عمر وعثمان وعلى ، وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت »[٢] .

وفعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه ذلك ، فكان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأى وأهل الفقه ، دعا عمر وعثمان وعليا وعبد الرحمن ابن عوف ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت ، وكل هؤلاء يفتى فى خلافة أبى بكر ، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء ، ثم ولى عمر فكان يدعو هؤلا النفر »[٣] .

وكان عمر رضى الله عنه يستشير فى خلافتة إذا حزبه الأمر أهل الشورى ومن الأنصار معاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت[٤] .

وعن المسور بن مخرمة قال : كان علم أصحاب رسول الله ﷺ ، ينتهى

---

(١)الطبقات جـ ٢ صـ ١٠٨

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٢ صـ ١٠٩ ، ١١٠

(٣) (٣ ، ٤) المرجع السابق جـ ٢صـ ١١٠

إلى ستة : إلى عمر وعثمان وعلى ، ومعاذ بن جبل وأبى كعب وزيد بن ثابت [١] .

ويكفى معاذ بن جبل فخراً أن الرسول ﷺ ، خلفه بمكة حين وجه إلى حنين يفقه أهل مكة ويقرئهم القرآن الكريم [٢] .

وقد قام معاذ بن جبل رضى الله عنه بدوره كداعية سواء كان فى مكة أو فى اليمن عندما أرسله رسول الله ﷺ ليكون والياً على الجند وليعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام .

قال ابن إسحاق : حين بعث رسول الله ﷺ ، معاذ بن جبل إلى اليمن أوصاه وعهد إليه : ثم قال له : يسر ولا تعسر ، وبشر ولاتنفر ، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب ، يسألونك ما مفتاح الجنة ، فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال : فخرج معاذ ، حتى إذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول الله ﷺ ، فأتته إمرأة من أهل اليمن ، فقالت : ياصاحب رسول الله ما حق زوج المرأة عليها ؟ ويحك إن المرأة لا تقدر على أن تؤدى حق زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحب رسول ﷺ إنك لتعلم ما حق الزوج على المرأة ، قال ويحك ! لو رجعت إليه فوجدته تنثعب منخراه قيحا ودماً ، فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أديت حقه [٣] .

وفاته رضى الله عنه :

توفى رضى الله عنه فى طاعون عمواس بالشام بناحية الأردن سنة [illegible] فى خلافة عمر [illegible] الخطاب رضى الله عنه ، وهو ابن ثمان [illegible]

الخـــاتمـــة

وبعد : فإن رسالة الإسلام تهدف إلى إقامة مجتمع إسلامى بعيد كل البعد عن أوشاب المجتمعات الأخرى ، وترمى إلى أن تكون حياة كل فرد فى هذا المجتمع طيبة ولو أن كل إنسان جعل الإسلام قانون حياته ونظام سلوكه فلا شك فى أن هذا سوف يضفى على الإنسان حياة حرة كريمة ، ويضعه فى مكانة سامية رفيعة .

إن رسالة الإسلام تدعو إلى الوحدة فى كل شىء ، الوحدة فى العقيدة ، فى التشريع ، فى السلوك ، فى الغاية ، فالله واحد والأمة واحدة ، ورايتها واحدة ، وغايتها تحقيق سعادة الدنيا والآخرة فلا عنصرية فى الإسلام ولا سيادة من إنسان على إنسان إلا فى حدود التشريع الإسلامى .

أما من فرقتهم طرق الضلال عن الحق ، فأصبحوا شيعاً وأحزاباً ، يضرب بعضهم رقاب بعض فليسوا من الإسلام فى شىء .

إن من يتحول عن طريق النور يهلك فى الظلمات ، فدين الله واحد ، وكل ما حوله أديان باطلة ، تحتوى على آراء زائفة ، تحاول أن تلفت نظر المسلمين عن دينهم وتغريهم بمعسول القول ، وباطل الأمانى .

وكل ما أرجوه من المولى عز وجل أن يوفق العاملين المخلصين فى حقل الدعوة الإسلامية لإنجاحها وتبليغها للناس ، وأن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه إنه نعم المولى ونعم النصير .

أهم المراجع

١) القرآن الكريم كتاب رب العالمين
٢) الإتقان فى علوم القرآن للإمام السيوطى مطبعة الحلبى بمصر ١٩٥١م
٣)الإسلام عقيدة وشريعة الشيخ محمود شلتوت مطبعة الأزهر ١٩٥٩م
٤)الإحياء للأمام الغزالى عيسى الحلبى بمصر ١٩٥٧م
٥)أصول الدعوة د/ عبد الكريم زيدان دار البيان ١٩٧٥ م
٦) أسرار العبادات فى الإسلام د/عبد الحليم محمود
٧) البيان والتبيين للجاحظ تحقيق السندوبى ١٩٣٢م
٨)التفسير الكبير لفخر الدين الرازى دار الكتب العلمية / طهران
٩) تفسير القرآن العظيم لاين كثير ـ عيسى الحلبى بمصر
١٠)تذكرة الدعاة للبهى الخولى مطبعة الاعتماد بمصر ١٣٦٢هـ
١١)تربية الأولاد فى الإسلام عبد الله علوان دار السلام للطباعة بيروت ١٩٨١م
١٢)جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر القرطبى إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٦م
١٣)حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى مكتبة الخانجى بمصر
١٤)الخطابة فى صدر الإسلام د/محمد طاهر درويش دار المعارف ١٩٦٥م
١٥)الخطابة للشيخ محمد أبو زهرة دار الفكر العربى
١٦)فن الخطابة د/أحمد الحوفى مطبعة نهضة مصر الفجالة
١٧)الدين د/ محمد عبد الله دراز مطبعة السعادة ١٩٦٩م
١٨)الدعوة إلى الإسلام أبو بكر ذكرى مطبعة المدنى ١٩٦٢م
١٩)الدعوة إلى الاصلاح محمد الخضر حسين
٢٠) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية محمد الراوى الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥م

٢١) رياض الصالحين للنووى عيسى الحلبى بمصر ١٩٥٦ تحقيق مصطفى عمارة
٢٢)زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم الجوزية المطبعة المصرية
٢٣) سنن أبى داود الإمام أبى داود السجستانى مصطفى الحلبى ١٩٥٢
٢٤) السيرة النبوية لابن هشام مصطفى الحلبى ١٩٥٥م
٢٥) صحيح البخارى للإمام البخارى مصطفى الحلبى ١٣٤٥هـ
٢٦)صحيح مسلم للإمام مسلم عيسى الحلبى ١٩٥٥م
٢٧) الصحاح للجوهرى دار العلم للملايين ١٩٥٦
٢٨)فتح القدير للإمام الشوكانى مصطفى الحلبى بمصر
٢٩) فتح البارى لابن حجر العسقلانى دار المعرفة بيروت /لبنان
٣٠) القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادى ١٩٣٥م
٣١) قصص القرآن محمد أحمد جاد المولى ورفاقه المكتبة التجارية بمصر ١٩٣٧م
٣٢)الموطأ للإمام مالك بن أنس تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى عيسى الحلبى ١٩٥١
٣٣)المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية دار المعارف بمصر ١٩٧٢م
٣٤)المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى مصطفى الحلبى ١٩٦١
٣٥) مبادىء علم الأخلاق د/ محمد عبد الله دراز
٣٦)مع الأنبياء فى القرآن الكريم عفيف عبد الفتاح طبارة دار العلم للملايين ١٩٨٣
٣٧) الكشاف للزمخشرى مصطفى الحلبى ١٩٦٦
٣٨) هداية المرشدين على محفوظ دار الاعتصام ١٩٧٩
٣٩) لسان العرب لابن منظور دار المعارف بمصر
٤٠) نيل الأوطار للشوكانى مصطفى الحلبى بمصر

فهرس

فهرس

طبــع بمطبعة وزارة الأوقــاف